البداية والنهاية

الإمام الحافظ

المفسر المحدث الفقيه المؤرخ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي

الشهير بابن كثير

(701 - 774) هـ

طبعة مضبوطة، موزعة الفقرات، مخرجة الأحاديث والنصوص، مصنوعة وملحقة بأشياء لم تذكر في السابق مقابلة على عدة من النسخ المطبوعة، فهرسة الآيات والأحاديث والتراجم والموضوعات

اعتنى به

حسان عبد المنان

بيت الأفكار الدولية

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين منه بعد الصلاة دخل الأمراء الستة الذين توجهوا نحو الكرك لطلب السلطان أن يقدم إلى دمشق فأبى عليهم في هذا الشهر ووعدهم وقتا آخر فرجعوا وخرج الفخري لتلقيهم فاجتمعوا قبلي جامع القبيبات الكريمي ودخلوا كلهم إلى دمشق في جمع كثير من الأتراك الأمراء والجند وعليهم خمدة لعدم قدوم السلطان أيده الله.

وفي يوم الأحد قدم البريد خلف قماري وغيره من الأمراء يطلبهم إلى الكرك واشتهر أن السلطان رأى النبي ﷺ في المنام وهو يأمره بالنزول من الكرك وقبول المملكة فانشرح الناس لذلك.

وتوفي الشيخ

■ عمر بن أبي بكر بن الميهيني البسطي يوم الأربعاء التاسع والعشرين وكان رجلا صالحا كثير التلاوة والصلاة والصدقة وحضور مجالس الذكر والحديث له همة وصولة على الفقراء المتشبهين بالصالحين وليسوا منهم.

سمع الحديث من الشيخ فخر الدين بن البخاري وغيره وقرأت عليه عن ابن البخاري مختصر المشيخة ولازم مجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به ودفن بمقابر باب الصغير.

وفي شهر رمضان المعظم أوله يوم الجمعة كان قد نودي في الجيش: أن الرحيل للملتقى السلطان في سابع الشهر ثم تأخر ذلك إلى بعد العشر ثم جاء كتاب من السلطان بتأخر ذلك إلى بعد العيد.

وقدم في عاشر الشهر علاء الدين بن تقي الدين الحنفي ومعه ولاية من السلطان الناصر بن الناصر بنظر البيمارستان النوري ومشيخة الربوة ورُتّب على الجهات السلطانية وكان قد قدم قبله القاضي شهاب الدين بن البارزي بقضاء حمص من السلطان أيده الله تعالى ففرح الناس بذلك حيث تكلم السلطان في المملكة وباشر وأمر وولى ووقع ولله الحمد.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر دخل الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمّص الأخضر من البلاد الحلبية إلى دمشق المحروسة وتلقاه الفخري والأمراء والجيش بكماله ودخل في أبهة حسنة ودعا له الناس وفرحوا بقدومه بعد شتاته في البلاد وهربه من بين يدي الطنبغا حين قصده إلى حلب كما تقدم ذكره.

وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت الجيوش من دمشق قاصدين إلى غزة لنظرة السلطان حين يخرج من الكرك السعيد فخرج يومئذ مقدمان: تقزدمر وإقبغا عبد الواحد فبرزا إلى الكسوة.

فلما كان يوم السبت خرج الفخري ومعه طشتمر وجمهور الأمراء ولم يقم بعده بدمشق إلا من احتيج لقامهم لمهمات المملكة وخرج معه القضاة الأربعة وقاضي العساكر والموقعين والصاحب وكاتب الجيش وخلق كثير.

■ (العصيدة، أحمد).

وتوفي الشيخ الصالح العابد الناسك أحمد الملقب بالعصيدة ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان وصلي عليه بجامع تنكز ودفن بالصوفية قريباً من قبر الشيخ جمال الدين المزي،تغمدهما الله برحمته.

وكان فيه صلاح كثير ومواظبة على الصلاة في جماعة وأمر بمعروف ونهى عن منكر مشهوراً عند الناس بالخير وكان يكثر من خدمة المرضى بالمارستان وغيره وفيه إيثار وقناعة وتزهد كثير وله أحوال مشهورة رحمه الله وإيانا.

واشتهر في أواخر الشهر المذكور أن السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد خرج من الكرك المحروس صحبة جماعة من العرب والأتراك قاصداً إلى الديار المصرية ثم تحرر خروجه منها في يوم الاثنين ثامن عشر الشهر المذكور فدخل الديار المصرية بعد أيام هذا والجيش صامدون إليه.

فلما تحقق دخوله مصر حشا في السير إلى الديار المصرية وبعث يستحثهم أيضاً واشتهر أنه لم يجلس على سرير الملك حتى يقدم الأمراء الشاميون صحبة نائبه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ولهذا لم تدق البشائر بالقلاع الشامية ولا غيرها فيما بلغنا.

وجاءت الكتب والأخبار من الديار المصرية بأن يوم الاثنين عاشر شوال كان إجلاس السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد على سرير المملكة صعد هو والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكفي فوق المنبر وهما لابسان السواد والقضاة تحتهما على درج المنبر بحسب منازلهم فخطب الخليفة وخلع الأشرف كجك وولى هذا الناصر وكان يوما مشهودا واشتهى ولايته لطشتمر نيابة مصر والفخري دمشق وأيدغمش حلب فالله أعلم.

ودقت البشائر بدمشق ليلة الجمعة الحادي والعشرين من الشهر المذكور واستمرت إلى يوم الاثنين مستهل ذي القعدة وزينت البلد يوم الأحد ثالث عشرين منه واحتفل الناس بالزينة.

وفي يوم الخميس المذكور دخل الأمير سيف الدين أَلْمَلِك أحد رؤوس المشورة بمصر إلى دمشق في طلب نيابة حماة حرسها الله تعالى.

فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة ورد البريد من الديار المصرية فأخبر أن طشتمر الحمص الأخضر مسك فتعجب الناس من هذه الكائنة كثيرا فخرج من بدمشق من أعيان الأمرء إلى الحاج أَلْمَلِك وقد خيم بوطأة برزة وخرج إلى الحج أمير فأخبروه بذلك وأمروه عن مرسوم السلطان أن ينوب بدمشق حتى يأتي المرسوم بما يعتمدونه فأجاب إلى ذلك وركب في الموكب يوم السبت السادس والعشرين منه.

وأما الفخري فإنه لما تنسم هذا الخبر وتحققه وهو بالزعفة فرفى طائفة من مماليكه قريب من ستين أو أكثر فاخترق وساق سوقا حثيثا وجاءه الطلب من ورائه من الديار المصرية في نحو من ألف فارس صحبة الأميرين: الطنبغا الماردادي ويلبغا اليحياوي ففاتهما وسبق واعترض له نائب غزة في جنده فلم يقدر عليه فسلطوا عليه العشيرات ينهبونه فلم يقدروا عليه إلا في شيء يسير وقتل منهم خلقا وقصد نحو صاحبه فيما يزعم الأمير علاء الدين إيدغمش نائب حلب راجيا منه أن ينصره وأن يوافقه على ما قام بنفسه فلما وصل إليه أكرمه وأنزله وبات عنده فلما أصبح قبض عليه وقيده ورده على البريد إلى الديار المصرية ومعه التراسيم من الأمراء وغيرهم.

ولما كان يوم الاثنين سلخ ذي القعدة خرج السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن المنصور من الديار المصرية في طائفة من الجيش قاصداً إلى الكرك المحروس ومعه أموال جزيلة وحواصل وأشياء كثيرة فدخلها يوم الثلاثاء من ذي الحجة وصحبته طشتمر في محفة ممرضا والفخري مقيداً فاعتقلا بالكرك المحروس وطلب السلطان آلات من أخشاب ونحوها وحدادين وصناعاً ونحوهما لإصلاح مهمات بالكرك وطلب أشياء كثيرة من دمشق فحملت إليه.

ولما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة ورد الخبر بأن الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي النائب بصفد ركب في مماليكه وخدمه ومن أطاعه وخرج منها فاراً بنفسه من القبض عليه وذكر أن نائب غزة قصده ليقبض عليه بمرسوم السلطان ورد عليه من الكرك فهرب الأحمدي بسبب ذلك ولما وصل الخبر إلى دمشق وليس بها نائب انزعج الأمراء

لذلك واجتمعوا بدار السعادة، وضربوا في ذلك مشورة ثم جردوا إلى ناحية بعلبك أميرا ليصدوه عن الذهاب إلى البرية.

فلما أصبح الصباح من يوم الاثنين جاء الخبر بأنه في نواحي الكسوة ولا مانع من خلاصه فركبوا كلهم ونادى المنادي: من تأخر من الجند عن هذا النفير شنق فاستوثقوا في الخروج وقصدوا ناحية الكسوة وبعثوا الرسل إليه فذكر اعتذاراً في خروجه وتخلص منهم وذهب يومه ذلك ورجعوا وقد كانوا ملبسين في يوم حار وليس معهم من الأزواد ما يكفيهم سوى يومهم ذلك.

فلما كانت ليلة الثلاثاء ركب الأمراء في طلبه من ناحية ثنية العقاب فرجعوا في اليوم الثاني وهو في صحبتهم ونزل في القصور التي بناها تنكز رحمه الله في طريق داريا فأقام بها وأجروا عليه مرتباً كاملا من الشعير والغنم وما يحتاج إليه مثله ومعه مماليكه وخدمه.

فلما كان يوم الثلاثاء سادس المحرم ورد كتاب من جهة السلطان فقرئ على الأمراء بدار السعادة يتضمن إكرامه واحترامه والصفح عنه لتقدم خدمه على السلطان الملك الناصر وابنه الملك المنصور.

ولما كان يوم الأربعاء سابع المحرم ورد البريد من الكرك الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب نائب الغيبة والحاجب الِلْمش بالقبض على الأحمدي فركب الجيش ملبسين يوم الخميس وأوكبوا بسوق الخيل وراسلوه - وقد ركب في مماليكه بالعدد وأظهر الامتناع فكان جوابه أن لا أسمع ولا أطيع إلا لمن هو ملك الديار المصرية فأما من هو مقيم بالكرك ويصدر عنه ما يقال عنه من الأفاعيل التي قد سارت بها الركبان فلا فلما بلغ الأمراء هذا توقفوا في أمره وسكنوا ورجعوا إلى منازلهم ورجع هو إلى قصره.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان المسلمين الملك الناصر أحمد بن ناصر الدين محمد بن الملك المنصور قلاوون وهو مقيم بالكرك قد حاز الحواصل السلطانية من قلعة الجبل إلى قلعة الكرك.

ونائبه الديار المصرية الأمير سيف الدين آقنسقر السلاري الذي كان نائبا بغزة.

وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في السنة الماضية سوى القاضي الحنفي.

وأما دمشق فليس لها نائب إلى حينئذ غير أن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب كان استنابه الفخري بدمشق نائب غيبته فهو الذي يسد الأمور مع لحاجب الِلْمش وتمر المهمندار، والأمير سيف الدين الملقب بحلاوة، والي البر، والأمير ناصر الدين بن بكتاش متولي البلد هؤلاء الذين يسدون الأشغال والأمور السلطانية.

والقضاة هم الذين ذكرناهم في السنة الخالية وخطيب البلد تاج الدين عبد الرحيم ابن القاضي جلال الدين القزويني وكاتب السر القاضي شهاب الدين بن فضل الله.

واستهلت هذه السنة والأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي نازل بقصر تنكز بطريق داريا وكتب السلطان واردة في كل وقت بالاحتياط عليه والقبض وأن يمسك ويرسل إلى الكرك هذا والأمراء يتوانون في أمره ويسوفون المراسيم وقتاً بعد وقت وحينا بعد حين ويحملهم على ذلك أن الأحمدي لا ذنب له ومتى مسكه تطرق إلى غيره مع أن السلطان يبلغهم عنه أحوال لا ترضيهم من اللعب والاجتماع مع الأراذل والأطراف ببلد الكرك مع قتله الفخري وطشتمر قتلا فظيعا وسلبه أهلهما وسلبه لما على الحريم من الثياب والحلي وإخراجهم في أسوإ حال من الكرك وتقريبه النصارى وحضورهم عنده فحمل الأمراء هذه الصفات على أن بعثوا أحدهم يكشف أمره فلم يصل إليه ورجع هاربا خائفا.

فلما رجع وأخبر الأمراء انزعجوا وتشوشوا كثيراً واجتمعوا بسوق الخليل مراراً وضربوا مشورة بينهم فاتفقوا على أن يخلعوه فكتبوا إلى المصريين بذلك وأعلموا نائب حلب أيدغمش ونواب البلاد وبقوا متوهمين من هذا الحال كثيراً ومترددين ومنهم من يصانع في الظاهر وليس معهم في الباطن وقالوا لا سمع له ولا طاعة حتى يرجع إلى الديار المصرية ويجلس على سرير المملكة وجاء كتابه إليهم يعييهم ويعنفهم في ذلك فلم يفد.

وركب الأحمدي في الموكب وركبوا عن يمينه وشماله وراحوا إليه إلى القصر فسلموا عليه وخدموه وتفاقم الأمر وعظم الخطب وحملوا هموما عظيمة خوفا من أن يذهب إلى الديار المصرية فيلف عليه المصريون فيتلف الشاميين فحمل الناس همهم فالله هو المسؤول أن يحسن العاقبة.

فلما كان يوم الأحد الخامس والعشرين من المحرم ورد مقدم البريدية ومعه كتب المصريين بأنه لما بلغهم خبر الشاميين كان عندهم من أمر السلطان أضعاف ما حصل عند الشاميين فبادروا إلى ما كانوا عزموا عليه ولكن ترددوا خوفا من الشاميين أن يخالفوهم فيه ويتقدموا في صحبة السلطان لقتالهم.

فلما اطمأنوا من جهة الشاميين صمموا على عزمهم فخلعوا الناصر أحمد وملكوا عليهم أخاه الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن المنصور جعله الله مباركا على المسلمين وأجلسوه على السرير يوم الثلاثاء العشرين من المحرم المذكور وجاء كتابه مسلما على أمراء الشام ومقدميه وجاءت كتب الأمراء على الأمراء بالسلام والأخبار بذلك ففرح المسلمون وأمراء الشام والخاصة والعامة بذلك فرحا شديداً ودقت البشائر بالقلعة المنصورة يومئذ ورسم بتزيين البلد فزين الناس صبيحة الثلاثاء السابع والعشرين منه.

ولما كان يوم الجمعة سلخ المحرم خطب بدمشق للملك الصالح عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور.

وفي يوم الخميس سادس صفر درس بالصدرية صاحبنا الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية وحضر عنده الشيخ عز الدين بن المنجا الذي نزل له عنها وجماعة من الفضلاء.

وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر دخل الأمير سيف الدين تقزدمر من الديار المصرية إلى دمشق ذاهبا إلى نيابة حلب المحروسة فنزل بالقابون.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر صفر توفي **الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد**

■ **عبد الله بن أبي الوليد المقرئ المالكي إمام المالكية هو وأخوه أبو عمرو** بالجامع الأموي بمحراب الصحابة توفي ببستان بقبّة المسجُف وصلي عليه بالمصلى ودفن عند أبيه رحمهما الله بمقابر باب الصغير وحضر جنازته الأعيان والفقهاء والقضاة وكان رجلا صالحا مجمعا على ديانته وجلالته رحمه الله.

وفي يوم الخميس العشرين من صفر دخل الأمير أيدغمش نائب السلطنة بدمشق ودخل إليها من ناحية القابون قادما من حلب وتلقاه الجيش بكماله وعليه خلعة النيابة واحتفل الناس له وأشعلوا الشموع

وخرج أهل الذمة من اليهود والنصارى يدعون له ومعهم الشموع وكان يوما مشهوداً وصلى يوم الجمعة بالمقصورة من الجامع الأموي ومعه الأمراء والقضاة وقرئ تقليده هناك على السدة وعليه خلعته ومعه الأمير سيف الدين ملكتم السرجواني وعليه خلعة أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر دخل الأمير علم الدين الجاولي دمشق المحروسة ذاهبا إلى نيابة حماة المحروسة وتلقاه نائب السلطنة والأمراء إلى مسجد القدم وراح فنزل بالقابون وخرج القضاة والأعيان إليه وسمع عليه من مسند الشافعي فإنه يرويه وله فيه عمل ورتبه ترتيبا حسنا ورأيته وشرحه أيضاً،له أوقاف على الشافعية وغيرهم.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين منه عقد مجلس بعد الصلاة بالشباك الكمالي من مشهد عثمان بسبب القاضي فخر الدين المصري وصدر الدين عبد الكريم ابن القاضي جلال الدين القزويني بسبب العادلية الصغيرة فاتفق الحال على أن نزل صدر الدين عن تدريسها ونزل القاضي فخر الدين عن مائة وخمسين على الجامع.

وفي يوم الأحد سلخ الشهر المذكور حضر القاضي فخر الدين المصري ودرس بالعادلية الصغيرة وحضر الناس عنده على العادة وأخذ في قوله تعالى: ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥].

وفي آخر شهر ربيع الأول جاء المرسوم من الديار المصرية بأن يخرج تجريدة من دمشق بصحبة الأمير حسام الدين البشمقدار لحصار الكرك الذي تحصن فيه ابن السلطان أحمد واستحوذ على ما عنده من الأموال التي أخذها من الخزائن من ديار مصر وبرز المنجنيق من القلعة إلى قبل جامع القبيبات فنصب هناك وخرج الناس للتفرج عليه ورمى به ومن نيتهم أن يستصحبوه معهم للحصار.

وفي يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين الطنبغا الماردائي من الديار المصرية على خيل البريد ذاهباً إلى حماة نائباً عليها ورُسم بعَوْد الجاولي إلى الديار المصرية على قاعدته وعادته.

وفي يوم الخميس عاشره دخل إلى دمشق الأميران الكبيران ركن الدين بيبرس الأحمدي من طرابلس وعلم الدين الجاولي من حماة سَحَراً وحضرا الموكب ووقفا مكتنفين لنائب السلطنة: الأحمدي عن يمينه والجاولي عن يساره ونزلا ظاهر البلد.

ثم بعد أيام يسيرة توجه الأحمدي إلى الديار المصرية على عادته وقاعدته رأس مشورة وتوجه الجاولي إلى غزة المحروسة نائبا عليها وكان الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير على إمرة الطبلخاناه بدمشق.

وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت التجريدة من دمشق سحراً إلى مدينة الكرك والأمير شهاب الدين بن صبح والي الولاة بحوران مشد المجانيق وخرج الأمير سيف الدين بهادر الشمس الملقب بحلاوة والي البر بدمشق إلى ولاية الولاة بحوران.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره وقع بين النائب والقاضي الشافعي بسبب كتاب ورد من الديار المصرية فيه الوصاة بالقاضي السبكي المذكور ومعه التوقيع بالخطابة له مضافا إلى القضاء وخلعة من الديار المصرية فتغيّظ عليه النائب لأجل أولاد الجلال لأنهم عندهم عائلة كثيرة وهم فقراء وقد نهاه عن السعي في ذلك فتقدم إليه يومئذ أن لا يصلي عنده في الشباك الكمالي فنهض من هناك وصلى في الغزالية.

وفي يوم الأحد العشرين منه دخل دمشق الأمير سيف الدين أرنبغا زوج ابنة السلطان الملك الناصري مجتازاً ذاهبا إلى طرابلس نائبا بها في تجمل وأبهة ونجائب وجنائب كثيرة وعدة وسرك كامل.

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه دخل الأمير بدر الدين بن الخطير معزولا عن نيابة غزة المحروسة فأصبح يوم الخميس فركب في الموكب وسير مع نائب السلطنة ونزل في داره وراح الناس للسلام عليه.

وفي جمادى الأولى صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر زينت البلد لعافية السلطان الملك الصالح لمرض أصابه ثم شفي منه.

وفي يوم الجمعة السادس عشره قبل العصر ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة تقي الدين السبكي إليها حاكماً بها فذهب الناس للسلام عليه ولتوديعه وذلك بعدما أرجف الناس به كثيراً واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى الطنبغا وإلى الفخري وكتبت فتوى عليه بذلك في تغريمه وداروا بها على المفتيين فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفي رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة وسئلت في الإفتاء عليها فامتنعت لما فيها من التشويش على الحكام وفي أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويفتوا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف وكانوا له في نية عجيبة ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية فسار إليها صحبة البريد ليلة الأحد وخرج الكبراء والأعيان لتوديعه وفي خدمته.

استهل جمادى الآخرة والتجريدة عمالة إلى الكرك والجيش المجردون من الحلقة قريب من ألف أو يزيدون.

ولما كان يوم الثلاثاء رابعه بعد الظهر مات الأمير علاء الدين أيدغمش نائب السلطنة بالشام المحروس فجأة في دار وحده بدار السعادة فدخلوا عليه وكشفوا أمره وأحصروا وخشوا أن يكون اعتراه سكتة ويقال إنه شفي فالله أعلم فانتظروا به إلى الغد احتياطاً فلما أصبح الناس اجتمعوا للصلاة عليه فصلي عليه خارج باب النصر حيث يصلى على الجنائز وذهبوا به إلى نحو القبلة ورام بعض أهله أن يدفن في تربة غبريال إلى جانب جامع القبيبات فلم يمكن ذلك فدفن قبلي الجامع على حافة الطريق ولم يتهيأ دفنه إلا إلى بعد الظهر من يومئذ وعملوا عنده ختمة ليلة الجمعة رحمه الله وسامحه.

واشتهر في أوائل هذا الشهر أن الحصار عمال على الكرك وأن أهل الكرك خرجت طائفة منهم فقتل منهم خلق كثير وقتل من الجيش واحد في الحصار فنزل القاضي وجماعة ومعهم شيء من الجوهر وتراضوا على أن يسلموا البلد فلما أصبح أهل الحصن تحصنوا ونصبوا المجانيق واستعدوا فلما كان بعد أيام رموا منجنيق الجيش فكسروا السهم الذي له وعجزوا عن نقله فحرقوه برأي أمراء المقدمين وجرت أمور فظيعة فالله يحسن العاقبة.

ثم وقعت في أواخر هذا الشهر بين الجيش وأهل الكرك وقعة أخرى وذلك أن جماعة من رجال الكرك خرجوا إلى الجيش ورموهم بالنشاب فخرج الجيش لهم من الخيام ورجعوا مشاة ملبسين بالسلاح فقتلوا من أهل الكرك جماعة من النصارى وغيرهم وجرح من العسكر خلق وقتل واحد أو اثنان وأسر الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص وقتل أمير العرب وأسر آخرون فاعتقلوا بالكرك وجرت أمور منكرة ثم بعدها تعرض العسكر راجعين إلى بلادهم لم ينالوا مرادهم منها وذلك أنهم دقّهم البرد الشديد وقلة الزاد وحاصروا أولئك شديداً بلا فائدة فإن البلد بريد متطاولة ومجانيق ويشق على الجيش الإقامة هناك في زمان كوانين والمنجنيق الذي حملوه معهم كسر فرجعوا ليتأهبوا لذلك.

ولما كان في يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه قدم من الديار المصرية

على البريد القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتباً على السر عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين ومعه كتاب بالاحتياط على حواصل أخيه شهاب الدين وعلى حواصل القاضي عماد الدين بن الشيرازي المحتسب فاحتيط على أموالهما وأخرج من في ديارهما من الحرم وضربت الأخشاب على الأبواب ورسم على المحتسب بالعذراوية فسأل أن يحول إلى دار الحديث الأشرفية فحول إليها.

وأما القاضي شهاب الدين فكان قد خرج ليلتقي الأمير سيف الدين تقزدمر الحموي الذي جاء تقليده بنيابة الشام بدمشق وكان بحلب وجاء هذا الأمر وهو في أثناء الطريق فرسم برجعته ليصادر هو والمحتسب ولم يدر الناس ما ذنبهما.

وفي يوم الأحد ثامن شهر رجب آخر النهار رجع قاضي القضاة تقي الدين السبكي إلى دمشق على القضاء ومعه تقليد بالخطابة أيضاً وذهب الناس إليه للسلام عليه ودخل نائب السلطنة الأمير سيف الدين تقزدمر الحموي بعد العصر الخامس عشرينه من حلب فتلقاه الأمراء إلى طريق القابون ودعا له الناس دعاء كثيراً وأحبوه لبغضهم النائب الذي كان قبله وهو علاء الدين أيدغمش سامحه الله تعالى فنزل بدار السعادة وحضر الموكب صبيحة يوم الاثنين واجتمع طائفة من العامة وسألوه أن لا يغير عليهم خطيبهم تاج الدين عبد الرحيم بن جلال الدين فلم يلتفت إليهم بل عمل تقليد القاضي تقي الدين السبكي الخطابة ولبس الخلعة وأكثر العوام لما سمعوا بذلك الكلام والغوغاء وصاروا يجتمعون حلقا حلقا بعد الصلوات ويكثرون الفرحة في ذلك لما منع ابن الجلال ولكن بقي هذا لم يباشر السبكي في المحراب واشتهر عن العوام كلام كثير وتوعدوا السبكي بالسفاهة عليه إن خطب وضاق بذلك ذرعا ونهوا عن ذلك فلم ينتهوا وقيل لهم ولكثير منهم: الواجب عليكم السمع والطاعة لأولي الأمر ولو أمر عليكم عبد حبشي فلم يرعووا.

فلما كان يوم الجمعة العشرين منه اشتهر بين العامة بأن القاضي نزل عن الخطابة لابن الجلال ففرح العوام بذلك وحشدوا في الجامع وجاء نائب السلطنة إلى المقصورة والأمراء معه وخطب ابن الجلال على العادة وفرح الناس بذلك وأكثروا من الكلام والهرج ولما سلم عليهم الخطيب حين صعد ردوا عليه رداً بليغاً وتكلفوا في ذلك وأظهروا بغضة القاضي السبكي وتجاهروا بذلك وأسمعوه كلاماً كثيرا ولما قضيت الصلاة قرئ تقليد النيابة على السدة وخرج الناس فرحين بخطيبهم لكونه استمر عليهم واجتمعوا عليه يسلمون ويدعون له.

وفي يوم الأربعاء ثالث شعبان درس القاضي برهان الدين بن عبد الحق بالمدرسة العذراوية بمرسوم سلطاني بتوليته وعزل القحفازي وعقد لهما مجلس يوم الثلاثاء بدار العدل فرجح جانب القاضي برهان الدين لحاجته وكونه لا وظيفة له.

وفي يوم الجمعة خامسه توفي الشيخ الصالح شهاب الدين

■ أحمد بن الجزري أحد المسندين المكثرين الصالحين مات عن خمس وتسعين سنة رحمه الله وصلي عليه يوم الجمعة بالجامع المظفري ودفن بالرواحية.

وفي يوم الأربعاء السابع عشر منه توفي الشيخ الإمام العالم العماد الناسك الصالح الشيخ شمس الدين

■ محمد بن الوزير خطيب الجامع الكريمي بالقبيبات وصلي عليه بعد الظهر يومئذ بالجامع المذكور ودفن قبلي الجامع المذكور إلى جانب الطريق من الشرق رحمه الله.

واشتهر في أوائل رمضان أن مولوداً ولد له رأسان وأربع أيد وأحضر إلى بين يدي نائب السلطنة وذهب الناس للنظر إليه في محلة ظاهر باب الفراديس يقال لها حكر الوزير وكنت فيمن ذهب إليه في جماعة من الفقهاء يوم الخميس ثالث الشهر المذكور بعد العصر فأحضره أبوه - واسم أبيه سعادة - وهو رجل من أهل الجبل فنظرت إليه فإذا هما ولدان مستقلان فكل قد اشتبكت أفخاذهما بعضهما ببعض وركب كل واحد منهما ودخل في الآخر والتحمت فصارت جثة واحدة وهما ميتان فقالوا أحدهما ذكر والآخر أنثى وهما ميتان حال رؤيتي إليهما وقالوا إنه تأخر موت أحدهما عن الآخر بيومين أو نحوهما وكتب بذلك محضر جماعة من الشهود.

وفي هذا اليوم احتيط على أربعة من الأمراء وهم أبناء الكامل صلاح الدين محمد أمير طبلخاناه وغياث الدين محمد أمير عشرة وعلاء الدين علي وابن أبيك الطويل طبلخاناه أيضا وصلاح الدين خليل بن بلبان طرنا طبلخاناه أيضا وذلك بسبب أنهم اتهموا على ممالأة الملك أحمد بن الناصر الذي في الكرك ومكاتبته والله أعلم بحالهم فقيدوا وحملوا إلى القلعة المنصورة من باب السر مقابل باب دار السعادة الثلاثة الطبلخاناه والغياث من بابها الكبير وفرق بينهم في الأماكن.

وخرج المحمل يوم الخميس خامس عشره ولبس الخطيب ابن الجلال خلعة استقرار الخطابة في هذا اليوم وركب بها مع القضاة على عادة الخطباء.

وفي هذا الشهر نصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر وطول أكتافه ثمانية عشر ذراعا وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعا وخرج الناس للفرجة عليه ورمي به في يوم السبت الرابع والعشرين منه حجر زنته ستون رطلا فبلغ إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير وذكر معلم المجانيق أنه ليس في حصون الإسلام مثله وأنه عمله الحاج محمد الصالحي ليكون بالكرك فقدر الله أنه خرج ليحاصر به الكرك فالله يحسن العاقبة.

وفي أواخره أيضا مسك أربعة أمراء وهم أقبغا عبد الواحد الذي كان مباشراً الأستادارية للملك الناصر الكبير فصودر في أيام ابنه المنصور وأخرج إلى الشام فناب بحمص فسار سيرة غير مرضية وذمه الناس وعزل عنها وأعطي تقدمة ألف بدمشق وجعل رأس الميمنة فلما كان في هذه الأيام اتهم بممالأة السلطان أحمد بن الناصر الذي بالكرك فمسك وحمل إلى القلعة ومعه الأمير سيف الدين بلو والأمير سيف الدين حطية الذي كان مباشراً الحجوية في أيام الطنبغا والأمير سيف الدين سلامش وكلهم بطبلخاناه فرفعوا إلى القلعة المنصورة فالله يحسن العاقبة.

وفي هذا الشهر خرج قضاء حمص عن نيابة دمشق بمرسوم سلطاني مجدد للقاضي شهاب الدين البارزي وذلك بعد مناقشة كثيرة وقعت بينه وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي وانتصر له بعض الدولة واستخرج له المرسوم المذكور.

وفيه أيضاً أفرد قضاء القدس الشريف أيضا باسم القاضي شمس الدين بن سالم الذي كان مباشرها مدة طويلة قبل ذلك نيابة ثم عزل عنها وبقي مقيما ببلدة غزة ثم أعيد إليها مستقلا بها في هذا الوقت.

وفي هذا الشهر رجع القاضي شهاب الدين بن فضل الله من الديار المصرية ومعه توقيع بالمرتب الذي كان له أولا كل شهر ألف درهم وأقام بعمارته التي أنشأها بسفح قاسيون شرقي الصالحية بقرب حمام النحاس.

وفي صبيحة مستهل ذي القعدة خرج المنجنيق قاصدا إلى الكرك على

الجمال والعجل وصحبته الأمير صارم الدين إبراهيم المسبقي أمير حاجب كان في الدولة السكرية وهو المقدم عليه يحوطه ويحفظه ويتولى تسييره بطلبه وأصحابه وتجهز الجيش للذهاب إلى الكرك وتأهبوا أتم الجهاز، وبرزت أثقالهم إلى ظاهر البلد وضربت الخيام فالله يحسن العاقبة.

وفي يوم الاثنين رابعه توفي الطواشي شبل الدولة كافور السكري ودفن صبيحة يوم الثلاثاء خامسه في تربته التي أنشأها قديما ظاهر باب الجابية تجاه تربة الطواشي ظهير الدين الخازن بالقلعة كان قبيل مسجد الذبان رحمه الله وكان قديما للصاحب تقي الدين توبة التكريتي ثم اشتراه تنكز بعد مدة طويلة من ابني أخيه صلاح الدين وشرف الدين بمبلغ جيد وعوضهما إقطاعا بزيادة على ما كان بأيديهما وذلك رغبة في أمواله التي حصلها من أبواب السلطنة وقد تغضّب عليه أستاذه تنكز رحمه الله في وقت وصودر وجرت عليه فصول ثم سلم بعد ذلك ولما مات ترك أموالا جزيلة وأوقافا جيدة رحمه الله وخرجت التجريدة يوم الأربعاء سادسه والمقدم عليها الأمير بدر الدين بن الخطير ومعه مقدم آخر وهو الأمير علاء الدين بن قراسنقر.

وفي يوم السبت سلخ هذا الشهر توفي الشاب الحسن شهاب الدين أحمد بن فرج المؤذن بمأذنة العروس وكان شهيراً بحسن الصوت ذا حظوة عظيمة عند أهل البلد وكان رحمه الله كما في النفس وزيادة في حسن الصوت الرخيم البليغ المطرب وليس في القراء ولا في المؤذنين قريب منه ولا من يدانيه في وقته وكان في آخر وقته على طريقة حسنة وعمل صالح وانقطاع عن الناس وإقبال على شأن نفسه فرحمه الله وأكرم مثواه وصلي عليه بعد الظهر يومئذ ودفن عند أخيه بمقبرة الصوفية.

وفي يوم الخميس خامس ذي الحجة توفي الشيخ

■ بدر الدين بن بصخان شيخ القراء السبعة في البلد الشهير بذلك وصلي عليه بالجامع بعد الظهر يومئذ ودفن ببيان الفراديس رحمه الله.

وفي يوم الأحد تاسعه وهو يوم عرفة حضر الإقراء بتربة أم الصالح عوضا عن الشيخ بدر الدين بن بصخان القاضي شهاب الدين أحمد ابن النقيب البعلبكي وحضر عنده جماعة من الفضلاء وبعض القضاة وكان حضوره بغتة وكان متمرضا فألقى شيئا من القراءات والإعراب عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِم﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وفي أواخر هذا الشهر غلا السعر جدا وقل الخبز وازدحم الناس على الأفران زحمة عظيمة وبيع خبز الشعير المخلوط بالزيوان والنقارة وبلغت الغرارة بمائة وستة وثمانين درهما وتقلص السعر جداً حتى بيع الخبز كل رطل بدرهم وفوق ذلك بيسير ودونه بحسب طيبه ورداءته فإنا لله وإنا إليه راجعون وكثر السؤال وجاع العيال وضعف كثير من الأشياء والأحوال ولكن لطف الله عظيم فإن الناس مترقبون مغلا هائلا لم يسمع بمثله من مدة سنين عديدة وقد اقترب أوانه وشرع كثير من البلاد في حصاد الشعير وبعض القمح مع كثرة الفول وبوادر التوت فلولا ذلك لكان غير ذلك ولكن لطف الله بعباده وهو الحاكم المتصرف الفعال لما يريد لا إله إلا هو.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر عماد الدنيا والدين إسماعيل ابن الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلاري وقضاته بها هم المتقدم ذكرهم في العام الماضي ونائبه بدمشق الأمير سيف الدين تقزدمر الحموي وقضاته هم المتقدم ذكرهم وكذلك الصاحب والخطيب وناظر الجامع والخزانة ومشد الأوقاف وولاية المدينة.

استهلت والجيوش المصرية والشامية محيطة بحصن الكرك محاصرون ويبالغون في أمره والمنجنيق منصوب وأنواع آلات الحصار كثيرة وقد رسم بتجريدة من مصر والشام أيضاً تخرج إليها.

وفي يوم الخميس عاشر صفر دخلت التجريدة من الكرك إلى دمشق واستمرت التجريدة الجديدة على الكرك ألفان من مصر وألفان من الشام والمنجنيق منقوض موضوع عند الجيش خارج الكرك والأمور متوقفة وبرد الحصار بعد رجوع الأحدي إلى مصر.

وفي يوم السبت ثاني ربيع الأول توفي السيد الشريف عماد الدين الخشاب بالكوشك في درب السيرجي جوار المدرسة العزية وصلي عليه ضحى بالجامع الأموي ودفن بمقابر باب الصغير وكان رجلا شهما كثير العبادة والمحبة للسنة وأهلها ممن واظب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به وكان من جملة أنصاره وأعوانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الذي بعثه إلى صيدنايا مع بعض القسيسين فلوث يده بالعذرة وضرب اللحمة التي يعظمونها هنالك وأهانها غاية الإهانة لقوة إيمانه وشجاعته رحمه الله وإيانا.

وفي يوم الخميس سابعه اجتمع الصاحب ومشد الدواوين ووكيل بيت المال ومشد الأوقاف ومباشرو الجامع ومعهم العمالين بالنول والمعاول بحفرون إلى جانب السارية عند باب مشهد علي تحت تلك الصخرة التي كانت هناك وذلك عن قول رجل جاهل زعم أن هناك مالا مدفوناً فشاوروا نائب السلطنة فأمرهم بالحفر واجتمع الناس والعامة فأمرهم فأخرجوا وأغلقت أبواب الجامع كلها ليتمكنوا من الحفر ثم حفروا ثانياً وثالثاً فلم يجدوا شيئاً إلا التراب المحض واشتهر هذا الحفير في البلد وقصده الناس للنظر إليه والتعجب من أمره وانفصل الحال على أن حبس هذا الزاعم لهذا المحال وطم الحفير كما كان.

وفي يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول قدم قاضي حلب ناصر الدين بن الخشاب على البريد مجتازاً إلى دمشق فنزل بالعادلية الكبيرة وأخبر أنه صلي على المحدث البارع الفاضل الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي المصري يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب رحمه الله ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة وكان قد أتقن طرفا جيداً في علم الحديث وحفظ أسماء الرجال وجمع وخرج.

وفي مستهل ربيع الآخر وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية الذي بالقرب من جامع المظفري وكانت جملة الدكاكين التي احترقت قريبا من مائة وعشرين دكاناً ولم ير حريق من زمان أكبر منه ولا أعظم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة سادسه رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن البلد كما يذكر في مآذن الجامع ففعل ذلك.

وفي يوم الثلاثاء عاشره طلب من القاضي تقي الدين السبكي قاضي قضاة الشافعية أن يقرض ديوان السلطان شيئاً من أموال الغياب التي تحت يده فامتنع من ذلك امتناعاً كثيرا فجاء شاد الدواوين وبعض حاشية نائب السلطنة ففتحوا مخزن الأيتام وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهراً ودفعوها إلى بعض العرب عما كان تأخر له في الديوان السلطاني ووقع أمر كبير لم

يعهد مثله.

■ (محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي).

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفي صاحبنا الشيخ الإمام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم شمس الدين محمد ابن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحمى سل ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال وتزايد ضعفه إلى أن توفي يومئذ قبل أذان العصر فأخبرني والده أن آخر كلامه أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فصلي عليه صبيحة يوم الخميس بالجامع المظفري وحضر جنازته قضاة البلد وأعيان الناس من العلماء والأمراء والتجار والعامة وكانت جنازته حافلة مليحة عليها ضوء ونور ودفن بالروضة إلى جانب قبر السيف ابن المجد رحمهما الله تعالى.

وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمائة فلم يبلغ الأربعين وحصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار وتفنن في الحديث والنحو والتصريف والفقه والتفسير والأصلين والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتعاليق مفيدة كثيرة وكان حافظا جيداً لأسماء الرجال وطرق الحديث عارفا بالجرح والتعديل بصيراً بعلل الحديث حسن الفهم له جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقيما على طريقة السلف واتباع الكتاب والسنة مثابرا على فعل الخيرات.

وفي يوم الثلاثاء سلخه درس بمحراب الحنابلة صاحبنا الشيخ الإمام العلامة شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي في حلقة الثلاثاء عوضا عن القاضي تقي الدين بن الحافظ رحمه الله وحضر عنده القضاة والفضلاء وكان درسا حسنا أخذ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وخرج إلى مسألة تفضيل بعض الأولاد.

وفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى خرجت التجريدة إلى الكرك مقدمان من الأمراء وهما الأمير شهاب الدين بن صبح والأمير سيف الدين قلاوون في أبهة عظيمة وتجمل وجيوش ونفقات وإزعاج كثيرة.

■ (حسن بن عمر السكاكيني).

وفي صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن ابن الشيخ محمد السكاكيني على ما ظهر منه من الرفض الدال على الكفر المحض شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره وأنه رافضي جلد فمن ذلك تكفير الشيخين رضي الله عنهما وقذفه أمي المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد وإنما كان مرسلا إلى علي وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبحه الله وقد فعل وكان والده الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيداً وكانت له أسئلة على مذهب أهل الجبر ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني ما مات حتى رجع عن مذهبه وصار إلى قول أهل السنة فالله أعلم وأخبرت أن ولده حسنا هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة.

وفي ليلة الاثنين خامس شهر رجب وصل بدن الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام كان إلى تربته التي إلى جانب جامعه الذي أنشأه ظاهر باب النصر بدمشق نقل من الإسكندرية بعد ثلاث سنين ونصف أو أكثر بشفاعة ابنته زوجة الناصر عند ولده السلطان الملك الصالح فأذن في ذلك وأرادوا أن يدفن بمدرسته بالقدس الشريف فلم يمكن فجيء به إلى تربته بدمشق وعملت له الختم وحضر القضاة والأعيان رحمه الله.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان المبارك توفي صاحبنا الأمير صلاح الدين

■ يوسف التكريتي ابن أخي الصاحب تقي الدين بن توبة الوزير بمنزله بالقصاعين.

وكان شابا من أبناء الأربعين ذا ذكاء وفطنة وكلام وبصيرة جيدة.

وكان كثير المحبة إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ولأصحابه خصوصا ولكل من يراه من أهل العلم عموما وكان فيه إيثار وإحسان ومحبة الفقراء والصالحين ودفن بتربتهم بسفح قاسيون رحمه الله.

وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر منه قبل الظهر جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس لخفتها ولله الحمد والمنة ثم تواترت الأخبار بأنها شعثت في بلاد حلب شيئا كثيراً من العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلعة حلب وكثير من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها وأما في القلاع حولها فكثير جداً وذكروا أن مدينة منبج لم يسق منها إلا القليل وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم الله.

وفي أواخر شهر شوال خرجت التجاريد إلى الكرك وهما أميران مقدمان الأمير علاء الدين قراسنقر والأمير الحاج بيدمر.

واشتهر في هذه الأيام أن أمر الكرك قد ضعف وتفاقم عليهم الأمر وضاقت الأرزاق عندهم جداً ونزل منها جماعات من رؤسائها وخاصكية الأمير أحمد بن الناصر مخامرين عليه فسيروا من الصبح إلى قلاوون وصحبتهم مقدمون من الحلقة إلى الديار المصرية وأخبروا أن الحواصل عند أحمد قد قلت جداً فالله المسؤول أن يحسن العاقبة.

وفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة توفي القاضي الإمام العلامة

■ برهان الدين بن عبد الحق شيخ الحنفية وقاضي القضاة بالديار المصرية مدة طويلة بعد ابن الحريري ثم عزل وأقام بدمشق ودرس في أيام تقزدمر بالعذراوية لولده القاضي أمين الدين فذكر بها الدرس يوم الأحد قبل وفاة والده بثلاثة أيام وكان موت برهان الدين رحمه الله ببستانه من أراضي الأرزة بطريق الصالحية ودفن من الغد بسفح قاسيون بمقبرة الشيخ أبي عمر رحمه الله وصلي عليه بالجامع المظفري وحضر جنازته القضاة والأعيان والأكابر رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والديار الشامية وما يتعلق بذلك الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون.

وقضاته بالديار المصرية والشامية هم المذكورون في السنة المتقدمة.

ونائبه بمصر الحاج سيف الدين أَلْمَلِك ووزيره المتقدم ذكره وناظر الخاص القاضي مكين الدين بن قرونية وناظر الجيوش القاضي علم الدين بن القطب والمحتسب المتقدم وشاد الدواوين علم الدين الناصري وشاد الأوقاف الأمير حسام الدين بن النجيبي ووكيل بيت المال القاضي علاء الدين بن شمرنوخ وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب وبقية

المباشرين والنظار هم المتقدم ذكرهم.

وكاتب الدست القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر والقاضي أمين الدين بن القلانسي والقاضي شهاب الدين بن القيسراني والقاضي شرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود والقاضي علاء الدين بن شمرنوخ.

شهر المحرم أوله السبت استهل والحصار واقع بقلعة الكرك وأما البلد فأخذ واستتيب فيه الأمير سيف الدين قبلاي قدم إليها من الديار المصرية والتجاريد من الديار المصرية ومن دمشق محيطون بالقلعة والناصر أحمد بن الناصر ممتنع من التسليم ومن الإجابة إلى الإنابة ومن الدخول في طاعة أخيه وقد تفاقمت الأمور وطالت الحروب وقتل خلق كثير بسبب ذلك من الجيوش ومن أهل الكرك وقد توجهت القضية إلى خير إن شاء الله.

وقبل ذلك بأيام يسيرة هرب من قلعة الكرك الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادرآص الذي كان أسر في أوائل حصار الكرك وجماعة من مماليك الناصر أحمد كان اتهمهم بقتل الشهيب أحمد الذي كان يعتني به ويحبه واستبشر الجيوش بنزول أبي بكر من عنده وسلامته من يده وجهزه إلى الديار المصرية على البريد معظما هذا والمجانيق الثلاثة مسلطة على القلعة من البلد تضرب عليها ليلا ونهارا وتدمر في بنائها من داخل فإن سورها لا يؤثر فيه شيء بالكلية.

ثم ذكر أن الحصار فتر ولكن مع الاحتياط على أن لا يدخل إلى القلعة ميرة ولا شيء مما يستعينون به على المقام فيها فالله المسؤول أن يحسن العاقبة.

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من صفر قدم البريد مسرعا من الكرك فأخبر بفتح القلعة وأن بابها أحرق وأن جماعة الأمير أحمد بن الناصر استغاثوا بالأمان ففتحت وخرج أحمد مقيداً وسير على البريد إلى الديار المصرية وذلك يوم الاثنين بعد الظهر الثالث والعشرين من هذا الشهر ولله عاقبة الأمور.

وفي صبيحة يوم الجمعة رابع ربيع الأول دقت البشائر بالقلعة وزينت البلد عن مرسوم السلطان الملك الصالح سرورا بفتح البلد واجتماع الكلمة عليه واستمرت الزينة إلى يوم الاثنين سابعه فرسم برفعها بعد الظهر فتشوش كثير من العوام وارجف بعض الناس بأن أحمد قد ظهر أمره وبايعه الأمراء الذين هم عنده وليس لذلك حقيقة ودخلت الأطلاب من الكرك صبيحة يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول بالطبلخاناه والجيوش واشتهر إعدام أحمد بن الناصر.

■ (أبو حيّان النحوي).

وفي يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول صلي بالجامع الأموي على الشيخ أمين الدين أبي حيان النحوي شيخ البلاد المصرية من مدة طويلة وكانت وفاته بمصر عن تسعين سنة وخمسة أشهر.

ثم اشتهر في ربيع الآخر قتل السلطان أحمد وحز رأسه وقطع يديه ودفن جثته بالكرك وحمل رأسه إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل وحضر بين يديه في الرابع والعشرين من هذا الشهر ففرح الناس بذلك ودخل الشيخ أحمد الزرعي على السلطان الملك الصالح فطلب منه أشياء كثيرة من تبطيل المظالم ومكوسات وإطلاق طبلخاناه للأمير ناصر الدين بن بكتاش وإطلاق أمراء محبوسين بقلعة دمشق وغير ذلك فأجابه إلى جميع ذلك وكان جملة المراسيم التي أجيب فيها بضعة وثلاثين مرسوماً.

فلما كان آخر شهر ربيع الآخر قدمت المراسيم التي سألها الشيخ أحمد من الملك الصالح فأمضيت كلها أو كثير منها وأفرج عن صلاح الدين ابن الملك الكامل والأمير سيف الدين بلو في يوم الخميس سلخ هذا الشهر ثم روجع في كثير منها فتوقف حالها.

وفي هذا الشهر عملت منارة خارج باب الفرج وفتحت مدرسة كانت داراً قديمة فجعلت مدرسة للحنفية ومسجداً وعملت طهارة عامة ومصلى للناس وكل ذلك منسوب إلى الأمير سيف الدين تقطمر الخليلي أمير حاجب كان وهو الذي جدد الدار المعروفة به اليوم بالقصاعين.

■ (محمد بن سليمان الجعبري).

وفي ليلة الاثنين عاشر جمادى الآخرة توفي صاحبنا المحدث تقي الدين محمد بن صدر الدين سليمان الجعبري زوج بنت الشيخ جمال الدين المزي والد شرف الدين عبد الله وجمال الدين إبراهيم وغيرهم وكان فقيها بالمدارس وشاهداً تحت الساعات وغيرها وعنده فضيلة جيدة في قراءة الحديث وشيء من العربية وله نظم مستحسن انقطع يومين وبعض الثالث وتوفي في الليلة المذكورة في وسط الليل وكنت عنده وقت العشاء الآخرة ليلتئذ وحدثني وضاحكني وكان خفيف الروح رحمه الله ثم توفي في بقية ليلته رحمه الله وكان أشهدني عليه بالتوبة من جميع ما يسخط الله عز وجل وأنه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله صلي عليه ظهر يوم الاثنين ودفن بمقابر باب الصغير عند أبويه رحمهم الله.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين شهر رجب خطب القاضي عماد الدين إسماعيل بن العز الحنفي بجامع تنكز خارج باب النصر عن نزول الشيخ نجم الدين علي بن داود القحفازي له عن ذلك وأيضا نائب السلطنة الأمير سيف الدين تقزدمر وحضوره عنده في الجامع المذكور يومئذ.

■ (أحمد بن حسام الدين الرومي).

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين رجب توفي القاضي الإمام العالم جلال الدين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرومي الحنفي وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد دمشق وحضره القضاة والأعيان ودفن بالمدرسة التي أنشأها إلى جانب الزردكاش قريبا من الخاتونية الجوانية وكان قد ولّي قضاء قضاة الحنفية في أيام ولاية أبيه الديار المصرية وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستمائة وأفتى في سنة سبعين وست مئة وقدموا الشام مع أبيه فأقاموا بها ثم لما ولّي الملك المنصور لاجين ولّى أباه قضاء الديار المصرية وولده هذا قضاء الشام ثم إنه عزل بعد ذلك واستمر على ثلاث مدارس من خيار مدارس الحنفية ثم حصل له صمم في آخر عمره وكان ممتعا بحواسه سواه وقواه وكان يذكر في العلم وغير ذلك.

وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان توفي الشيخ نجم الدين

■ علي بن داود القحفازي خطيب جامع تنكز ومدرس الظاهرية وقد نزل عنها قبل وفاته بقليل للقاضي عماد الدين إسماعيل بن العز الحنفي وصلي عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الظهر يومئذ وعند باب النصر وعند جامع جراح ودفن بمقبرة ابن الشيرجي عند والده وحضره القضاة والأعيان وكان أستاذا في النحو وله علوم أخر لكن كان نهاية في النحو والتصريف.

وفي هذا اليوم توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الشيخ

■ عبد الله الضرير الزرعي وصلي عليه بعد الظهر بالجامع الأموي وبباب النصر وعند مقابر الصوفية ودفن بها قريبا من الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وكان كثير التلاوة حسنها وصحيحها كثير العبادة يقرئ الناس من دهر طويل ويقوم بهم العشر الأخير من رمضان في محراب

الحنابلة بالجامع الأموي رحمه الله.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان المعظم توفي الشيخ الإمام العالم العامل العابد الزاهد الورع

■ أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي إمام محراب الصحابة الذي للمالكية وصلي عليه بعد الصلاة وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير وتأسف الناس عليه وعلى صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة ودفن إلى جانب قبر أبيه وأخيه إلى جانب قبر أبي الحجاج الفندلاوي المالكي قريبا من مسجد التاريخ رحمه الله وولي مكانه في المحراب ولده وهو طفل صغير فاستنيب له إلى حين صلاحيته جبره الله ورحم أباه.

وفي صبيحة ليلة الثلاثاء سادس رمضان وقع ثلج عظيم لم ير مثله بدمشق من مدة طويلة وكان الناس محتاجين إلى مطر فلله الحمد والمنة وتكاثف الثلج على الأسطحة وتراكم حتى أعيى الناس أمره ونقلوه عن الأسطحة إلى الأزقة يحمل ثم نودي بالأمر بإزالته من الطرقات فإنه سدها وتعطلت معايش كثير من الناس فعوض الله الضعفاء بعملهم في الثلج ولحق الناس كلفة كبيرة وغرامة كثيرة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان صلي بالجامع الأموي على غائب وهو الأمير علاء الدين الجاولي وقد تقدم شيء من ترجمته رحمه الله.

وفي أول شوال يوم عيد الفطر وقع فيه ثلج عظيم بحيث لم يمكن الخطيب من الوصول إلى المصلى ولا خرج نائب السلطنة بل اجتمع الأمراء والقضاة بدار السعادة وحضر الخطيب فصلى بهم العيد بهم وكثير من الناس صلوا العيد في البيوت.

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة درس قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي بالشامية البرانية عن الشيخ شمس الدين بن النقيب رحمه الله وحضر عنده القضاة والأعيان والأمراء وخلق من الفضلاء وأخذ في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغفر لي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ مِن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] وما بعدها.

وفي ذي الحجة استفتي في قتل كلاب البلد فكتب جماعة من أهل البلد في ذلك فرسم بإخراجهم يوم الجمعة من البلد الخامس والعشرين منه لكن إلى الخندق ظاهر باب الصغير وكان الأولى قتلهم بالكلية وإحراقهم لئلا يتأذى الناس ببنتن بريحهم على ما أفتى به الإمام مالك بن أنس من جواز قتل الكلاب ببلدة معينة للمصلحة إذا رأى الإمام ذلك [التمهيد: ٢٢٥/١٤ وما بعده الاستذكار: ١٩٦/٢٧] ولا يعارض ذلك النهي عن قتل أمة الكلاب [م (١٥٧٢، ١٥٧٣)] ولهذا كان عثمان بن عفان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام [أحمد: ٧٢/١].

ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين بالديار المصرية والشامية والحرمين والبلاد الحلبية وأعمال ذلك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور.

وقضاته بالديار المصرية والشامية هم المذكورون في السنة الماضية ونوّابه في البلاد هم المذكورون أيضا.

وفي يوم الجمعة سادس شهر المحرّم كملت عمارة الجامع الذي بالمزة الفوقانية الذي جدده وأنشأه الأمير بهاء الدين بن المرجاني الذي بنى والده مسجد الخيف بمنى وهو جامع حسن متسع فيه روح وانشراح تقبل الله من بانيه وعقدت فيه الجمعة بجمع كثير وجم غفير من أهل المزة ومن حضر من أهل البلد وكنت أنا الخطيب - يعني الشيخ عماد الدين المصنف تغمده الله برحمته - ولله الحمد والمنة ووقع كلام وبحث في مسألة اشتراط المحلل في المسابقة.

وكان سببه أن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية صنف فيه مصنفا من قبل ذلك ونصر فيه ما ذهب إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ثم صار يفتي به جماعة من الترك ولا يعزوه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاعتقد من اعتقد أنه قوله وهو مخالف للأئمة الأربعة فحصل عليه إنكار في ذلك وطلبه القاضي الشافعي وحصل كلام في ذلك وانفصل الحال على أن أظهر الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الموافقة للجمهور.

وفاة الملك الصالح إسماعيل

في يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة أظهر موت السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور آخر النهار وكان قد عهد بالأمر إلى أخيه لأبويه الملك الكامل سيف الدين أبي الفتوح شعبان، فجلس على سرير المملكة يوم الخميس رابعه وكان يوماً مشهوداً ثم قدم الخبر إلى دمشق عشية الخميس ليلة الجمعة الثاني عشر منه وكان البريد قد انقطع عن الشام نحو عشرين يوما للشغل بمرض السلطان فقدم الأمير سيف الدين بيعزا للبيعة للملك الكامل فركب عليه الجيش لتلقيه.

فلما كان صبيحة الجمعة أخذت البيعة من النائب والمقدمين وبقية الأمراء والجند للسلطان الملك الكامل بدار السعادة ودقت البشائر وزين البلد وخطب الخطباء يومئذ للملك الكامل جعله الله وجها مباركا على المسلمين.

وفي صبيحة يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الآخر درس القاضي جمال الدين حسين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي بالمدرسة الشامية البرانية نزل له أبوه عنها واستخرج له مرسوما سلطانيا بذلك فحضر عنده القضاة والأعيان وجماعة من الأمراء والفقهاء وجلس بين أبيه والقاضي الحنفي وأخذ في الدرس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لله الذي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥] وتكلم الشريف مجد الدين المتكلم في الدرس بكلام فيه نكارة ويشاعة فشنع عليه الحاضرون فاستتيب بعد انقضاء الدرس وحكم بإسلامه.

وقد طلب إلى الديار المصرية نائب دمشق الأمير سيف الدين تقزدمر وهو متمرض انقطع عن الجمعة بسبب المرض مرات والبريد يذهب إلى حلب، لمجيء نائبها الأمير سيف الدين يلبغا لنيابة دمشق وذكر أن الحاج أرقطاي تعين لنيابة حلب.

وفي يوم الجمعة رابع شهر جمادى الأولى خرجت أثقال الأمير سيف الدين تقزدمر النائب وخيوله وهجنه ومواليه وحواصله وطبلخاناته وأولاده في تجمل عظيم وأبهة هائلة جداً وخرجت المحافل والكحارات والمحفات لنسائه وبناته وأهله في هيبة عجيبة هذا كله وهو بدار السعادة.

فلما كان من وقت السحر في يوم السبت خامسه خرج الأمير سيف الدين تقزدمر بنفسه إلى الكسوة في محفة لمرضه مصحوباً بالسلامة فلما

طلعت الشمس من يومئذ قدم من حلب أستاذ دار الأمير سيف الدين يلبغا اليحياوي فتسلم دار السعادة وفرح الناس بهم وذهب الناس للتهنئة والتودد إليهم.

ولما كان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى خرج الجيش بكماله لتلقي نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا فدخل في تجمل عظيم ثم جاء فنزل عند باب السر وقبل العتبة على العادة ثم مشى إلى دار السعادة.

وفي عشية يوم الاثنين رابع عشره قطع نائب السلطنة ممن وجب قطعه من أهل الحبس ثلاثة عشر رجلا وأضاف إلى قطع اليد قطع الرجل من كل منهم لما بلغه أنه تكررت جناياتهم وصلب ثلاثة بالمسامير ممن وجب قتله ففرح الناس بذلك لقمعه المفسدين وأهل الشرور والعبث والفساد.

واشتهر في العشر الأوسط من جمادى الآخرة وفاة الأمير سيف الدين

■ تقزدمر بعد وصوله إلى الديار المصرية بأيام وكان ذلك ليلة الخميس مستهل هذا الشهر وذكر أنه رسم على ولده وأستاذ داره ودواداره وطلب منهم مال جزيل فالله أعلم.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره توفي القاضي علاء الدين

■ ابن العز الحنفي نائب الحكم ببستانه بالصالحية ودفن بها وذلك بعد عود المدرسة الظاهرية إليه وأخذه إياها من عمه القاضي عماد الدين إسماعيل كما قدمنا ولم يدرس فيها إلا يوما واحداً وهو متمرض ثم عاد إلى الصالحية فتمادى به مرضه إلى أن مات رحمه الله.

وخرج الركب إلى الحجاز الشريف يوم السبت حادي عشر شوال وخرج ناس وتجار كثير جداً وكان قد وقع قليل مطر فلما برزوا إلى الكسرة ونحوها ودونها ولم يخرج خلق كثير من البلد ووقع مطر عظيم جداً ففرح الناس به من جهة أن المطر كان قليلا جدا في شهر رمضان وهو كانون الأصم فلما وقع هذا استبشروا به وخافوا على الحجاج ضرره ثم تدارك المطر وتتابع ولله الحمد والمنة لكن ترحل الحجاج في أوحال كثيرة وزلق كثير والله المسلم والمعين والحامي.

ولما استقل الحجيج ذاهبين وقع عليهم مطر شديد بالصنمين فعوقهم أياما بها ثم تحاملوا إلى زُرَع فلم يصلوها إلا بعد جهد جهيد وأمر شديد ورجع كثير منهم وأكثرهم وذكروا أشياء عظيمة حصلت لهم من الشدة وقوة الأمطار وكثرة الأوحال ومنهم من كان تقدم إلى أرض بصرى فحصل لهم رفق بذلك والله المستعان.

وقيل إن نساء كثيرة من المخدرات مشين حفاة فيما بين زُرَع والصنمين وبعد ذلك وكان أمير الحاج سيف الدين ملك آص وقاضيه شهاب الدين بن الشجرة الحاكم بمدينة بعلبك يومئذ والله المستعان انتهى.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وليس له بمصر نائب.

وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب دمشق الأمير سيف الدين يلبغا اليحياوي وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها إلا أن قاضي القضاة عماد الدين بن إسماعيل الحنفي نزل عن القضاء لولده قاضي القضاة نجم الدين واستقل بالولاية وتدريس النورية وبقي والده على تدريس الريحانية.

■ (محمد بن محمد بن قوام).

وفي يوم الجمعة السادس عشر من المحرم من هذه السنة توفي الشيخ تقي الدين الشيخ الصالح محمد ابن الشيخ محمد بن قوام بزاويتهم بالسفح وصلي عليه الجمعة بجامع الأفرم ثم دفن بالزاوية وحضره القضاة والأعيان وخلق كثير وكان بينه وبين أخيه ستة أشهر وعشرون يوماً وهذا أشد من ذلك.

وفتحت في أول السنة القيسارية التي أنشأها الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة ظاهر باب الفرج وضمنت ضماناً باهراً بنحو من سبعة آلاف كل شهر وداخلها قيسارية تجارة في وسطها بركة ومسجد وظاهرها دكاكين وأعاليها بيوت للسكن.

وفي صبيحة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول عقد مجلس بمشهد عثمان للنور الخراساني وكان يقرأ القرآن في جامع تنكز ويعلم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة ادعي عليه فيه أنه تكلم في بعض الأئمة الأربعة وأنه تكلم في شيء من العقائد ويطلق عبارات زائدة على ما ورد به الحديث وشهد عليه بعض الشهود بأشياء متعددة فاقتضى الحال أن عزر في هذا اليوم وطيف به في البلد ثم رد إلى السجن معتقلا.

فلما كان يوم الخميس الثاني وعشرين منه شفع فيه الأمير أحمد بن مهنا ملك العرب عند نائب السلطنة فاستحضره بين يديه وأطلقه إلى أهله وعياله.

ولما كان تاريخ يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى صلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا اليحياوي الناصري بجامع تنكز ظاهر دمشق برا باب النصر وصلى عنده القاضي الشافعي والمالكي وكبار الأمراء ولما أقيمت الصلاة صلى وقعد بعض مماليكه عن الصلاة ومعه السلاح حراسة له ثم لما انصرف من الصلاة اجتمع بالأمراء المذكورين وتشاوروا طويلا ثم نهض النائب إلى دار السعادة فلما كان آخر النهار برز بخدمه ومماليكه وحشمه ووطاقه وسلاحه وحواصله ونزل قبلي مسجد القدم وخرج الجند والأمراء في آخر النهار وانزعج الناس واتفق طلوع القمر خاسفا ثم خرج الجيش ملبسا تحت الثياب وعليهم التراكيش بالنشاب والخيول والجنابات ولا يدري الناس ما الخبر وكان سبب ذلك أن نائب السلطنة بلغه أن نائب صفد قد ركب إليه ليقبض عليه فانزعج لذلك وقال: لا أموت إلا على ظهر أفراسي لا على فراشي وخرج الجند والأمراء خوفا من أن يفوتهم بالفرار فنزلوا يمنة ويسرة فلم يذهب من تلك المنزلة بل استمر بها يعمل النيابة ويجتمع بالأمراء جماعة وفرادى ويستميلهم إلى ما هو فيه من الرأي وهو خلع الملك الكامل شعبان لأنه يكثر من مسك الأمراء بغير سبب ويفعل أفعالا لا تليق بمثله وذكروا أموراً كثيرة وأن يولوا أخاه أمير حاجي بن الناصر لحسن شكالته وجميل فعله ولم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى أجابوه إلى ذلك ووافقوه عليه وسلموا له ما يدعيه وتابعوا على ما أشار إليه وبايعوه ثم شرع في البعث إلى نواب البلاد يستميلهم إلى ما تمالأ عليه الدمشقيون وكثير من المصريين وشرع أيضا في التصرف في الأمور العامة الكلية وأخرج بعض من كان الملك الكامل اعتقله بالقلعة المنصورة ورد إليه إقطاعه بعد ما بعث الملك الكامل إلى من أقطعه منشوره وعزل وولى وأخذ وأعطى وطلب التجار يوم الأربعاء ثامن عشره ليباع عليهم غلال الحواصل السلطانية فيدفعوا أثمانها في الحال ثم يذهبوا فيتسلموها من البلاد البرانية، وحضر عنده القضاة على العادة والأمراء والسادة وهذا كله وهو مخيم بالمكان المذكور لا يحصره بلد ولا

يحويه سور.

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة خرجت تجريدة نحو عشرة طليعة لتلقي من يقدم من الديار المصرية إمّا مقاتلاً أو مخامراً عليهم وهي ألفان بمقدّمين هذا كله والأخبار تقدُم من الديار المصرية باختلاف الأمراء على السلطان وأن الأمراء مبايعون للشامين وتقدم التجاريد من الديار المصرية من الأمراء وغيرهم بقاء الأمر على ما كان عليه فلم يصدقهم النائب وربما عاقب بعضهم ثم رفعهم إلى القلعة وأهل دمشق ما بين مصدق باختلاف المصريين وما بين قائل السلطان الكامل قائم الصورة مستمر على ما كان عليه والتجاريد المصرية واصلة قريباً ولا بد من وقوع خبطة عظيمة وتشوشت أذهان الناس وأحوالهم بسبب ذلك واللّه المسؤول أن يحسن العاقبة.

وحاصل القضية أن العامة ما بين تصديق وتكذيب ونائب السلطنة وخواصه من كبار الأمراء على ثقة من أنفسهم وأن الأمراء على خلف شديد في الديار المصرية بين السلطان الكامل شعبان وبين أخيه أمير حاجي والجمهور مع أخيه أمير حاجي.

ثم جاءت الأخبار إلى النائب بأن التجاريد المصرية خرجت تقصد الشام ومن فيه من الجند لتوطد الأمر ثم إنه تراجعت رؤوس الأمراء في الليل إلى مصر واجتمعوا إلى إخوانهم ممن هو ممالئ لهم على السلطان فاجتمعوا ودعوا إلى سلطنة أمير حاجي وضربت الطبلخاناه وصارت باقي النفوس متجاهرة على نية تأييده ونابذوا السلطان الكامل وعدوا عليه مساويه وقتل بعض الأمراء وفر الكامل وأنصاره فاحتيط عليه وخرج أرغون العلائي زوج ابنته واستظهر أيضا أمير حاجي فأجلسوه على السرير ولقبوه بالملك المظفر.

وجاءت الأخبار إلى النائب بذلك فضربت البشائر عنده وبعث إلى نائب القلعة فامتنع من ضربها وكان قد طلب إلى الوطاق فامتنع من الحضور وأغلق باب القلعة فانزعج الناس واختبط البلد وتقلص وجود الخبز وحصنت القلعة ودعوا للكامل بكرة وعشية على العادة وأرجف العامة بالجيش على عادتهم في كثرة فصولهم فحصل لبعضهم أذية.

فلما كان يوم الاثنين ثامن الشهر قدم نائب حماة إلى دمشق مطيعا لنائب السلطنة في تجمل وأبهة كما جرت به عادة أمثاله.

وفي هذا اليوم وقعت بطاقة بقدوم الأمير سيف الدين بيغرا حاجب الحجاب بالديار المصرية لأجل البيعة للسلطان الملك المظفر فدقت البشائر بالوطاق وأمر بتزيين البلد فزين الناس وليسوا منشرحين وأكثرهم يظن أن هذا مكر وخديعة وأن التجاريد المصرية واصلة قريبا وامتنع نائب القلعة من دق البشائر وبالغ في تحصين القلعة وغلق بابها فلا يفتح إلا الخوخة البرانية والجوانية وهذا الصنيع هو الذي يشوش خواطر العامة يقولون: لو كان ثَمّ شيء له صحة كان نائب القلعة يطلع على هذا قبل الوطاق.

فلما كان يوم الثلاثاء بعد الزوال قدم الأمير سيف الدين بيغرا إلى الوطاق وقد تلقوه وعظموه ومعه تقليد النيابة من المظفر إلى الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة وكتاب إلى الأمراء بالسلام ففرحوا بذلك وبايعوه وانتظمت الكلمة وللّه الحمد.

وركب بيغرا إلى القلعة فترجل وسل سيفه ودخل إلى نائب القلعة فبايعه سريعا ودقت البشائر في القلعة بعد المغرب حين بلغه الخبر وطابت أنفس الناس ثم أصبحت القلعة في الزينة وزادت الزينة في البلد وفرح الناس.

فلما كان يوم الخميس حادي عشر الشهر دخل نائب السلطنة من الوطاق إلى البلد والأطلاب بين يديه في تجمل وطبلخاناه على عادة العرض وقد خرج أهل البلد إلى الفرجة وخرج أهل الذمة بالتوراة وأشعلت الشموع وكان يوماً مشهوداً.

وقد صلى في شهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانية صبي عمره ست سنين وقد رأيته وامتحنته فإذا هو يجيد الحفظ والأداء وهذا من أغرب ما يكون.

وفي العشر الأول من هذا الشهر فرغ من بناء الحمامين اللذين بناهما نائب السلطنة بالقرب من الثابتية في خان السلطان العتيق وما حولها من الرباع والقرب وغير ذلك.

وفي يوم الأحد حادي عشره اجتمع نائب السلطنة والقضاة الأربعة ووكيل بيت المال والدولة عند تل المشنقين من أجل أن نائب السلطنة قد عزم على بناء هذه البقعة جامعا بقدر جامع تنكز فاشتوروا هنالك ثم انفصل الحال على أن يعمل واللّه ولي التوفيق.

■ (ابن تيمية، زين الدين).

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة صلي على الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن تيمية أخو الشيخ تقي الدين رحمهما اللّه تعالى بعد صلاة الظهر بالجامع وتبعه القضاة والأعيان وخلق كثير إلى المقبرة التي بالصوفية فدفن قِبْلي قبر أخيه، بينهما قبر ابن عمتهما عز الدين بن تيمية.

وفي يوم السبت ثاني عشره توفي الشيخ

■ علي القطناني بقطنا وكان قد اشتهر أمره في هذه السنين واتبعه جماعة من الفلاحين والشباب المتمين إلى طريقة أحمد بن الرفاعي وعظم أمره وسار ذكره وقصده الأكابر إلى بلده للزيارة مرات وكان يقيم السماعات على عادة أمثاله وله أصحاب يظهرون إشارة باطلة وأحوالا مفتعلة وهذا مما كان ينقم عليه بسببه فإنه إن لم يكن يعلم بحالهم فجاهل وإن كان يقرهم على ذلك فهو مثلهم واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

وفي أواخر هذا الشهر ـ أعني ذي الحجة من العيد وما بعده ـ اهتم ملك الأمراء في بناء الجامع الذي بناه تحت القلعة مكان تل المشنقين وهدم ما كان هناك من أبنية وعملت العجل وأخذت أحجار كثيرة من أرجاء البلد وأكثر ما أخذت الأحجار من الرحبة التي للحضريين من تحت المئذنة التي في رأس عقبة الكتّان وتيسر منها أحجار كثيرة والأحجار أيضا من جبل قاسيون وحمل على الجمال وغيرها.

وكان سلخ هذه السنة ـ أعني سنة سبع وأربعين وسبعمائة ـ قد بلغت غرارة القمح إلى مائتين فما دونها وربما بيعت بأكثر من ذلك فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك المظفر أمير حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون.

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين أرقطاي.

وقضاة مصر هم الذين كانوا في الماضية بأعيانهم.

ونائبه بالشام المحروسة سيف الدين يلبغا الناصري.

وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها بأعيانهم غير أن القاضي عماد الدين الحنفي نزل لولده قاضي القضاة نجم الدين فباشر في حياة أبيه.

وحاجب الحجاب فخر الدين إياس.

واستهلت هذه السنة ونائب السلطنة في همة عالية في عمارة الجامع الذي قد شرع في بنائه غربي سوق الخيل بالمكان الذي كان يعرف بتل المشتقين.

وفي ثالث المحرم توفي قاضي القضاة شرف الدين محمد بن أبي بكر الهمداني المالكي وصلي عليه بالجامع ودفن بتربته بميدان الحصا وتأسف الناس عليه لرياسته وديانة أخلاقه وإحسانه إلى كثير من الناس رحمه الله.

وفي يوم الأحد الرابع والعشرين من المحرم وصل تقليد قضاء المالكية للقاضي جمال الدين المسلاتي الذي كان نائبا للقاضي شرف الدين قبله وخلع عليه من آخر النهار.

وفي شهر ربيع الأول أخذوا لبناء الجامع المجدد بسوق الخيل أعمدة كثيرة من البلد وظاهر البلد يعلقون ما فوقه من البناء ثم يأخذونه ويقيمون بدله دعامة وأخذوا من درب الصيقل وأخذوا العمود الذي كان بسوق العلبيين الذي في تلك الدخلة على رأسه مثل الكرة فيها حديد.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر أنه كان فيه طلسم لعسر بول الحيوان إذا داروا حوله بالدابة ينحل أراقيها.

فلما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة قلعوه من موضعه بعد ما كان له في هذا الموضع نحواً من أربعة آلاف سنة والله أعلم وقد رأيته في هذا اليوم وهو ممدود في سوق العلبيين على الأخشاب ليجروه إلى الجامع المذكور من السوق الكبير ويخرجوا به من باب الجابية الكبير فلا إله إلا الله.

وفي أواخر شهر ربيع الآخر ارتفع بناء الجامع الذي أنشأه النائب وجفت العين التي كانت تحت جداره حين أسسوه ولله الحمد.

وفي سلخ ربيع الآخر وردت الأخبار من الديار المصرية بمسك جماعة من أعيان الأمراء كالحجازي وآقسنقر الناصري ومن لف لفهما فتحرك الجند بالشام ووقعت خبطة.

ثم استهل شهر جمادى الأولى والجند في حركة شديدة ونائب السلطنة يستدعي الأمراء إلى دار السعادة بسبب ما وقع بالديار المصرية وتعاهد هؤلاء على أن لا يؤذي أحداً أبداً وأن يكونوا يداً واحدة.

وفي هذا اليوم تحول ملك الأمراء من دار السعادة إلى القصر الأبلق واحترز لنفسه وكذلك حاشيته.

وفي يوم الأربعاء الرابع عشر منه قدم أمير من الديار المصرية على البريد ومعه كتاب من السلطان فيه التصريح بعزل ملك الأمراء يلبغا نائب الشام فقرئ عليه بحضرة الأمراء بالقصر الأبلق فتغمم لذلك وساءه وفيه طلبه إلى الديار المصرية على البريد ليولى نيابة الديار المصرية والظاهر أن ذلك خديعة له أظهر الامتناع وأنه لا يذهب إلى الديار المصرية أبدا وقال: إن كان السلطان قد استكثر علي ولاية دمشق فيوليني أي البلاد شاء فأنا راض بها ورد الجواب بذلك.

ولما أصبح من الغد وهو يوم الخميس خامس عشره ركب فخيم قريبا من الجسورة في الموضع الذي خيم فيه عام أول.

وفي هذا الشهر أيضا كما تقدم فبات ليلة الجمعة وأمر الأمراء بنصب الخيام هنالك على عادتهم عام أول.

فلما كان يوم الجمعة سادس عشره بعد الصلاة ما شعر الناس إلا والأمراء قد اجتمعوا تحت القلعة وأحضروا من القلعة سنجقين سلطانيين أصفرين وضربوا الطبول حربياً فاجتمعوا كلهم تحت السنجق السلطاني ولم يتأخر منهم سوى النائب وذويه كابنيه وإخوته وحاشيته والأمير سيف الدين قلاوون أحد مقدمي الألوف وخبزه أكبر أخباز الأمراء بعد النيابة فبعث إليه الأمراء أن هلم إلى السمع والطاعة للسلطان فامتنع من ذلك وتكررت الرسل بينهم وبينه فلم يقبل فساروا إليه في الطبلخاناه والبوقات ملبسين لأمة الحرب فلما انتهوا إليه وجدوه قد ركب خيوله ملبساً واستعد للهرب فلما واجههم هرب هو ومن معه وفروا فرار رجل واحد وساق الجند وراءه فلم يكتنفوا له غبارا وأقبل العامة وتركمان القبيبات فانتهبوا ما بقي في معسكره من الشعير والأغنام والخيام حتى جعلوا يقطعون الخيام والأطناب قطعاً قطعاً فعدم له ولأصحابه من الأمتعة ما يساوي ألف ألف درهم وانتدب لطلبه والمسير وراءه الحاجب الكبير الذي قدم من الديار المصرية قريبا والأمير شهاب الدين بن صبح أحد مقدمي الألوف فسار على طريق الأشرفية ثم عدل إلى ناحية القريتين.

ولما كان يوم الأحد قدم الأمير فخر الدين إياس نائب صفد منها فتلقاه الأمراء والمقدمون ثم جاء فنزل القصر وركب من آخر النهار في الجحافل ولم يترك بدمشق أحدا من الجند بدمشق إلا ركب معه وساق وراء يلبغا ومن معه، وأتبعهم الأزواد والأثقال وساق يلبغا فابتدأ نحو البرية فجعلت الأعراب يعترضونه من كل جانب وما زالوا يكفونه حتى سار نحو حماة فخرج نائبها وقد ضعف أمره جداً وكَلّ هو ومن معه من كثرة السوق ومصاولة الأعداء من كل جانب فألقى بيده وأخذ سيفه وسيوف من معه واعتقلوا بحماة وبعث بالسيوف إلى الديار المصرية.

وجاء الخبر إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء رابع عشر هذا الشهر فضربت البشائر بالقلعة وعلى باب الميادين على العادة وأحدقت العساكر بحماة من كل جانب ينتظرون ما رسم به السلطان من شأنه وقام إياس بجيش دمشق على حمص وكذلك جيش طرابلس ثم دخلت العساكر راجعة إلى دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر وقدم يلبغا وهو مقيد على كديش هو وأبوه وحوله الأمراء الموكلون به ومن معه من الجنود فدخلوا به بعد عشاء الآخرة فاجتازوا به في سوق السبقة، بعدما غلقت الأسواق وطفئت السرج وغلقت الطاقات ثم مروا على الشيخ رسلان والباب الشرقي على باب الصغير ثم من عند مسجد الذبان على المصلى واستمروا ذاهبين نحو الديار المصرية وتواترت البريدية من السلطان بما رسم به في أمره وأصحابه الذين خرجوا معه من الاحتياط على حواصلهم وأموالهم وأملاكهم وغير ذلك.

وقدم البريد من الديار المصرية يوم الأربعاء رابع جمادى الآخرة فأخبر بقتل يلبغا فيما بين قاقون غزة وأخذت رؤوسهما إلى السلطان وكذلك قتل بغزة الأمراء الثلاثة الذين خرجوا من مصر وحاكم الوزير ابن سرد بن البغدادي والدوادار طغيتمر وبيدمر البدري أحد المقدمين كان قد نقم عليه السلطان مسألة يلبغا فأخرجهم من مصر مسلوبين جميع أموالهم وسيرهم إلى الشام فلما كانوا بغزة لحقهم البريد بقتلهم حيث وجدهم وكذلك رسم بقتل يلبغا حيث التقاه من الطريق فلما انفصل البريد من غزة التقى يلبغا في طريق وادي فحمة فخنقه ثم احتز رأسه وذهب به إلى السلطان وقدم أميران من الديار المصرية بالحوطة على حواصل يلبغا وطواشي من بيت المملكة فتسلم مصاغا وجواهر نفيسة جداً ورسم ببيع أملاكه وما كان وقفه على الجامع الذي كان قد شرع بعمارته بسوق الخيل وكان قد اشتهر أنه وقف عليه القيسارية التي كان أنشأها ظاهر باب الفرج والحمامين المتجاورين ظاهر باب الجابية غربي خان السلطان العتيق وخصّصاً في قرايا

أخرى كان قد استشهد على نفسه بذلك قبل ذلك فاللّه أعلم ثم طلب بقية أصحابه من حماة فحملوا إلى الديار المصرية وعدم خبرهم فلا يدرى على أي صفة هلكوا.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة دخل الأمير سيف الدين أرغون شاه دمشق المحروسة نائبا عليها وكان قدومه من حلب انفصل عنها وتوجه إليها الأمير فخر الدين إياس الحاجب فدخلها أرغون شاه في أبهة النيابة وعليه خلعة وعمامة بطرفين وهو قريب الشكل من تنكز رحمه اللّه فنزل دار السعادة وحكم بها وفيه صرامة وشهامة.

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه صلي على الأمير

■ علاء الدين بن قراسنقر بالجامع الأموي وظاهر باب النصر وحضر القضاة والأعيان والأمراء ودفن بتربته بميدان الحصا بالقرب من جامع الكريمي.

وعملت ليلة النصف على العادة من إشعال القناديل ولم يشتغل الناس لما هم فيه من الغلاء وتأخر المطر وقلة الغلة وغلاء السعر كل رطل إلا أوقية بدرهم وهو متغير وسائر الأشياء غالية والزيت كل رطل بأربعة ونصف ومثله الشيرج والصابون والأرز والعنبريس كل رطل بثلاثة وسائر الأطعمات على هذا النحو وليس شيء قريب الحال سوى اللحم بدرهمين وربع ونحو ذلك وغالب أهل حوران يردون من الأماكن البعيدة ويجلبون القمح للمؤنة والبذار من دمشق وبيع عندهم القمح المغربل كل مد بأربعة دراهم وهم في جهد شديد واللّه هو المأمول المسؤول وإذا سافر أحد يشق عليه تحصيل الماء لنفسه ولفرسه ودابته لأن المياه التي في الدرب كلها نفذت وأما القدس فاشد حالا وأبلغ في ذلك.

ولما كان العشر الأخير من شعبان من هذه السنة مَنَّ اللّه سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على عباده بإرسال الغيث المتدارك الذي أحيى العباد والبلاد وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء في الأودية والغدران وامتلأت بركة زرع بعد أن لم يكن فيها قطرة وجاءت بذلك البشائر إلى نائب السلطنة وذكر أن الماء عم البلاد كلها وأن الثلج على جبل بني هلال كثير وأما الجبال التي حول دمشق فعليها ثلوج كثيرة جداً واطمأنت القلوب وحصل فرح شديد وللّه الحمد والمنة وذلك في آخر يوم بقي من تشرين الثاني.

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رمضان توفي الشيخ

■ عز الدين محمد الحنبلي بالصالحية وهو خطيب الجامع المظفري وكان من الصالحين المشهورين رحمه اللّه وكان كثيراً ما يلقن الأموات بعد دفنهم فلقنه اللّه حجته وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر

وفي العشر الأخير من رمضان جاء البريد من نائب غزة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد وقع بينه وبين الأمراء فتحيزوا عنه إلى قبة النسر فخرج إليهم في طائفة قليلة فقتل في الحال وسحب إلى مقبرة هناك ويقال: إنه قطع قطعا فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

ولما كان يوم الجمعة آخر النهار ورد من الديار المصرية أمير للبيعة لأخيه السلطان الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون فدقت البشائر في القلعة المنصورة وزين البلد في الساعة الراهنة من أمكن من الناس وما أصبح صباح يوم السبت حتى زين البلد بكماله وللّه الحمد على انتظام الكلمة واجتماع الألفة.

وفي يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الأمير فخر الدين إياس نائب حلب محتاطا عليه فاجتمع بالنائب في دار السعادة ثم أدخل القلعة مضيقا عليه ويقال: إنه قد فوض أمره إلى نائب دمشق فمهما فعل فيه فقد أمضى له فأقام بالقلعة المنصورة نحوا من جمعة ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية فلم يدر ما فعل به.

وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد اللّه

■ محمد بن عثمان الذهبي بتربة أم الصالح وصلي عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير وقدم ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه اللّه.

وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح رحم اللّه واقفها عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة وكان درسا مشهودا وللّه الحمد والمنة أوردت فيه حديث أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ قال: «إنما نَسَمَةُ المؤمن طَائِر يَعْلَقُ في شجر الجنة حتى يُرجعه اللّه تبارك وتعالى إلى جسده يوم يَبعثه» [أحمد: ٤٥٥/٣].

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائب السلطنة بجماعة انتهبوا شيئا من الباعة فقطعوا أيدي أحد عشر منهم وسمر عشرة تسميرا تعزيراً وتأديبا انتهى واللّه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة

استهلت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن ابن الناصر بن المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين بيبغا ووزيره منجك وقضاته عز الدين بن جماعة الشافعي وتقي الدين الأخنائي المالكي وعلاء الدين بن التركماني الحنفي وموفق الدين المقدسي الحنبلي وكاتب سره القاضي علاء الدين بن محيي الدين بن فضل اللّه العمري ونائب الشام المحروس بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري وحاجب الحجاب الأمير طيردمر الإسماعيلي.

والقضاة بدمشق قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي وقاضي القضاة نجم الدين الحنفي وقاضي القضاة جلال الدين المسلاتي المالكي وقاضي القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلي.

وكاتب سره القاضي ناصر الدين الحلبي الشافعي وهو قاضي العساكر بحلب ومدرس الأسدية بها أيضا مع إقامته بدمشق المحروسة.

وتواترت الأخبار بوقوع الوباء في أطراف البلاد فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك.

وكذا وقع بغزة أمر عظيم وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفا وقرئ البخاري في رُبعة يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول في هذه السنة وحضر القضاة وجماعة من الناس وقرأت بعد ذلك المقرئون

ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد.

وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق حماها الله وسلمها مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء.

وفي صبيحة يوم الأحد تاسعه اجتمع الناس بمحراب الصحابة وقرؤوا متوزعين سورة نوح ثلاثة آلاف مرة وثلاثمائة وثلاثة وستين مرة عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله ﷺ أرشده إلى قراءة ذلك كذلك.

وفي هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين وزاد الأموات كل يوم على المائة فإنا لله وإنا إليه راجعون وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلد قليل.

وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجم غفير ولا سيما من النساء فإن الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير وشرع الخطيب في القنوت في سائر الصلوات والدعاء برفع الوباء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرع وإنابة وكثرت الأموات في هذا الشهر جدا وزادوا على المائتين في كل يوم فإنا لله وإنا إليه راجعون وتضاعف عدد الموتى منهم وتعطلت مصالح الناس وتأخرت الموتى عن إخراجهم وزاد ضمان الموتى جدا فتضرر الناس ولا سيما الصعاليك فإنه يؤخذ على الميت شيء كثير جدا فرسم نائب السلطنة بإبطال ضمان النعوش والمغسلين والحمالين ونودي بإبطال ذلك في يوم الاثنين سادس عشر ربيع الآخر ووقع نعوش كثيرة في أرجاء البلد واتسع الناس بذلك ولكن كثرت الموتى فالله المستعان.

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله ويسألونه في رفع الوباء عنهم فصام أكثر الناس ونام الناس في الجامع وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان.

فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه خرج الناس يوم الجمعة من كل فج عميق إلى الصحراء واليهود والنصارى والسامرة والشيوخ والعجائز والصبيان والفقراء والأمراء والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار جدا وكان يوما مشهودا.

وفي يوم الخميس عاشر جمادى الأولى صلى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتا جملة واحدة فتهول الناس من ذلك وانذعروا وكان الموت يومئذ كثيرا ربما يقارب الثلاثمائة بالبلد وحواضره، فإنا لله وإنا إليه راجعون وصلي بعد الصلاة على خمسة عشر ميتا بجامع دمشق وصلي بجامع الخيل على إحدى عشرة نفسا رحمهم الله.

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد ربما ضرت الناس وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل أما تنجيسها الأماكن فكثير قد عم الابتلاء به وشق الاحتراز منه وقد جمعت جزءاً في الأحاديث الواردة في قتلهم واختلاف الأئمة في نسخ ذلك وقد كان عمر ﷺ يأمر في خطبته بذبح الحمام وقتل الكلاب ونص مالك في رواية ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بعينها إذا أذن الإمام في ذلك للمصلحة.

■ (عبد الرحمن بن المزي).

وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين منه توفي زين الدين عبد الرحمن ابن شيخنا الحافظ المزي بدار الحديث النورية وهو شيخها ودفن بمقابر الصوفية عند والده رحمهما الله تعالى.

وفي منتصف شهر جمادى الآخرة قوي الموت وتزايد وبالله المستعان ومات خلائق من الخاصة والعامة ممن نعرفهم وغيرهم رحمهم الله وأدخلهم جنته وبالله المستعان وكان يصلى في أكثر الأيام في الجامع على أزيد من مائة ميت فإنا لله وإنا إليه راجعون وبعض الموتى لا يؤتى بهم إلى الجامع وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عدد من يموت بها إلا الله عز وجل رحمهم الله آمين.

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين منه توفي الصدر شمس الدين

■ ابن الصباب التاجر السفار باني المدرسة الصبابية التي هي دار قرآن بالقرب من الظاهرية وهي قبلي العادلية الكبيرة وكانت هذه البقعة برهة من الزمان خربة شنيعة فعمرها هذا الرجل وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنابلة ووقف هو وغيره عليها أوقافا جيدة رحمه الله تعالى.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رجب صلي بعد الجمعة بالجامع الأموي على غائب: وهو القاضي علاء الدين

■ ابن قاضي شهبة ثم صلي على إحدى وأربعين نفسا جملة واحدة فلم يتسع داخل الجامع لصفهم بل خرجوا ببعض الموتى إلى ظاهر باب السر وخرج الخطيب والنقيب فصلى عليهم كلهم هناك وكان وقتا مشهودا وعبرة عظيمة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

■ (أفريدون).

وفي هذا اليوم توفي التاجر المسمى بأفريدون الذي بنى المدرسة التي بظاهر باب الجابية تجاه تربة بهادرآص حائطها من حجارة ملونة وجعلها داراً للقرآن العظيم ووقف عليها أوقافا جيدة وكان مشهورا مشكورا رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم السبت ثالث رجب صلي على الشيخ

■ علي المغربي أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية بالجامع الأفرمي بسفح قاسيون ودفن بالسفح رحمه الله وكانت له عبادة وزهادة وتقشف وورع ولم يتول في هذه الدنيا وظيفة بالكلية ولم يكن له مال بل كان يأتي بشيء من الفتوح يستنفقه قليلا قليلا وكان يعاني التصوف وترك زوجة وثلاثة أولاد رحمه الله.

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع رجب صلي على القاضي

■ زين الدين بن النجيح نائب القاضي الحنبلي بالجامع المظفري ودفن بسفح قاسيون وكان مشكورا في القضاء لديه فضائل كثيرة وديانة وعبادة وكان من أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية وكان قد وقع بينه وبين القاضي الشافعي مشاجرات بسبب أمور ثم اصطلحا فيما بعد ذلك.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره بعد آذان الظهر حصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غبارا شديدا اصفر الجو منه ثم اسود حتى أظلمت الدنيا وبقي الناس في ذلك نحوا من ربع ساعة يجأرون إلى الله عز وجل ويستغفرون ويكون مع ما هم فيه من شدة الموت الذريع ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام ما هم فيه من الطاعون فلم يزدد الأمر إلا شدة وبالله المستعان وبلغ المصلى عليهم في الجامع الأموي إلى نحو المائة وخمسين وأكثر من ذلك خارجاً عمن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد وممن يموت من أهل الذمة.

وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير يقال إنه بلغ ألفا في كثير من

الأيام فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وصلي بعد الظهر من هذا اليوم بالجامع المظفري على الشيخ

■ إبراهيم بن المحب الذي كان يحدث في الجامع الأموي وجامع تنكز وكان مجلسه كثير الجمع لصلاحه وحسن ما كان يؤديه من المواعيد النافعة ودفن بسفح قاسيون وكانت جنازته حافلة رحمه الله.

وعملت المواعيد بالجامع الأموي ليلة سبع وعشرين من رجب يقولون ليلة المعراج ولم يجتمع الناس فيه على العادة لكثرة من مات منهم ولشغل كثير من الناس بمرضاهم وموتاهم.

واتفق في هذه الليلة أنه تأخر جماعة من الناس في الخيم ظاهر البلد فجاؤوا ليدخلوا من باب النصر على عادتهم في ذلك فكأنه اجتمع خلق منهم بين البابين فهلك كثير منهم كنحو ما يهلك الناس في هذا الحين على الجنائز فانزعج نائب السلطنة فخرج فوجدهم فأمر بجمعهم فلما أصبح الناس أمر بتسميرهم ثم عفا عنهم وضرب متولي البلد ضربا شديداً وسمر نائبه في الليل وسمر البواب بباب النصر وأمر أن لا يمشي أحد بعد عشاء الآخرة ثم سمح لهم في ذلك.

واستهل شهر شعبان والغناء في الناس كثير جداً وربما أنتنت البلد فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وتوفي الشيخ

■ شمس الدين بن الصلاح مدرس القيمرية الكبيرة بالمطرزيين يوم الخميس ثالث عشر شعبان.

وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان صلي بعد الصلاة على جماعة كثيرة منهم القاضي عماد الدين

■ ابن الشيرازي محتسب البلد وكان من أكابر رؤساء دمشق، وولي نظر الجامع مدة وفي بعض الأوقات نظر الأوقاف وجمع له في وقت بينهما ودفن بسفح قاسيون.

وفي العشر الأخير من شهر شوال توفي الأمير سيف الدين

■ قرابغا دويدار النائب بداره غربي حكر السماق وقد أنشأ له إلى جانبها تربة ومسجداً وهو الذي أنشأ السويقة المجددة عند داره وعمل لها بابين شرقياً وغربياً وضمنت بقيمة كثيرة بسبب جاهه ثم بارت وهجرت لقلة الحاجة إليها وحضر الأمراء والقضاة والأكابر جنازته ودفن بتربته هناك وترك أموالا جزيلة وحواصل كثيرة جداً أخذه مخدومه نائب السلطنة.

■ (عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحمن القزويني).

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر ذي القعدة توفي خطيب الجامع الخطيب تاج الدين عبد الرحيم ابن القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني بدار الخطابة مرض يومين وأصابه ما أصاب الناس من الطاعون وكذلك عامة أهل بيته من جواريه وأولاده.

وتبعه أخوه بعد يومين صدر الدين عبد الكريم.

وصلي على الخطيب

■ تاج الدين بعد الظهر يومئذ عند باب الخطابة ودفن بتربتهم بالصوفية عند أبيه وأخويه بدر الدين محمد وجمال الدين عبد الله رحمهم الله.

وفي يوم الخميس تاسعه اجتمع القضاة وكثير من الفقهاء المفتين عند نائب السلطنة بسبب الخطابة فطلب إلى المجلس الشيخ جمال الدين بن محمود بن جملة فولاه إياها نائب السلطنة وانتزعت من يده وظائف كان يباشرها ففرقت على الناس فولي القاضي بهاء الدين أبو البقاء تدريس الظاهرية البرانية وتوزع الناس بقية جهاته ولم يبق بيده سوى الخطابة وصلى بالناس يومئذ الظهر ثم خلع عليه في بكرة نهار الجمعة وصلى بالناس يومئذ وخطبهم على قاعدة الخطباء.

وفي يوم عرفة وكان يوم السبت توفي القاضي شهاب الدين

■ ابن فضل الله كاتب الأسرار الشريفة بالديار المصرية والبلاد الشامية ثم عزل عن ذلك ومات وليس يباشر شيئا من ذلك من رياسة وسعادة وأموال جزيلة وأملاك ومرتبات كثيرة وعمر داراً هائلة بسفح قاسيون بالقرب من الركنية شرقيها ليس بالسفح مثلها وقد انتهت إليه رياسة الإنشاء وكان يشبه بالقاضي الفاضل في زمانه وله مصنفات عديدة بعبارات سعيدة.

وكان حسن المذاكرة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق يحب العلماء والفقراء ولم يجاوز الخمسين توفي بدارهم داخل باب الفراديس وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بالسفح مع أبيه وأخيه بالقرب من اليغمورية سامحه الله وغفر له.

وفي هذا اليوم توفي الشيخ أبو عبد الله

■ ابن رشيق المغربي كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية كان أبصر بخط الشيخ منه إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا وكان سريع الكتابة لا بأس به ديناً عابداً كثير التلاوة حسن الصلاة له عيال وعليه ديون رحمه الله وغفر له آمين.

ثم دخلت سنة خمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك من البلاد الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون.

ونائب الديار المصرية ومدبّر ممالكه والأتابك سيف الدين بيبغا وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري.

وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها وكذلك أرباب الوظائف سوى الخطيب وسوى المحتسب.

وفي هذه السنة ولله الحمد تقاصر أمر الطاعون جدا ونزل ديوان المواريث إلى العشرين وما حولها بعد أن بلغ الخمسمائة في أثناء سنة تسع واربعين ثم تقدم ولكن لم يرتفع بالكلية.

فإن في يوم الأربعاء رابع شهر الله المحرم توفي الفقيه شهاب الدين

■ أحمد بن الثقة هو وابنه وأخوه في ساعة واحدة بهذا المرض وصلي عليهم جميعا ودفنوا في قبر واحد رحمهم الله تعالى.

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفي صاحبنا الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع ناصر الدين

■ محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي مدرس العمادية كان رحمه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن وخلق حسن جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر باشر تقي الدين بن رافع المحدث مشيخة دار الحديث النورية وحضر عنده جماعة من الفضلاء والقضاة والأعيان انتهى والله تعالى أعلم.

مسك نائب السلطنة أرغون شاه

وفي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول مسك نائب السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه وكان قد انتقل إلى القصر الأبلق بأهله فما شعر بوسط الليل إلا ونائب طرابلس الأمير سيف الدين الجي بغا المظفري الناصري ركب إليه في طائفة من الأمراء الألوف وغيرهم فأحاطوا به ودخل عليه من دخل وهو مع جواريه نائم فخرج إليهم فقبضوا عليه وقيدوه ورسموا عليه وأصبح الناس أكثرهم لا يشعر بشيء مما وقع فتحدث الناس بذلك واجتمعت الأتراك إلى الأمير سيف الدين الجي بغا المذكور ونزل بظاهر البلد واحتيط على حواصل أرغون شاه فبات عزيزاً وأصبح ذليلا وأمسى علينا نائب السلطنة فأصبح وقد أحاط به الفقر والمسكنة فسبحان من بيده الأمر مالك الملك يُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل مَنْ تَشَاءُ وهذا كما قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ. أَوَ أَمِنَ أَهلُ القرى ان يأتيهم بَأْسُنَا ضُحًى وهُمْ يَلْعَبُونَ. أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلا القَومُ الخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٧- ٩٩] ثم لما كان ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول أصبح مذبوحاً فأثبت محضر بأنه ذبح نفسه فالله تعالى أعلم.

كائنة عجيبة غريبة جداً

ثم لما كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين وسبعمائة وقع اختلاف بين جيش دمشق وبين الأمير سيف الدين الجي بغا نائب طرابلس الذي جاء فأمسك نائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ليلة الخميس وقتله ليلة الجمعة كما تقدم وأقام بالميدان الأخضر يستخلص أمواله وحواصله ويجمعها عنده فأنكر عليه الأمراء الكبار وأمروه أن يحمل الأموال إلى قلعة السلطان فلم يقبل منهم فاتهموه في أمره وشكوا في الكتاب الذي على يده من الأمر بمسكه وقتله وركبوا ملبسين تحت القلعة وأبواب الميادين وركب هو في أصحابه وهم في دون المائة وقائل يقول هم ما بين السبعين إلى الثمانين والتسعين. جعلوا يحملون على الجيش حمل المستقبلين إنما يدافعهم مدافعة المتبرمين وليس معهم مرسوم بقتلهم ولا قتالهم فلهذا ولّى أكثرهم منهزمين فخرج جماعة من الجيش حتى بعض الأمراء المقدمين وهو الأمير الكبير سيف الدين الجي بغا العادلي فقطعت يده اليمنى وقد قارب التسعين وقتل آخرون من أجناد الحلقة والمستخدمين ثم انفصل الحال على أن أخذ الجي بغا المظفري من خيول أرغون شاه المرتبطة في اسطبله ما أراد ثم انصرف من ناحية المزة صاعداً على عقبتها ومعه الأموال التي جمعها من حواصل أرغون شاه واستمر ذاهباً ولم يتبعه أحد من الجيش وصحبته الأمير فخر الدين إياس الذي كان حاجباً وناب في حلب في العام الماضي فذهبا بمن معهما إلى طرابلس وكتب أمراء الشام إلى السلطان يعلمونه بصورة ما وقع فجاء البريد بأنه ليس عند السلطان علم بما وقع بالكلية وأن الكتاب الذي جاء على يديه مفتعل وجاء الأمر لأربعة آلاف من الجيش الشامي أن يسيروا وراءه ليمسكوه ثم أضيف نائب صفد مقدماً على الجميع فخرجوا في العشر الأول من ربيع الآخر.

وفي يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر خرجت العساكر في طلب سيف الدين الجي بغا الذي فعل الأفاعيل وخرج من دمشق بالسالمي بعدما قتل نائب سلطتها وجماعة من أهلها، وجرح خلقاً من أجنادها، وقطعت يد الأمير سيف الدين الجيبغا العادلي في المعركة وهو أحد أمراء الألوف المقدمين.

ولما كانت ليلة الخميس سابعه نودي بالبلد على من يقر بها من الأجناد أن لا يتأخر أحد عن الخروج بالغد فأصبحوا في سرعة عظيمة واستنيب في البلد نيابة عن النائب الراتب الأمير بدر الدين بن الخطير فحكم بدار السعادة على عادة النواب.

وفي ليلة السبت بين العشاءين سادس عشره دخل الجيش الذين خرجوا في طلب الجي بغا المظفري وهو معهم أسير ذليل حقير وكذلك الفخر أياس الحاجب مأسور معهم فأودعا في القلعة مهانين من جسر باب النصر الذي تجاه دار السعادة وذلك بحضور الأمير بدر الدين الخطير في دار السعادة وهو نائب الغيبة ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً ولله الحمد والمنة.

فلما كان يوم الاثنين الثامن عشر منه خرجا من القلعة إلى سوق الخيل فوسطا بحضرة الجيش وعلقت جثتيهما على الخشب ليراهما الناس فمكثا أياما ثم أنزلا فدفنا بمقابر المسلمين.

وفي أوائل شهر جمادى الآخرة جاء الخبر بموت نائب حلب سيف الدين

■ قُطليشا ففرح كثير من الناس بموته وذلك لسوء أعماله في مدينة حماة في زمن الطاعون وذكر أنه كان يحتاط على التركة وإن كان فيها ولد ذكر أو غيره ويأخذ من أموال الناس جهرة حتى حصل له منها شيء كثير ثم نقل إلى حلب بعد نائبها الأمير سيف الدين أرقطاي الذي كان عين لنيابة دمشق بعد موت أرغون شاه وخرج الناس لتلقيه فما هو إلا أن برز منزلة واحدة من حلب فمات بتلك المنزلة فلما صار قطليشا إلى حلب لم يقم بها إلا يسيراً حتى مات ولم ينتفع بتلك الأموال التي جمعها لا في دنياه ولا في أخراه.

ولما كان يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الآخرة دخل الأمير سيف الدين أيتمش الناصري من الديار المصرية إلى دمشق نائبا عليها وبين يديه الجيش على العادة فقبل العتبة ولبس الحياصة والسيف وأعطي تقليده ومنشوره هنالك ثم وقف في الموكب على عادة النواب ورجع إلى دار السعادة وحكم وفرح الناس به وهو حسن الشكل تام الخلقة وكان الشام بلا نائب مستقل قريبا من شهرين ونصف وفي يوم دخوله حبس أربعة أمراء من الطبلخاناه وهم القاسمي وأولاد الأبوبكري الثلاثة اعتقلهم في القلعة لمالأتهم الجي بغا المظفري على أرغون شاه نائب الشام.

وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة حكم القاضي نجم الدين ابن القاضي عماد الدين الطرسوسي الحنفي وذلك بتوقيع سلطاني وخلعة من الديار المصرية.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة حصل الصلح بين قاضي القضاة تقي الدين السبكي وبين الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية على يدي الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب في بستان قاضي القضاة وكان قد نقم عليه إكثاره من الفتيا بمسألة الطلاق.

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه نقلت جثة الأمير سيف الدين أرغون شاه من مقابر الصوفية إلى تربته التي أنشأها تحت الطارمة وشرع في تكميل التربة والمسجد الذي قبلها وذلك أنه عاجلته المنية على يد الجي بغا المظفري قبل إتمامهما وحين قتلوه ذبحاً ودفنوه ليلا في مقابر الصوفية قريبا من قبر الشيخ تقي الدين بن الصلاح ثم حول إلى تربته في الليلة المذكورة.

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤذنون للفجر قبل الوقت بقريب من ساعة فصلى الناس في الجامع الأموي على عادتهم في ترتيب الأئمة ثم رأوا الوقت باقيا فأعاد الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم وأقيمت الصلاة ثانيا وهذا شيء لم يتفق مثله.

وفي يوم الخميس ثامن شهر شعبان توفي قاضي القضاة علاء الدين

■ ابن منجا الحنبلي بالمسمارية وصلي عليه الظهر بالجامع الأموي ثم بظاهر باب النصر ودفن بسفح قاسيون رحمه الله.

وفي يوم الاثنين رمضان بكرة النهار استدعي الشيخ جمال الدين المرداوي من الصالحية إلى دار السعادة وكان تقليد القضاء لمذهبه قد وصل إليه قبل ذلك بأيام فأحضرت الخلعة بين يدي النائب والقضاة الباقين وأريد على لبسها وقبول الولاية فامتنع من ذلك فألحوا عليه فصمم وبالغ في الامتناع جداً وخرج وهو مغضب فراح إلى الصالحية فبالغ الناس في تعظيمه وبقي القضاة يوم ذلك في دار السعادة ثم بعثوا إليه بعد الظهر فحضر من الصالحية فلم يزالوا به حتى قبل ولبس الخلعة وخرج إلى الجامع فقرئ تقليده بعد العصر واجتمع معه القضاة وهناه الناس وفرحوا به لديانته وصيانته وفضيلته وأمانته.

وبعد هذا اليوم بأيام حكم الفقيه شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي نيابة عن قاضي القضاة جمال الدين المرداوي المقدسي وابن مفلح زوج ابنته.

وفي العشر الأخير من ذي القعدة حضر الفقيه الإمام المحدث المفيد أمين الدين الإيجي المالكي مشيخة دار الحديث بالمدرسة الناصرية الجوانية نزل له عنها الصدر أمين بن القلانسي وكيل بيت المال وحضر عنده الأكابر والأعيان.

وفي أواخر هذه السنة تكامل بناء التربة التي تحت الطارمة المنسوبة إلى الأمير سيف الدين أرغون شاه الذي كان نائب السلطنة بدمشق وكذلك القبلي منها وصلى فيها الناس وكان قبل ذلك مسجدا صغيرا فعمره وكبره وجاء كأنه جامع تقبل الله منه انتهى.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

استهلت وسلطان الشام ومصر الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ونائبه بمصر الأمير سيف الدين بيبغا وأخوه سيف الدين منجك الوزير والمشاورون جماعة من المقدمين بديار مصر وقضاة مصر وكاتب السر هم الذين كانوا في أول السنة الماضية ونائب الشام الأمير سيف الدين أيتمش الناصري والقضاة هم القضاة سوى الحنبلي فإنه الشيخ جمال الدين يوسف المرداوي وكاتب السر وشيخ الشيوخ تاج الدين وكاتب الدست هم المتقدمون وأضيف إليهم شرف الدين عبد الوهاب ابن القاضي علاء الدين بن شمرنوخ والمحتسب القاضي عماد الدين بن الفرفور وشاد الأوقاف الشريف وناظر الجامع فخر الدين بن العفيف وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة رحمه الله.

وفي يوم السبت عاشر المحرم نودي بالبلد من جهة نائب السلطان عن كتاب جاءه من الديار المصرية أن لا تلبس النساء الأكمام الطوال العراض ولا البرد الحرير ولا شيئا من اللباسات والثياب الثمينة. ولا الأقمشة القصار وبلغنا أنهم بالديار المصرية شددوا في ذلك جدا حتى قيل إنهم غرقوا بعض النساء بسبب ذلك فالله أعلم.

وجددت وأكملت في أول هذه السنة دار قرآن قبلي تربة امرأة تنكز بمحلة باب الخواصين حولها وكانت صورة مدرسة الطواشي صفي الدين عنبر مولى ابن حمزة وهو أحد الكبار الأجواد تقبل الله منه.

وفي يوم الأحد خامس شهر جمادى الأولى فتحت المدرسة الطيبانية التي كانت دارا للأمير سيف الدين طيبان بالقرب من الشامية الجوانية بينها وبين أم الصالح اشتريت من ثلثه الذي وصى به وفتحت مدرسة وحول لها شباك إلى الطريق في صُفَّتها القبلية منها وحضر الدرس بها هذا اليوم الشيخ عماد الدين بن شرف الدين ابن عم الشيخ كمال الدين بن الزملكاني بوصية الواقف له بذلك وحضر عنده قاضي القضاة السبكي والمالكي وجماعة من الأعيان وأخذ في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الآية [فاطر: ٣٥].

واتفق في ليلة الأحد السادس والعشرين من جمادى الأولى أنه لم يحضر أحد من المؤذنين على السدة في جامع دمشق وقت إقامة الصلاة للمغرب سوى مؤذن واحد فانتظر من يقيم معه الصلاة فلم يجئ أحد غيره بمقدار درجة أو أزيد منها فأقام هو الصلاة وحده فلما أحرم الإمام بالصلاة تلاحق المؤذنون في أثناء الصلاة حتى بلغوا دون العشرة وهذا أمر غريب من عدة ثلاثين مؤذن أو أكثر لم يحضر سوى مؤذن واحد وقد أخبر خلق من المشايخ أنهم لم يروا نظير هذه الكائنة.

وفي يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة اجتمع القضاة بمشهد عثمان وكان الفاضل الحنبلي قد حكم في دار المعتمد الملاصقة لمدرسة الشيخ أبي عمر بنقضها وكانت وقفا لتضاف إلى دار القرآن ووقف عليها أوقاف للفقراء فمنعه الشافعي من ذلك من أجل أنه يؤول أمرها أن تكون دار حديث ثم فتحوا بابا آخر وقالوا: هذه الدار لم يستهدم جميعها وما صادف الحكم محلا لأن مذهب الإمام أحمد أن الوقف يباع إذا استهدم بالكلية ولم يبق ما ينتفع به فحكم القاضي الحنفي بإثباتها وقفا كما كانت ونفذه الشافعي والمالكي وانفصل الحال على ذلك وجرت أمور طويلة وأشياء عجيبة.

وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة أصبح بواب المدرسة المستجدة التي يقال لها الطيبانية إلى جانب أم الصالح مقتولا مذبوحا وقد أخذت من عنده أموال من المدرسة المذكورة ولم يطلع على فاعل ذلك وكان البواب رجلا صالحا مشكوراً رحمه الله.

ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية

وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفي صاحبنا الشيخ الإمام العلامة شمس الدين

■ محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها وصلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله.

ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين.

ولما عاد الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علما جما مع ما سلف له من الاشتغال فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلا ونهاراً وكثرة الصلاة والابتهال.

وكان حسن القراءة والخُلق كثير التودد لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه ولا أعرف من أهل العلم في زماننا أكثر عبادة منه وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله.

وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير وكتب بخطه الحسن شيئا كثيراً واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف.

وبالجملة كان قليل النظير بل عديم النظير في مجموعه وأموره وأحواله والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة سامحه الله ورحمه.

وقد كان متصديا للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية وجرت له بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره.

وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة وتزاحم الناس على حمل نعشه وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله ابن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضا عن أبيه رحمه الله فأفاد وأجاد وسرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله.

ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر أنه بطل الوقيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان فلم يزد في وقيده قنديل واحد، على عادة لياليه في سائر السنة ولله الحمد والمنة وفرح أهل العلم بذلك وأهل الديانة وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنيعة التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد ولا سيّما بالجامع الأموي وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه وشيد أركانه.

وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيبي بيض الله وجهه وقد كان مقيما في هذا الحين بالديار المصرية وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقي الدين بن تيمية والشيخ كمال الدين بن الزملكاني وغيرهما في إبطال هذه البدعة فأنفذ الله ذلك ولله الحمد والمنة.

وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا وكم سعى فيها من فقيه وقاض ومفت وعالم وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ولم ييسر الله ذلك إلا في عامنا هذا والمسؤول من الله تعالى إطالة عمر هذا السلطان ليعلم الجهلة الذين استقر في أذهانهم من أنه إذا أبطل هذا الوقيد في عام يموت سلطان الوقت وكان هذا لا حقيقة له ولا دليل عليه إلا مجرد الوهم والخيال.

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة فيما يتعلق بالفقهاء والمدارس وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية وكان بيده نصف تدريس الضاحية التي للحنابلة بالصالحية والنصف الآخر للشيخ شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي شيخ الحنابلة بدمشق فاستنجز مرسوماً بالنصف الآخر وكانت بيده ولاية متقدمة من القاضي علاء الدين بن المنجا الحنبلي فعارضه في ذلك قاضي القضاة جمال الدين المرداوي الحنبلي وولى فيها نائبه شمس الدين بن مفلح ودرس بها قاضي القضاة في صدر هذا اليوم فدخل القضاة الثلاثة الباقون ومعهم الشيخ شرف الدين المذكور إلى نائب السلطنة وأنهوا إليه صورة الحال فرسم له بالتدريس فركب القضاة المذكورون وبعض الحجاب في خدمته إلى المدرسة المذكورة واجتمع الفضلاء والأعيان ودرس الشيخ شرف الدين المذكور وبث فضائل كثيرة وفرح الناس.

وفي شوال كان في جملة من توجه إلى الحج في هذا العام نائب الديار المصرية ومدبر مماليكها الأمير سيف الدين بيبغا الناصري ومعه جماعة من الأمراء فلما استقل الناس ذاهبين نهض جماعة من الأمراء على أخيه الأمير سيف الدين منجك وهو وزير المملكة وأستاذ دار الأستادارية وهو باب الحوائج في دولتهم وإليه يرحل ذوو الحاجات بالذهب والهدايا فأمسكوه وجاءت البريدية إلى الشام في أواخر هذا الشهر بذلك وبعد أيام يسيرة وصل الأمير سيف الدين شيخون وهو من أكابر الدولة المصرية تحت الترسيم فأدخل إلى قلعة دمشق ثم أخذ منها بعد ليلة فذهب به إلى الإسكندرية فالله أعلم وجاء البريد بالاحتياط على ديوانه وديوان منجك بالشام وأيس من سلامتهما وكذلك وردت الأخبار بمسك بيبغا في أثناء الطريق وأرسل سيفه إلى السلطان وقدم أمير من الديار المصرية فحلف الأمراء بالطاعة إلى السلطان وأكد ذلك وسار إلى حلب فحلّف من بها من الأمراء ثم عاد إلى دمشق ثم عاد راجعاً إلى الديار المصرية وحصل له من الأموال شيء كثير من النواب والأمراء.

وفي يوم الخميس العشرين من ذي القعدة مسك الأميران الكبيران الشاميان المقدمان شهاب الدين أحمد بن صبح وملك آص من دار السعادة بحضرة نائب السلطنة والأمراء ورفعا إلى القلعة المنصورة سير بهما ماشيين من دار السعادة إلى باب القلعة من ناحية دار الحديث وقيدا وسجنا بها.

وجاء الخبر بأن السلطان استوزر بالديار المصرية القاضي علم الدين بن زنبور وخلع عليه خلعة سنية لم يسمع بمثلها من أعصار متقادمة وباشر وخلع على الأمراء والمقدمين وكذلك خلع على الأمير سيف الدين طشبغا وأعيد إلى مباشرة الدويدارية بالديار المصرية وجعل مقدما.

وفي أوائل شهر ذي الحجة اشتهر أن نائب صفد شهاب الدين أحمد بن مشد الشرنخاناه طلب إلى الديار المصرية فامتنع من إجابة الداعي ونقض العهد وحصن قلعتها وحصل فيها عدداً ومددا وادخر أشياء كثيرة بسبب الإقامة بها والامتناع فيها فجاءت البريدية إلى نائب دمشق بأن يركب هو وجميع جيش دمشق إليه فتجهز الجيش لذلك وتأهبوا ثم خرجت الأطلاب على راياتها فلما برز منها بعضٌ بدا لنائب السلطنة فردهم وكان له خبرة عظيمة ثم استقر الحال على تجريد أربعة مقدمين بأربعة آلاف إليه.

وفي يوم الخميس ثاني عشره وقعت كائنة غريبة بمنى وذلك أنه اختلف الأمراء المصريون والشاميون مع صاحب اليمن الملك المجاهد فاقتتلوا قتالا شديدا قريباً من وادي محسر ثم انجلت الوقعة عن أسر صاحب اليمن الملك المجاهد فحمل مقيدا إلى مصر وكذلك جاءت بها كتب الحجاج وهم أخبروا بذلك.

واشتهر في أواخر ذي الحجة أن نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون شاه الكاملي قد خرج عنها بمماليكه وأصحابه فرام الجيش الحلبي رده فلم يستطيعوا ذلك وجرح منهم جراحات كثيرة وقتل جماعة فإنا لله وإنا إليه راجعون واستمر ذاهبا وكان في أمله فيما ذكر أن يتلقى سيف الدين بيبغا في أثناء طريق الحجاز فيتقدم معه إلى دمشق وإن كان نائب دمشق قد اشتغل في حصار صفد أن يهجم عليها بغتة فيأخذها فلما سار بمن معه

وأخذته القطاع من كل جانب ونهبت حواصله وبقي تجريدة في نفر يسير من مماليكه فاجتاز بحماة ليهربه نائبها فأبى عليه فلما اجتاز بحمص وطن نفسه على المسير إلى السلطان بنفسه فقدم به نائب حمص وتلقاه بعض الحجاب وبعض مقدمين الألوف ودخل يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين الشهر وهو في أبهة فنزل بدار السعادة في بعض قاعات الدويدارية.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد الشامية والديار المصرية والحرمين الشريفين وما يلحق بذلك من الأقاليم والبلدان الملك الناصر حسن ابن السلطان الملك محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين بيبغا الملقب بحارس الطير وهو عوضا عن الأمير سيف الدين بيبغا أروس الذي راح إلى بلاد الحجاز ومعه جماعة من الأمراء بقصد الحج الشريف فعزله السلطان في غيبته وأمسك على شيخون واعتقله وأخذ منجك الوزير وهو أستاذ دار ومقدم ألف واصطفى أمواله واعتاض عنه وولى مكانه في الوزارة القاضي علم الدين بن زينور واسترجع إلى وظيفة الدويدارية الأمير سيف الدين طشبغا الناصري وكان أميراً بالشام مقيما منذ عزل إلى أن أعيد في أواخر السنة كما تقدم وأما كاتب السر بمصر وقضاتها فهم المذكورون في التي قبلها.

واستهلت هذه السنة ونائب صفد قد حصن القلعة وأعد فيها عدتها وما ينبغي لها من الأطعمات والذخائر والعدد والرجال وقد نابذ المملكة وحارب وقد قصدته العساكر من كل جانب من الديار المصرية ودمشق وطرابلس وغيرها والأخبار قد ضمنت عن بيبغا ومن معه ببلاد الحجاز ما يكون من أمره ونائب دمشق في احتراز وخوف من أن يأتي إلى بلاد الشام فيدهمها بمن معه والقلوب وجلة من ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها ورد الخبر أن صاحب اليمن حج في هذه السنة فوقع بينه وبين صاحب مكة عجلان بسبب أنه أراد أن يولي عليها أخاه ثقبة فاشتكى عجلان ذلك إلى أمراء المصريين وكبيرهم إذ ذاك الأمير سيف الدين طاز وأمير حجتهم وأمير حجيجهم الأمير سيف الدين بُزلار ومعهم طائفة كثيرة وقد أمسكوا أخاهم بيبغا وقيدوه فقوي رأسه عليهم واستخف بهم فصبروا حتى قضي الحج وفرغ الناس من المناسك.

فلما كان يوم النفر الأول يوم الخميس تواقفوا هم وهو فقتل من الفريقين خلق كثير والأكثر من اليمنيين وكانت الوقعة قريبة من وادي محسر وبقي الحجيج خائفين أن تكون الدائرة على الأتراك فتنهب الأعراب أموالهم وربما قتلوهم ففرج الله ونصر الأتراك على أهل اليمن، ولجأ الملك المجاهد إلى جبل فلم يعصمه من الأتراك بل أسروه ذليلا حقيرا وأخذوه مقيدا أسيرا وعاث عوام الناس إلى اليمنيين فنهبوا شيئا كثيرا ولم يتركوا لهم جليلا ولا حقيرا ولا قليلا ولا كثيرا واحتاط الأمراء على حواصل الملك وأمواله وأمتعته وأثقاله وساروا بخيله وجماله وأدنَوْا إلى صنديد من رحله ورجاله واستحضروا معهم طفيلا الذي كان حاصر المدينة النبوية في العام الماضي وقيدوه أيضاً وجعلوا الغل في عنقه واستاقوه كما يساق الأسير في وثاقه مصحوبا بهمه وحقده وانشمروا عن تلك البلاد إلى ديارهم راجعين وقد فعلوا فعلة تذكر بعدهم إلى حين.

ودخل الركب الشامي إلى دمشق يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من المحرم على العادة المستمرة والقاعدة المستقرة.

وفي هذا اليوم قدمت البريدية من تلقاء مدينة صفد مخبرة بأن الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشُّرْبخاناه الذي كان قد تمرد بها وطغى وبغى حتى استحوذ عليها وقطع سُبُلَها وقتل الفرسان والرجالة وملأها أطعمة وأسلحة ومماليكه ورجاله فعندما تحقق مسك بيبغا أروس خضعت تلك النفوس وخمدت ناره وسكن شراره وأخذ بناره ووضح قراره وأناب إلى التوبة والإقلاع ورغب إلى السلامة والإخلاص وخشع ولات حين مناص وأرسل سيفه إلى السلطان ثم توجه بنفسه على البريد إلى حضرة الملك الناصر والله المسؤول أن يُحنّه عليه وأن يقبل بقلبه إليه.

وفي يوم الأحد خامس شهر صفر قدم من الديار المصرية الأمير سيف الدين أرغون الكاملي معاداً إلى نيابة حلب وفي صحبته الأمير سيف الدين طشبغا الدوادار بالديار المصرية وهو زوج ابنة نائب الشام فتلقاه نائب الشام وأعيان الأمراء ونزل طشبغا الدوادار عند زوجته بدار منجّا في محلة مسجد القصب التي كانت تعرف بدار حنين بن حيدر وقد جددت في السنة الماضية وتوجها في الليلة الثانية من قدومهما إلى حلب.

وفي يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول اجتمع القضاة الثلاثة وطلبوا الحنبلي ليتكلموا معه فيما يتعلق بدار المعتمد التي بجوار مدرسة الشيخ أبي عمر التي حكم بنقض وقفها وهدم بابها وإضافتها إلى دار القرآن المذكورة وجاء مرسوم السلطان بوقف ذلك وكان القاضي الشافعي قد أراد منعه من ذلك فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لذلك فلم يحضر القاضي الحنبلي وقال: حتى يجيء نائب السلطنة.

ولما كان يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول حضر القاضي حسين ولد قاضي القضاة تقي الدين السبكي عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرفية وقرئ عليه شيء كان قد خرجه له بعض المحدثين وشاع في البلد أنه نزل له عنها وتكلموا في ذلك زماناً كلاماً كثيراً وانتشر القول في ذلك وذكر بعضهم أنه نزل له عن الغزالية والعادلية واستخلفه في ذلك فالله أعلم.

وفي سحر ليلة الخميس خامس شهر جمادى الأولى وقع حريق عظيم في الحوانيّين في السوق الكبير واحترقت دكاكين الفواخرة والمناخلين وفرجة الغرابيل وإلى درب القلى ثم إلى قريب درب العميد وصارت تلك الناحية دكا بلقعا فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء نائب السلطنة بعد الأذان إلى هناك ورسم بطفي النار وجاء المتولّي والقاضي الشافعي والحجاب وشرع الناس في طفي النار ولو تركوها لأحرقت شيئاً كثيراً ولم يفقد فيما بلغنا أحد من الناس ولكن هلك للناس شيء كثير من المتاع والأثاث والأملاك وغير ذلك واحترق للجامع من الرباع في هذا الحريق ما يساوي مائة ألف درهم انتهى والله أعلم.

كائنة غريبة جداً

وفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى استسلم القاضي الحنبلي جماعة من اليهود كان قد صدر منهم نوع استهزاء بالإسلام وأهله فإنهم حملوا رجلا منهم صفة ميت على نعش ويهللون كتهليل المسلمين أمام الميت ويقرؤون ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤] فسمع بهم من بحارتهم من المسلمين فأخذوهم إلى ولّي الأمر نائب السلطنة فدفعهم إلى الحنبلي فاقتضى الحال استسلامهم فأسلم يومئذ منهم ثلاثة وتبع أحدهم ثلاثة أطفال وأسلم في

اليوم الثاني ثمانية آخرون فأخذهم المسلمون وطافوا بهم في الأسواق يهللون ويكبرون وأعطاهم أهل الأسواق شيئاً كثيراً وراحوا بهم إلى الجامع فصلوا ثم أخذوهم إلى دار السعادة فاستطلقوا لهم شيئا ورجعوا وهم في ضجيج وتهليل وتقديس وكان يوماً مشهوداً ولله الحمد والمنة.

مملكة السلطان الملك الصالح: صلاح الدين صالح بن الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي

في العشر الأوسط من شهر رجب الفرد وردت البريدية من الديار المصرية بعزل السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون لاختلاف الأمراء عليه واجتماعهم على أخيه الملك الصالح صالح وأمه بنت ملك الأمراء تنكز الذي كان نائب الشام مدة طويلة وهو ابن أربع عشرة سنة وجاءت الأمراء للحلف فدقت البشائر وزين البلد على العادة.

وقيل إن الملك الناصر حسن خنق ورجعت الأمراء الذين كانوا بإسكندرية مثل شيخون ومنجك وغيرهما وأرسلوا إلى بيبغا فجيء به من الكرك وكان مسجونا بها من مرجعه من الحج فلما عاد إلى الديار المصرية شفع في صاحب اليمن الملك المجاهد الذي كان مسجونا في الكرك فأخرج وعاد إلى الديار المصرية.

وأما الأمراء الذين كانوا من ناحية السلطان حين مسك مغلطاي أمير آخور ومنكلي بغا الفخري وغيرهما فاحتيط عليهم وأرسلوا إلى الإسكندرية وخطب للملك الصالح بجامع دمشق يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب وحضر نائب السلطنة والأمراء والقضاة للدعاء له بالمقصورة على العادة.

وفي أثناء العشر الأخير من رجب عزل نائب السلطنة سيف الدين أيتمش عن دمشق مطلوبا إلى الديار المصرية فسار إليهم يوم الخميس.

وفي يوم الاثنين حادي عشر شعبان قدم الأمير سيف الدين أرغون الكاملي الذي كان نائبا على الديار الحلبية من هناك فدخل دمشق في هذا اليوم في أبهة عظيمة وخرج الأمراء والمقدمون وأرباب الوظائف لتلقيه إلى أثناء الطريق منهم من وصل إلى حلب وحماة وحمص وجرى في هذا اليوم عجائب لم تر من دهور واستبشر الناس به لصرامته وشهامته وحدته وما كان من لين الذي قبله ورخاوته فنزل دار السعادة على العادة.

وفي يوم السبت وقف في موكب هائل قيل: إنه لم ير مثله من مدة طويلة ولما سير إلى ناحية باب الفرج اشتكى إليه ثلاث نسوة على أمير كبير يقال له الطرخاني فأمر بإنزاله عن فرسه فأنزل وأوقف معهن في الحكومة.

واستمر بطلان الوقيد في الجامع الأموي في هذا العام أيضا كالذي قبله حسب مرسوم السلطان الناصر حسن رحمه الله ففرح أهل الخير بذلك فرحا شديدا وهذا شيء لم يعهد مثله من نحو ثلاثمائة سنة ولله الحمد والمنة.

ونودي في البلد في هذا اليوم والذي بعده عن النائب: من وجد جنديا سكرانا فليتزله عن فرسه وليأخذ ثيابه ومن أحضره من الجند إلى دار السعادة فله خبزه ففرح الناس بذلك واحتجر عن الخمارين والعصارين ورخصت الأعناب وجادت الأخباز واللحم بعد أن كان بلغ كل رطل أربعة ونصفاً فصار بدرهمين ونصف وأقل وأصلحت المعايش من هيبة النائب وصار له صيت حسن وذكر جميل في الناس بالعدل وجودة القصد وصحة الفهم وقوة العدل والإدراك.

وفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان وصل الأمير أحمد بن شاد الشربخاناه الذي كان قد عصى في صفد وكان من أمره ما كان فاعتقل بالإسكندرية ثم أخرج في هذه الدولة وأعطي نيابة حماة فدخل دمشق في هذا اليوم سائراً إلى حماة فركب مع النائب مع الموكب وسير عن يمينه ونزل في خدمته إلى دار السعادة وترجّل بين يديه.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين بيبغا الذي كان نائبا بالديار المصرية ثم مسك بالحجاز وأودع الكرك ثم أخرج في هذه الدولة وأعطى نيابة حلب فتلقاه نائب السلطنة وأنزل دار السعادة حين أُضيف ونزل وطاقه بوطاة برزة وضربت له خيمة بالميدان الأخضر.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون.

والخليفة الذي يدعى له المعتضد بأمر الله.

ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاي وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها والوزير القاضي ابن زنبور وأولو الأمر الذين يدبرون المملكة فلا تصدر الأمور إلا عن آرائهم لصغر السلطان المذكور - جماعة من أعيانهم ثلاثة سيف الدين شيخون وطاز وصرغتمش عيمش ونائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون الكاملي.

وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب البلاد الحلبية الأمير سيف الدين بيبغا أروس ونائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانه.

ووصل بعض الحجاج إلى دمشق في تاسع الشهر - وهذا نادر - وأخبروا بموت المؤذن

■ شمس الدين بن سعيد بعد منزلة العلا في المدابغ.

وفي ليلة الاثنين سادس عشر صفر في هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقيه فاحرق به دكان الفقاعي الكبيرة المزخرفة وما حولها واتسع اتساعا فظيعاً واتصل الحريق بالباب الأصفر من النحاس فبادر ديوان الجامع إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل بمقصورته الحلبية بمشهد علي ثم غَدَوْا عليه يكسرون خشبه بالفؤوس الحداد والسواعد الشداد وإذا هو من خشب الصنوبر الذي في غاية ما يكون من القوة والثبات وتأسف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد ومعالمه وله في الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة انتهى والله أعلم.

ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق

الذي كان هلاكه وذهابه وكسره في هذه السنة وهو باب شرقي جامع دمشق لم ير باب أوسع ولا أعلى منه فيما يعرف من الأبنية في الدنيا وله غَلَقان من نحاس أصفر بمسامير من نحاس أصفر أيضا بارزة من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق ومعالمها وقد تم بناؤها وقد ذكرته العرب في أشعارها والناس وهو منسوب إلى ملك يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص

بن إرم بن سام بن نوح وهو الذي بناه وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام بل قبل ثمود وهود أيضا على ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه [١١/١] وغيره وكان فوقه حصن عظيم وقصر منيف.

ويقال بل هو منسوب إلى اسم المارد الذي بناه لسليمان عليه السلام وكان اسم ذلك المارد جيرون والأول أظهر وأشهر.

فعلى الأول يكون لهذا الباب من المدد المتطاولة ما يقارب خمسة آلاف سنة ثم كان انجعاف هذا الباب لا من تلقاء نفسه بل بالأيدي العادية عليه بسبب ما ناله من شوظ حريق اتصل إليه من حريق وقع إلى جانبه في صبيحة ليلة الاثنين السادس عشر من صفر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فتبادر ديوان الجامع ففرقوا شمله وقضعوا شمله وعرّوا جلده النحاس عن بدنه الذي هو من خشب الصنوبر الذي كان الصانع قد فرغ منه يومئذ وقد شاهدت الفؤوس تعمل فيه ولا تكاد تحيل فيه إلا بمشقة فسبحان الذي خلق الذين بنوه أولا ثم قدر أهل هذا الزمان على أن هدموه آخراً بعد هذه المدد المتطاولة والأمم المتداولة ولكن ﴿لكل أجل كتاب﴾ [الرعد: ٣٨] ولا إله إلا رب العباد.

بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها على مدة أربعة آلاف سنة بل يقارب الخمسة

ذكر الحافظ ابن عساكر في أول تاريخه [١٧/١] باب بناء دمشق بسنده عن القاضي يحيى بن حمزة البتلهي الحاكم بها في الزمن المتقدم وقد كان هذا القاضي من تلاميذ أبي عمرو الأوزاعي قال: لما فتح عبد الله بن عليّ دمشق بعد حصارها - يعني وانتزعها من أيدي بني أمية وسلبهم ملكهم - هدموا سور دمشق فوجدوا حجراً مكتوباً عليه باليونانية فجاؤوا براهب فقرأه لهم فإذا هو مكتوب عليه: ويك أرم الجابر من رامك بسوء قصمه الله إذا وهى منك جيرون الغربي من باب البريد وتلك من خمسة أعين تَفْضُ سورك على يديه بعد أربعة آلاف سنة تعيشين رغداً فإذا وهى منك جيرون الشرقي أُديل لك ممن يعرض لك قال: فوجدنا الخمسة أعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، عين بن عين بن عين بن عين بن عين.

فهذا يقتضي أنه كان بسورها سنينا إلى حين إخرابه على يد عبد الله بن علي أربعة آلاف سنة وقد كان إخرابه له في سنة ثنتين وثلاثين ومائة كما ذكرنا في التاريخ الكبير فعلى هذا يكون لهذا الباب إلى يوم خرب من هذه السنة أعني سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة أربعة آلاف وستمائة وإحدى وعشرين سنة والله أعلم.

وقد ذكر ابن عساكر عن بعضهم أن نوحاً عليه السلام هو الذي أسس دمشق بعد حران وذلك بعد مضي الطوفان.

وقيل: بناها دمسقس غلام ذي القرنين عن إشارته وقيل: العازر الملقب بدمشيق وهو غلام الخليل وقيل غير ذلك من الأقوال وأظهرها أنها من بناء اليونان لأن محاريب معابدها كانت موجهة إلى القطب الشمالي ثم كان بعدهم النصارى فصلوا فيها إلى الشرق ثم كان فيها بعدهم أجمعين أمة المسلمين فصلوا إلى الكعبة المشرفة.

وذكر ابن عساكر [تاريخ دمشق: ١٧/١] وغيره أن أبوابها كانت سبعة كل منها يتخذ عنده عيد لهيكل من الهياكل السبعة فباب القمر باب السلامة وكانوا يسمونه باب الفراديس المسدود ولعطارد باب الفراديس الكبير وللزهرة باب توماء وللشمس الباب الشرقي وللمريخ باب الجابية وللمشترى باب الجابية الصغير ولزحل باب كيسان.

وفي أوائل شهر رجب الفرد اشتهر أن نائب حلب بيبغا آروس اتفق مع نائب طرابلس بكلمش ونائب حلب أمير أحمد بن مشد الشرمخانه على الخروج عن طاعة السلطان حتى يمسك شيخون وطاز وهما عضدا الدولة بالديار المصرية ويبعثوا إلى نائب دمشق وهو الأمير سيف الدين أرغون الكاملي فأبى عليهم ذلك وكاتب إلى الديار المصرية بما وقع من الأمر وانزعج الناس لذلك وخافوا من غائلة هذا الأمر وبالله المستعان.

ولما كان يوم الاثنين ثامن الشهر جمع نائب السلطنة الأمراء عنده بالقصر الأبلق واستحلفهم بيعة أخرى لنائب السلطان الملك الصالح فحلفوا واتفقوا على السمع والطاعة والاستمرار على ذلك.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشر رجب جاءت الجبلية الذين جمعوهم من البقاع لأجل حفظ ثنية العقاب من قدوم العساكر الحلبية ومن معهم من أهل طرابلس وحماة وكان هؤلاء الجبلية قريبا من أربعة آلاف فحصل بسببهم ضرر كثير على أهل برزة وما جاورهم من الثمار وغيرها.

وفي يوم السبت العشرين منه ركب نائب السلطنة سيف الدين أرغون ومعه الجيوش الدمشقية قاصدين ناحية الكسوة لئلا يقاتلون المسلمين ولم يبق في البلد من الجند أحد وأصبح الناس وليس لهم نائب ولا عسكر وخلت الديار منهم ونائب الغيبة الأمير سيف الدين أُجيبغا العادلي وانتقل الناس من البساتين ومن طرف الغُقيبة وغيرها إلى المدينة وأكثر الأمراء نقلت حواصلهم وأهاليهم إلى القلعة المنصورة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما اقترب دخول الأمير بيبغا بمن معه انزعج الناس وانتقل أهل القرى الذين في طريقه وسرى ذلك إلى أطراف الصالحية والبساتين وحواضر البلد وغلقت أبواب البلد إلى ما يلي القلعة كباب النصر وباب الفرج وكذا باب الفراديس وخلت أكثر المحال من أهاليهم ونقلوا حوائجهم وحواصلهم وأنعامهم إلى البلد على الدواب والحمالين وبلغهم أن أطراف الجيش انتهبوا ما في القرايا في طريقهم من الشعير والتبن وبعض الأنعام للأكل وربما وقع فساد غير هذا من بعض الجهلة فخاف الناس كثيراً وتشوشت خواطرهم انتهى.

دخول بيبغا آروس إلى دمشق

ولما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب دخل الأمير سيف الدين بيبغا آروس نائب حلب إلى دمشق المحروسة بمن معه من العساكر الحلبية وغيرهم وفي صحبته نائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد ونائب صفد الأمير علاء الدين طيبغا يلقب برناق وكان قد توجه قبله قيل بيوم ومعه نواب قلاع كثيرة من بلاد حلب وغيرها في عدد كثير من الأتراك والتركمان فوقف في سوق الخيل مكان نواب السلطان تحت القلعة واستعرض الجيوش الذين وفدوا معه هنالك فدخلوا في تجمل كثير ملبسين وكان عدة من كان معه من أمراء الطبلخاناه قريبا من ستين أميراً أو يزيدون أو ينقصون على ما استفاض عن غير واحد ممن شاهد ذلك ثم سار قريباً من الزوال إلى المخيم الذي ضرب له قبل مسجد القدم عند قبة بيبغا عند الجدول الذي هنالك وكان يوما مشهوداً هائلا لما عاين الناس من كثرة الجيوش والعدد وعذر كثير من

الناس صاحب دمشق في ذهابه بمن معه لئلا يقاتل هؤلاء فسأل الله أن يجمع قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين.

وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الأمير سيف الدين أياجي يطلب منه حواصل أرغون التي عنده فامتنع عليه أيضا وقد حصن القلعة وسترها وأرصد فيها الرجال والرماة والعدد وهيأ بعض المجانيق ليبعد بها فوق الأبرجة وأمر أهل البلد أن لا يفتحوا الدكاكين ويغلقوا الأسواق وجعل يغلق أبواب البلد إلا بابا أو بابين منها واشتد حنق العسكر عليه وهموا بأشياء كثيرة من الشر ثم يرعوون عن الناس والله المسلم غير أن أقيال العسكر وأطرافه قد عاثوا فيما جاوروه من القرايا والبساتين والكروم والزروع فيأخذون ما يأكلون وتأكل دوابهم وأكثر من ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ونهبت قرايا كثيرة وفجروا بنساء وبنات وعظم الخطب وأما التجار ومن يذكر بكثرة مال فأكثرهم مختف لا يظهر لما يخشى من المصادرة والله المسؤول أن يحسن عاقبتهم.

واستهل شهر شعبان وأهل البلد في خوف شديد وأهل القرايا والحواضر في نقلة أثاثهم وأبقارهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم وأكثر أبواب البلد مغلقة سوى بابي الفراديس والجابية وفي كل يوم نسمع بأمور كثيرة من النهب للقرايا والحواضر حتى انتقل كثير من أهل الصالحية أو أكثرهم وكذلك من أهل العقيبة وسائر حواضر البلد فنزلوا عند معارفهم وأصحابهم ومنهم من نزل على قارعة الطريق بنسائهم وأولادهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال كثير من المشايخ الذين أدركوا زمن قازان: إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لما ترك الناس من ورائهم من الغلات والثمار التي هي عمدة قوتهم في سنتهم وأما أهل البلد ففي قلق شديد أيضاً لما يبلغهم في كل وقت من الأراجيف أنهم على عزم نهب البلد، فجعل كثير من الناس يُودعون عزيز ما يملكون عند من يأمنون، واشتد الحال جداً، وخاف كثير من الناس أو أكثرهم من العار؛ لما يبلغهم عنهم من الفجور بالنساء وجعلوا يدعون عقيب الصلوات عليهم يصرحون بأسمائهم ويعقّبون بأسماء أمرائهم وأتباعهم ونائب القلعة الأمير سيف الدين أباجي في كل وقت يسكن جأش الناس ويقوي عزمهم ويبشرهم بخروج العساكر المنصورة من الديار المصرية صحبة السلطان إلى بلاد غزة حيث الجيش الدمشقي ليجيئوا كلهم في خدمته وبين يديه وتدق البشائر فيفرح الناس ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات فتقلق ويخرجون في كل يوم وساعة في تجمل عظيم ووعد وهيئات حسنة.

ثم جاء السلطان أيده الله تعالى وقد ترجل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الذبان إلى داخل القلعة المنصورة وهو لابس قباء أحمر له قيمته على فرس أصيلة مؤدبة معلمة المشي على القوس لا تحيد عنه وهو حسن الصورة مقبول الطلعة عليه بهاء المملكة والرياسة والخز فوق رأسه يحمله بعض الأمراء الأكابر وكلما عاينه من عاينه من الناس يبتهلون بالدعاء بأصوات عالية والنساء بالزغرطة وفرح الناس فرحا شديدا وكان يوماً مشهودا وأمرا حميداً جعله الله مباركا على المسلمين فنزل بالقلعة المنصورة وقد قدم معه الخليفة المعتضد أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد وكان راكباً إلى جانبه من ناحية اليسار ونزل بالمدرسة الدماغية في أواخر هذا اليوم سائر الأمراء مع نائب الشام ومقدمهم طاز وشيخون في طلب بيبغا ومن معه من البغاة المفسدين.

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر السلطان أيده الله إلى الجامع الأموي وصلى فيه الجمعة بالمشهد الذي يصلي فيه نواب السلطان أيده الله فكثر الدعاء والمحبة له ذاهباً وآيبا تقبل الله منه وكذلك فعل الجمعة الأخرى وهي تاسع الشهر.

وفي يوم السبت عاشره اجتمعنا - يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله -: بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد وسلمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدماغية داخل باب الفرج وقرأت عنده جزءاً فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده وذلك عن الشيخ عز الدين بن الضياء الحموي بسماعه من ابن البخاري وزينب بنت مكي عن أحمد بن الحصين عن ابن المذهب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه فذكرهما.

والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام متواضع جيد الفهم حلو العبارة رحم الله سلفه.

وفي رابع عشره قدم البريد من بلاد حلب بسيوف الأمراء الممسوكين من أصحاب بيبغا.

وفي يوم الخميس خامس عشره نزل السلطان الملك الصالح من الطارمة إلى القصر الأبلق في أبهة المملكة ولم يحضر يوم الجمعة إلى الصلاة بل اقتصر على الصلاة بالقصر المذكور.

وفي يوم الجمعة باكر النهار دخل الأميران سيف الدين شيخون وطاز بمن معهما من العساكر من بلاد حلب وقد فات تدارك بيبغا وأصحابه لدخولهم بلاد بن دلغار التركماني بمن بقي معهم وهم القليل وقد أسر جماعة من الأمراء الذين كانوا معه وهم في القيود والسلاسل صحبة الأميرين المذكورين فدخلا على السلطان وهو بالقصر الأبلق فسلما عليه وقبلا الأرض وهنآه بالعيد ونزل طاز بدار أيتمش بالشرف الشمالي ونزل شيخون بدار أياس الحاجب بالقرب من الظاهرية البرانية ونزل بقية الجيش في أرجاء البلد.

وأما الأمير سيف الدين أرغون فأقام بحلب نائبا بها عن سؤاله إلى ما ذكر وخوطب في تقليده بألقاب هائلة ولبس خلعة سنية وعظم تعظيما زائدا ليكون هناك ألباً على يلبغا وأصحابه لشدة ما بينهما من العداوة ثم صلى السلطان بمن معه من المصريين ومن انضاف إليهم من الشاميين صلاة عيد الفطر بالميدان الأخضر وخطب بهم القاضي تاج الدين المناوي المصري قاضي العسكر المصري بمرسوم السلطان وذويه وخلع عليه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

قتل الأمراء السبعة من أصحاب بيبغا

وفي يوم الاثنين ثالث شوال قبل العصر ركب السلطان من القصر إلى الطارمة وعلى رأسه القبة والجتر يحملهما الأمير بدر الدين بن الخطير فجلس في الطارمة ووقف الجيش بين يديه تحت القلعة وأحضروا الأمراء الذين قدموا بهم من بلاد حلب فجعلوا يوقفون الأمير منهم ثم يشاورون عليه فمنهم من يشفع فيه ومنهم من يؤمر بتوسيطه فوسط سبعة: خمس طبلخاناه ومقدما ألف منهم نائب صفد برناق وشفع في الباقين فردوا إلى السجن وكانوا خمسة آخرون.

وفي يوم الأربعاء خامسه مسك جماعة من أمراء دمشق سبعة وتحولت دول كثيرة وتآمر جماعة من الأجناد وغيرهم انتهى.

خروج السلطان من دمشق متوجهاً إلى بلاد مصر

وفي يوم الجمعة سابع شوال ركب السلطان في جيشه من القصر الأبلق قاصداً لصلاة الجمعة بالجامع الأموي فلما انتهى إلى باب النصر ترجل الجيش بكماله بين يديه مشاة وذلك في يوم شات كثير الوحل فصلى بالمقصورة إلى جانب المصحف العثماني وليس معه في الصف الأول أحد بل بقية الأمراء خلفه صفوف فسمع خطبة الخطيب.

ولما فرغ من الصلاة قرئ كتاب بإطلاق أعشار الأوقاف وخرج السلطان بمن معه من باب النصر فركب الجيش واستقل ذاهبا نحو الكسوة بمن معه من العساكر المنصورة مصحوبين بالسلامة والعافية المستمرة.

وخرج السلطان وليس بدمشق نائب سلطنة وإنما الأمير بدر الدين بن الخطير هو الذي يتكلم في الأمور نائب غيبة حتى يقدم إليها نائبها ويتعين لها.

وجاءت الأخبار بوصول السلطان إلى الديار المصرية سالما ودخلها في أبهة عظيمة في أواخر ذي القعدة وكان يوما مشهوداً وخلع على الأمراء كلهم ولبس خلعة نيابة الشام الأمير علاء الدين على المارداني ومسك الأمير علم الدين بن زنبور وتولية الوزارة الصاحب موفق الدين.

وفي صبيحة يوم السبت خامس ذي الحجة دخل الأمير علاء الدين على الجمدار من الديار المصرية إلى دمشق المحروسة في أبهة هائلة وموكب حافل مستوليا نيابة بها وبين يديه الأمراء على العادة فوقف عند تربة بهادر آص حتى استعرض عليه الجيش فلحقهم فدخل دار السعادة فنزلها على عادة النواب قبله جعله الله وجها مباركا على المسلمين.

وفي يوم السبت ثالث عشره قدم دوا دار السلطان الأمير عز الدين طقطاي من الديار المصرية فنزل القصر الأبلق ومن عزمه الذهاب إلى البلاد الحلبية ليجهز الجيوش نحو بيبغا وأصحابه انتهى والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية والمملكة الحلبية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي.

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاي.

والمشار إليهم في تدبير المملكة الأمراء سيف الدين شيخون وسيف الدين طاز وسيف الدين صرغتمش الناصري.

وقضاة القضاة وكاتب السر هناك هم المذكورون في السنة الماضية.

ونائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكاملي لأجل مقاتلة أولئك الأمراء الثلاثة بيبغا وأمير أحمد وبكلمش الذين فعلوا ما ذكرنا في رجب من السنة الماضية ثم لجؤوا إلى بلاد الأبلستين في خفارة بن دلغار التركماني ثم إنه احتال عليهم من خوفه من صاحب مصر وأسلمهم إلى قبضة نائب حلب المذكور ففرح المسلمون بذلك فرحا شديداً ولله الحمد والمنة.

ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أيتمش الذي كان نائب دمشق كما ذكرنا تقلبت به الأحوال حتى استتيب في طرابلس حين كان السلطان بدمشق كما تقدم.

واستهلت هذه السنة وقد تواترت الأخبار بأن الأمراء الثلاثة بيبغا وبكلمش وأمير أحمد قد حصلوا في قبضة نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون وهم مسجونون بقلعتها بها ينتظر ما يرسم به فيهم وقد فرح المسلمون بذلك فرحا شديدا.

وفي يوم السبت سابع عشر المحرم وصل إلى دمشق الأمير عز الدين طقطاي الدويدار عائداً من البلاد الحلبية وفي صحبته رأس بيبغا الباغي أمكن الله منه بعد وصول صاحبيه بكلمش الذي كان نائبا بطرابلس وأمير أحمد الذي كان نائب حماة فقطعت رؤوسهما بحلب بين يدي نائبها سيف الدين أرغون الكاملي وسيرت إلى مصر ولما وصل بيبغا بعدهما فعل به كفعلهما جهرة بعد العصر بسوق الخيل بين يدي نائب السلطنة والجيش برمته والعامة على الأجاجير يتفرجون ويفرحون بمصرعه وسر المسلمون كلهم ولله الحمد والمنة.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول أقيمت جمعة جديدة بمحلة الشاغور بمسجد هناك يقال له مسجد المزاز وخطب فيه جمال الدين عبد الله ابن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ثم وقع في ذلك كلام فانفضى الحال أن أهل المحلة ذهبوا إلى سوق الخيل يوم موكب وحملوا سناجق خليفتيّة من جامعهم ومصاحف واشتملوا إلى نائب السلطنة وسألوا منه أن تستمر الخطبة عندهم فأجابهم إلى ذلك في الساعة الراهنة ثم وقع نزاع في جواز ذلك ثم حكم القاضي الحنبلي لهم بالاستمرار وجرت خطوب طويلة بعد ذلك.

وفي يوم الأحد سابع ربيع الآخر توفي الأمير الكبير سيف الدين الجي بغا العادلي ودفن بتربته التي كان أنشأها قديما ظاهر باب الجابية وهي مشهورة تعرف به وكان له في الإمرة قريبا من ستين سنة وقد كان أصابه في نوبة أرغون شاه وقضيته ضربة أصابت يده اليمنى واستمر مع ذلك على إمرته وتقدمته محترما معظما إلى أن توفي رحمة الله تعالى عليه.

ذكر أمر غريب جداً

لما ذهبت لتهنئة الأمير ناصر الدين بن الأقوس بنيابة بعلبك وجدت هنالك شابا فذكر لي من حضر أن هذا هو الذي كان أنثى ثم ظهر له ذكر وقد كان أمره اشتهر ببلاد طرابلس وشاع بين الناس بدمشق وغير ذلك وتحدث الناس به فلما رأيته وعليه قبعة تركية استدعيته إلي وسألته بحضرة من حضر فقلت له: كيف كان أمرك؟ فاستحى وعلاه خجل يشبه النساء فقال: كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة وزوجوني بثلاثة أزواج لا يقدرون علي وكلهم يطلق ثم اعترضني حال غريب فغارت ثدياي وصغرت وجعل النوم يعتريني ليلا ونهاراً ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء قليلاً قليلا ويتزايد حتى برز شبه ذكر وأنثيان فسألته أهو كبير أم صغير؟ فاستحى ثم ذكر أنه صغير بقدر الأصبع فسألته هل احتلم؟ فقال: احتلم مرتين منذ حصل له ذلك وكان له قريبا من ستة أشهر إلى حين أخبرني وذكر أنه يحسن صنعة النساء كلها من الغزل والتطريز والزركاش وغير ذلك فقلت له: ما كان اسمك وأنت على صفة النساء؟ فقال: نفيسة فقلت: واليوم؟ فقال: عبد الله وذكر أنه لما حصل له هذا الحال كتمه عن أهله حتى عن أبيه ثم عزموا على تزويجه برابح فقال لأمه: إن الأمر ما صفته كيت وكيت فلما اطلع أهله على ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك وكتب بذلك

محضرا واشتهر أمره فقدم دمشق ووقف بين يدي نائب السلطنة بدمشق فسأله فأخبره كما أخبرني فأخذه الحاجب سيف الدين كجكن بن الأقوش عنده وألبسه ثياب الأجناد وهو شاب حسن على وجهه وسمته ومشيته وحديثه أنوثة النساء فسبحان الفعال لما يشاء فهذا أمر لم يقع مثله في العالم إلا قليلا جدا وعندي أن ذكره كان غائراً في جُورة ظنوها فرجاً ثم لما بلغ ظهر قليلا قليلا حتى تكامل ظهوره فتبينوا أنه كان ذكراً وذكر لي أن ذكره برز مختونا فسمي ختان القمر فهذا يوجد كثيراً والله أعلم.

وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رجب قدم الأمير عز الدين طقطاي الدويدار من الديار الحلبية وخبر عما اتفق عليه العساكر الحلبية من ذهابهم مع نائبهم ونواب تلك الحصون وعساكر خلف ابن دلغار التركماني الذي كان أعان يلبغا وذويه على خروجه على السلطان وقدم معه إلى دمشق وكان من أمره ما تقدم بسطه في السنة الماضية وأنهم نهبوا أمواله وحواصله وأسروا خلقا من بنيه وذويه وحريمه وأن الجيش أخذ شيئا كثيراً من الأغنام والأبقار والرقيق والدواب والأمتعة وغير ذلك وأنه لجأ إلى ابن أرتنا فاحتاط عليه واعتقله عنده وراسل السلطان بأمره ففرح الناس براحة الجيش الحلبي وسلامته بعدما قاسوا شديداً وتعباً كثيرا.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره كان قدوم الأمراء الذين كانوا مسجونين بالإسكندرية من لدن عود السلطان إلى الديار المصرية ممن كان اتهم بموالاة بيبغا أو خدمته كالأمير سيف الدين ملك آص وعلاء الدين على البشمقدار وساطلمش الجلالي ومن معهم.

وفي أول شهر رمضان اتفق أن جماعة من المفتين أفتوا بأحد قولي العلماء وهما وجهان لأصحابنا الشافعية وهو جواز استعادة ما استهدم من الكنائس فتغضب عليهم قاضي القضاة تقي الدين السبكي فقرعهم في ذلك ومنعهم من الإفتاء وصنف في ذلك مصنفا يتضمن المنع من ذلك سماه «اللدسائس في الكنائس».

وفي خامس عشري شهر رمضان قدم بالأمير أبو دلغار التركماني الذي كان مؤازراً بيبغا في العام الماضي على تلك الأفاعيل القبيحة وهو مضيق عليه فأحضر بين يدي النائب ثم أودع القلعة المنصورة في هذا اليوم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وما يتبع ذلك والحرمين الشريفين وما والاهما من بلاد الحجاز وغيرها الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي وهو ابن بنت تنكز نائب الشام وكان في الدولة الناصرية.

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاي الناصري ووزيره القاضي موفق الدين.

وقضاة مصر هم المذكورون في العام الماضي ومنهم قاضي القضاة عز الدين بن جماعة الشافعي وقد جاور في هذه السنة في الحجاز الشريف والقاضي تاج الدين المناوي يسد المنصب عنه.

وكاتب السر القاضي علاء الدين بن فضل الله العدوي ومدبرو المملكة الأمراء الثلاثة سيف الدين شيخون وطاز وصرغتمش الناصريون والأمير الكبير الدوادار عز الدين طقطاي الناصري.

ودخلت هذه السنة والأمير سيف الدين شيخون في طلب الأحدب من مدة شهر أو قريب.

ونائب دمشق الأمير علاء الدين أمير على المارداني وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها.

وناظر الدواوين الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وكاتب السر القاضي ناصر الدين بن الشرف يعقوب وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة ومحتسبه الشيخ علاء الدين الأنصاري قريب الشيخ بهاء الدين ابن إمام المشهد وهو مدرس الأمينية مكانه أيضاً.

وفي شهر ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين مغلطاي الذي كان مسجونا بالإسكندرية ثم أفرج عنه وقد كان قبل ذلك هو الدولة وأمر بالمسير إلى الشام ليكون عند أيتمش نائب طرابلس.

وأما منجك الذي كان وزيره بالديار المصرية وكان معتقلا بالإسكندرية مع مغلطاي فإنه صار إلى صفد مقيما بها بطالا كما أن مغلطاي أمر بالمقام بطرابلس بطالا أيضاً إلى حين يحكم الله عز وجل انتهى والله أعلم.

نادرة من الغرائب

في يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق بعد صلاة الظهر وهو يسب أول من ظلم آل محمد ويكرر ذلك لا يفتر ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنازة الحاضرة بل الناس في الصلاة وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به فلما فرغنا من الصلاة نبهت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس فجئت إليه واستنطقته من الذي ظلم آل محمد؟ فقال: أبو بكر الصديق ثم قال جهرة والناس يسمعون: لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد فأعاد ذلك مرتين فأمر به الحاكم إلى السجن ثم استحضره المالكي وجلده بالسياط وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذي لا يصدر إلا عن شقي واسم هذا اللعين علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبحه الله وأخزاه.

ثم لما كان يوم الخميس تاسع عشره عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هنالك فقدر الله أن حكم نائب المالكي بقتله فأُخذ سريعا فضرب عنقه تحت القلعة وحرقه العامة وطافوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكي وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة الغلاة وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر أشياء من الكفر والزندقة قبحه الله وإياهم.

وورد الكتاب بإلزام أهل الذمة بالشروط العمرية.

وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب الفرد قرئ بجامع دمشق بالمقصورة بحضرة نائب السلطنة وأمراء الأعراب وكبار الأمراء وأهل الحل والعقد والعامة كتاب السلطان بإلزام أهل الذمة بالشروط العمرية وزيادات أخر: منها أن لا يستخدموا في شيء من الدواوين السلطانية والأمراء ولا في شيء من الأشياء وأن لا تزيد عمامة أحدهم عن عشرة أذرع ولا يركبوا الخيل ولا البغال ولكن الحمير بالأكف عرضا وأن لا يدخلوا إلا بالعلامات من جرس أو خاتم نحاس أصفر أو رصاص ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات الحمامات وليكن لهن حمامات تختص بهن وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق واليهودية من كتان أصفر وأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض وأن يحكم حكم مواريثهم على الأحكام الشرعية.

واحترقت باشورة باب الجابية في ليلة الأحد العشرين من جمادى

الآخرة وعدم المسلمون تلك الأطعمات والحواصل النافعة من الباب الجواني إلى الباب البراني.

وفي مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الإمام العالم البارع شمس الدين بن النقاش المصري الشافعي ورد دمشق بالجامع الأموي تجاه محراب الصحابة ميعاداً للوعظ واجتمع عنده خلق من الأعيان والفضلاء والعامة وشكروا كلامه وطلاقة عبارته من غير تلعثم ولا تخليط ولا توقف وطال ذلك إلى قريب العصر.

وفي صبيحة يوم الأحد ثالثه صلي بجامع دمشق بالصحن تحت النسر على القاضي جمال الدين حسين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ونائبه وحضر نائب السلطنة الأمير علاء الدين علي وقضاة البلد والأعيان والدولة وكثير من العامة وكانت جنازته محشودة وحضر والده قاضي القضاة وهو يهادى بين رجلين فظهر عليه الحزن والكآبة فصلى عليه إماما وتأسف الناس عليه لسماحة أخلاقه وانجماعه على نفسه لا يتعدى شره إلى غيره، وكان يحكم جيداً نظيف العرض في ذلك وكان قد درس في عدة مدارس منها الشامية البرانية والعذراوية وأفتى وتصدر وكانت لديه فضيلة جيدة بالنحو والفقه والفرائض وغير ذلك ودفن بسفح قاسيون في تربة معروفة لهم رحمهم الله.

عودة الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

وذلك يوم الاثنين ثاني شهر شوال اتفق جمهور الأمراء مع الأمير شيخون وصرغتمش في غيبة طاز في الصيد على خلع الملك الصالح صالح بن الناصر وأمه بنت تنكز وإعادة أخيه الملك الناصر حسن وكان ذلك يومئذ وألزم الصالح بيته مضيقا عليه وسلم إلى أمه خوندة بنت الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام كان فطلبوا طاز وأمسك أخوه جتمر وأخو السلطان الصالح لأمه عمر بن أحمد بن بكتمر الساقي ووقعت خبطة عظيمة بالديار المصرية ومع هذا فلم يقبل البريد إلى الشام وخبر البيعة إلا يوم الخميس الثاني عشر من هذا الشهر قدم بهما الأمير عز الدين أيدمر الشمسي وبايع النائب بعد ما خلع عليه خلعة سنية والأمراء بدار السعادة على العادة ودقت البشائر وزين البلد وخطب له الخطيب يوم الجمعة على المنبر بحضرة نائب السلطنة والقضاة والدولة.

وفي صبيحة يوم الخميس تاسع عشر شوال دخل دمشق الأمير سيف الدين منجك على نيابة طرابلس ونزل القصر الأبلق مع الأمير عز الدين أيدمر فأقام أياما عديدة ثم سار إلى بلده بعد أيام.

وفي صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين طاز من الديار المصرية في جماعة من أصحابه مجتازا إلى نيابة حلب المحروسة فتلقاه نائب السلطنة إلى قريب من جامع كريم الدين بالقبيبات وشيعه إلى قريب من باب الفراديس فسار ونزل بوطاة برزة فبات هنالك ثم أصبح غاديا وقد كان نظير الأمير شيخون ولكن قوي عليه فسيره إلى بلاد حلب وهو محبب إلى العامة لما له من السعي المشكور في أمور كبار كما تقدم.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الإسلام والمسلمين السلطان الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي.

وليس بالديار المصرية نائب ولا وزير وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب دمشق الأمير علي الماردادي والقضاة والحاجب والخطيب وكاتب السر هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ونائب طرابلس منجك ونائب حماة استدمر العمري ونائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبح ونائب حمص الأمير ناصر الدين بن الأقوش ونائب بعلبك الحاج كامل.

وفي يوم الاثنين تاسع صفر مسك الأمير أرغون الكاملي الذي ناب بدمشق مدة ثم بعدها بحلب ثم طلب إلى الديار المصرية حين وليها طاز فقبض عليه وأرسل إلى الإسكندرية معتقلا.

وفي يوم السبت من شهر صفر قدم تقليد قضاء الشافعية بدمشق وأعمالها لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي على قاعدة والده وذلك في حياة أبيه وذهبت الناس للسلام عليه.

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر توجه قاضي القضاة تقي الدين السبكي بعد استقلال ولده تاج الدين عبد الوهاب في قضاء القضاة ومشيخة دار الحديث الأشرفية مسافراً نحو الديار المصرية في محفة ومعه جماعة من أهله وذويه منهم سبطه القاضي بدر الدين بن أبي الفتح وآخرون وقد كان الناس ودعوه قبل ذلك وعنده ضعف ومن الناس من يخاف عليه وعثاء السفر مع الكبر والضعف.

ولما كان يوم الجمعة سابع شهر جمادى الآخرة صلي بعد الظهر على قاضي القضاة تقي الدين

■ علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي المصري الشافعي توفي بمصر ليلة الاثنين ثالثه ودفن من صبيحة ذلك اليوم وقد أكمل ثلاثا وتسعين سنة ودخل في الرابعة أشهرا وولي الحكم بدمشق نحواً من سبع عشرة سنة ثم نزل عن ذلك لولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ثم رحل في محفة إلى الديار المصرية كما ذكرنا ولما وصل مصر أقام دون الشهر ثم توفي كما ذكرنا وجاءت التعزية ومرسوم باستقرار ولده في مدرسته اليعقوبية والقيمرية وبتشريف تطييبا لقلبه وذهب الناس إلى تعزيته على العادة وقد سمع قاضي القضاة السبكي الحديث في شبيبته بديار مصر ورحل إلى الشام وقرأ بنفسه وكتب وخرج وله تصانيف كثيرة منتشرة كثيرة الفائدة وما زال في مدة القضاء يصنف ويكتب إلى حين وفاته وكان كثير التلاوة وذكر لي أنه كان يقوم من الليل رحمه الله.

وفي شهر جمادى الأولى من هذه السنة اشتهر أخذ الفرنج المخذولين لمدينة طرابلس المغرب وقرأت من كتاب لقاضي قضاة المالكية أن أخذهم إياها كان ليلة الجمعة مستهل ربيع الأول من هذه السنة ثم بعد خمسة عشر يوما استعادها المسلمون وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا أولا من المسلمين ولله الحمد والمنة.

وأرسل الدولة إلى الشام يطلبون من أموال أوقاف الأسارى ما يستنقذون به من بقي في أيديهم من المسلمين.

وفي يوم الأربعاء حادي عشر رجب الفرد من هذه السنة حكم

القاضي المالكي وهو قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي بقتل نصراني من قرية الرأس من معاملة بعلبك اسمه داود بن سالم ثبت عليه بمجلس الحكم في بعلبك أنه اعترف بما شهد عليه أحمد بن نور الدين على بن غازي من قرية اللبوة من الكلام السيئ الذي نال به من رسول الله ﷺ وسبه وقذفه بكلام لا يليق ذكره فقتل لعنه الله يومئذ بعد أذان العصر بسوق الخيل وحرقه الناس وشفى الله صدور قوم مؤمنين ولله الحمد والمنة.

وفي صبيحة يوم الأحد رابع عشر شعبان درس القاضي بهاء الدين أبو البقاء السبكي بالمدرسة القيمرية نزل له عنها ابن عمه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي وحضر عنده القضاة والأعيان على العادة وأخذ في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

■ (عبد الله بن شمس الدين بن قيم الجوزية).

وصلي في هذا اليوم بعد الظهر على الشيخ الشاب الفاضل المحصل جمال الدين عبد الله ابن العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي ودفن عند أبيه بمقابر باب الصغير وكانت جنازته حافلة وكانت لديه علوم جيدة وذهنه حاضر خارق أفتى ودرس وأعاد وناظر وحج مرات عديدة رحمه الله ويل بالرحمة ثراه.

وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال وقع حريق هائل في سوق القطانين بالنهار وذهب إليه نائب السلطنة والحجبة والقضاة حتى اجتهد الفعول والمتبرعون في إخماده وطفيه حتى سكن شره وذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جداً فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد رأيته من الغد والنار كما هي عمالة والدخان صاعد وقد ذهب الناس يطفونه بالماء الكثير الغمر والنار لا تخمد لكن هدمت الجدران وخربت المساكن وانتقل السكان انتهى والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي ولا نائب ولا وزير بمصر وإنما يرجع تدبير المملكة إلى الأمير سيف الدين شيخون ثم الأمير سيف الدين صرغتمش، ثم الأمير عز الدين طُقطاي الدوادار.

وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها سوى الشافعي فإنه ابن المتوفى قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي.

ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز وطرابلس الأمير سيف الدين منجك وبصفد الأمير شهاب الدين بن صبح وبحماة استدمر العمري وبحمص علاء الدين بن المعظم وببعلبك الأمير ناصر الدين بن الأقوش.

وفي العشر الأول من ربيع الأول تكامل إصلاح بلاط الجامع الأموي وغسل فصوص المقصورة والقبة وبسط بسطا حسنا وبيضت أطباق القناديل وأضاء حاله جداً وكان المستحث على ذلك الأمير علاء الدين أيدغمش أحد أمراء الطبلخاناه بمرسوم نائب السلطنة له في ذلك.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة صلي على الأمير سيف الدين براق أمير آخور بجامع تنكز ودفن بمقابر الصوفية وكان مشكور السيرة كثير الصلاة والصدقة محباً للخير وأهله من أكبر أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى وقد رسم لولديه ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر كل منهما بعشرة أرماح ولناصر الدين بمكان أبيه في الوظيفة باصطبل السلطان.

وفي يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى خلع على الأميرين الأخوين ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر ولدي الأمير سيف الدين براق رحمه الله تعالى بأميرين عشرتين.

ووقع في هذا الشهر نزاع بين الحنابلة في مسألة المناقلة وكان سببها أن القاضي المالكي وهو قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي أذن للشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي بحكم بالمناقلة في قرار دار الأمير سيف الدين طيلمر الإسماعيلي حاجب الحجاب إلى أرض أخرى يجعلها وقفا على ما كانت قرار داره عليه ففعل ذلك بطريقه ونفذه القضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي فغضب القاضي الحنبلي وهو قاضي القضاة جمال الدين المرداوي المقدسي من ذلك،وعقد بسبب ذلك مجالس وتطاول الكلام فيه وادعى كثير منهم أن مذهب الإمام أحمد في المناقلة إنما هو في حال الضرورة وحيث لا يمكن الانتفاع بالموقوف فأما المناقلة لمجرد المصلحة والمنفعة الراجحة فلا وامتنعوا من قبول ما قرره الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ونقله عن الإمام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنه صالح وحرب وأبي داود وغيرهم أنها تجوز للمصلحة الراجحة وصنف في ذلك مسألة مفردة وقفت عليها - يعني الشيخ عماد الدين بن كثير - فرأيتها في غاية الحسن والإفادة بحيث لا يتخالج من اطلع عليها ممن يذوق طعم الفقه أنها مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

فقد احتج أحمد في ذلك في رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن هارون عن المسعودي عن القاسم بن محمد أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن يحول المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق التمارين ويجعل السوق في مكان المسجد الجامع العتيق ففعل ذلك.

فهذا فيه أوضح دلالة على ما استدل به فيها من النقل بمجرد المصلحة فإنه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقا على أن الإسناد فيه انقطاع بين القاسم وبين عمر وبين القاسم وابن مسعود ولكن قد جزم به صاحب المذهب واحتج به وهو ظاهر واضح في ذلك فعقد المجلس في يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر.

وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق عظيم ظاهر باب الفرج احترق بسببه قياسير كثيرة لطاز ويلبغا وقيسرية الطواشي لبنت تنكز وأخر كثيرة ودور ودكاكين وذهب للناس شيء كثير من الأمتعة والنحاس والبضائع وغير ذلك مما يقاوم الف الف وأكثر خارجا عن الأموال فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد ذكر كثير من الناس أنه كان في هذه القياسير شر كثير من الفسق والربا والزغل وغير ذلك.

وفي السابع والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بأن الفرنج لعنهم الله استحوذوا على مدينة صيدا؛ قدموا في سبعة مراكب وقتلوا طائفة من أهلها ونهبوا شيئاً كثيراً وأسروا أيضاً وهجموا على الناس وقت الفجر يوم الجمعة وقد قتل منهم المسلمون خلقا كثيرا وكسروا مركبا من مراكبهم وجاء الفرنج في عشية السبت قبل العصر وقدم الوالي وهو جريح مثقل وأمر نائب السلطنة عند ذلك بتجهيز الجيش إلى تلك الناحية فساروا تلك الليلة ولله الحمد وتقدمهم حاجب الحجاب وتحدر إليهم نائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبح فسبق الجيش الدمشقي ووجد الفرنج قد برزوا بما غنموا من الأمتعة والأسارى إلى جزيرة تلقاء صيدا في البحر وقد أسر

المسلمون منهم في المعركة شيخاً وشابا من أبناء أشرافهم وهو الذي عاقهم عن الذهاب فراسلهم الجيش في انفكاك الأسارى من أيديهم فغادوهم عن كل رأس بخمسمائة فأخذوا من ديوان الأسارى مبلغ ثلاثين ألفا ولم يبق معهم ولله الحمد أحد.

واستمر الصبي من الفرنج مع المسلمين وأسلم ودفع إليهم الشيخ الجريح وعطش الفرنج عطشاً شديدا وأرادوا أن يرووا من نهر هناك فبادرهم الجيش إليه فمنعوهم أن ينالوا منه قطرة واحدة فرحلوا ليلة الثلاثاء منشمرين بما معهم من الغنائم وبعثت رؤوس جماعة من الفرنج ممن قتل في المعركة فنصبت على القلعة بدمشق وجاء الخبر في هذا الوقت بأن آياس قد أحاط بها الفرنج وقد أخذوا الرَّبَض وهم محاصرون القلعة وفيها نائب البلد وذكروا أنهم قتلوا خلقا كثيراً من أهلها فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وذهب صاحب حلب في جيش كثيف نحوهم والله المسؤول أن يظفرهم بهم بحوله وقوته وشاع بين العامة أيضاً أن الإسكندرية محاصرة ولم يتحقق ذلك إلى الآن وبالله المستعان.

وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رؤوس من قتلى الفرنج على صيدا وهي بضع وثلاثون رأسا فنصبت على شرفات القلعة ففرح المسلمون بذلك ولله الحمد.

وفي ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة وقع حريق عظيم داخل باب الصغير من مطبخ السكر الذي عند السويقة الملاصقة لمسجد الشنباشي فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبي نصر واتصل بالسويقة المذكورة وما هنالك من الأماكن فكان قريبا أو أكثر من الحريق ظاهر باب الفرج فإنا لله وإنا إليه راجعون وحضر نائب السلطنة وذلك أنه كان وقت صلاة العشاء ولكن كان الريح قويا وذلك بتقدير العزيز العليم.

وتوفي الشيخ عز الدين

■ **محمد بن إسماعيل بن عمر الحموي** أحد مشايخ الرواة في ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وصلي عليه من الغد بالجامع الأموي بعد الظهر ودفن بمقابر باب الصغير وكان مولده في ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة فجمع الكثير وتفرد بالرواية عن جماعة في آخر عمره وانقطع بموته سماع السنن الكبير للبيهقي رحمه الله.

ووقع حريق عظيم ليلة الجمعة خامس عشر رجب بمحلة الصالحية من سفح قاسيون فاحترق السوق القبلي من جامع الحنابلة بكماله شرقا وغربا وجنوبا وشمالا فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذي أنشأه سيف الدين يلبغا الناصري غربي سوق الخيل وفتح في هذا اليوم وجاء في غاية الحسن والبهاء وخطب الشيخ ناصر الدين بن الربوة الحنفي وكان قد نازعه فيه الشيخ شمس الدين الشافعي الموصلي وأظهر ولاية من واقفه يلبغا المذكور ومراسيم شريفة سلطانية ولكن قد قوي عليه ابن الربوة بسبب أنه نائب عن الشيخ قوام الدين الإتقاني الحنفي وهو مقيم بمصر ومعه ولاية من السلطان متأخرة عن ولاية الموصلي فرسم لابن الربوة فلبس يومئذ الخلعة السوداء من دار السعادة وجاؤو بين يديه بالسناجق السود الخليفتية والمؤذنون يكبرون على العادة وخطب يومئذ خطبة حسنة أكثرها في فضائل القرآن وقرأ في المحراب بأول سورة «طه» وحضر كثير من الأمراء والعامة والخاصة وبعض القضاة وكان يوما مشهودا وكنت ممن حضر قريبا منه.

والعجب أني وقفت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابلس وفيه: والمخدوم يعرِّف الشيخ عماد الدين بما جرى في بلاد السواحل من الحريق من بلاد طرابلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان أحرق الجبال كلها ومات الوحوش كلها مثل النمور والدب والثعلب والخنزير من الحريق ما بقي للوحوش موضع يهربون فيه وبقي الحريق عليه ثلاثة أيام وهرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار واحترق زيتون كثير فلما نزل المطر أطفأه بإذن الله تعالى يعني الذي وقع في تشرين وذلك في ذي القعدة من هذه السنة.

قال: ومن العجب أن ورقة من شجرة سقطت في بيت من مدختته فأحرقت جميع ما فيه من الأثاث والثياب وغير ذلك ومن حليه حريراً كثيراً وغالب هذه البلاد للدرزية والرافضة نقلته من خط كاتبه محمد بن يلبان إلى صاحبه وهما عندي ثقتان فبالله العجب!

وفي هذا الشهر - يعني ذي القعدة - وقع بين الشيخ عماد الدين إسماعيل بن العز الحنفي وبين أصحابه من الحنفية مناقشة بسبب اعتقاده على بعض الناس في محاكمة فاقتضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كمثل المتمرد عندهم فلما لم يحضر فيها حكم عليه القاضي شهاب الدين الكفري نائب الحنفي بإسقاط عدالته ثم ظهر خبره بأنه قصد بلاد مصر فأرسل النائب في إثره من يرده فعنفه ثم أطلقه إلى منزله وشفع فيه قاضي القضاة الحنفي فاستحسن ذلك ولله الحمد والمنة.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان العباسي.

وسلطان الإسلام بالديار المصرية وما يتبعها وبالبلاد الشامية وما والاها والحرمين الشريفين وغير ذلك الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي وليس له بمصر نائب ولا وزير وإنما ترجع الأمور إصداراً وإيراداً إلى الأميرين الكبيرين سيف الدين شيخون وصرغتمش الناصريين.

وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين أمير علي الماردائي وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها انتهى.

كائنة غريبة جداً

لما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة نهدت جماعة من مجاوري الجامع بدمشق من مشهد علي وغيره واتبعهم جماعة من الفقراء والمغاربة وجاؤو إلى أماكن متهمة بالخمر وبيع الحشيش فكسروا أشياء كثيرة من أواني الخمر وأراقوا ما فيها وأتلفوا شيئا كثيراً من الحشيش وغيره ثم انتقلوا إلى حكر السماق وغيرهم فثار عليهم من البارذارية والكلابرية وغيرهم من الرعاع فتناوشوا وجرت بينهم ضربات بالأيدي وغيرها وربما سل بعض الفساق السيوف عليهم كما ذكر.

وقد رسم ملك الأمراء لوالي المدينة ووالي البر أن يكونوا عضداً لهم وعوناً على الحمارين والحشاشة فنصروهم عليهم غير أنه كثر معهم الضجيج ونصبوا راية واجتمع عليهم خلق كثير.

ولما كان في أواخر النهار تقدم جماعة من النقباء والخزاندارية ومعهم جنازير فأخذوا جماعة من مجاوري الجامع وغيرهم وضربوا بالمقارع وطيف

بهم في البلد ونادوا عليهم: هذا جزاء من يتعرض لما لا يعنيه تحت علم السلطان فتعجب الناس من ذلك وأنكروه حتى أنه أنكر اثنان من العامة على المنادية فضرب بعض الجند أحدهم بدبوس فقتله وضرب الآخر فيقال إنه مات أيضاً فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي شعبان من هذه السنة حكي عن جارية من عتيقات الأمير سيف الدين تمر المهمندار أنها حملت قريبا من سبعين يوما ثم شرعت تطرح ما في بطنها فوضعت قريباً من أربعين يوما في أيام متتالية ومتفرقة أربعة عشر بنتا وصبياً بعدهن قلّ من يعرف شكل الذكر من الأنثى.

وجاء الخبر بأن الأمير سيف الدين شيخون ملبر الممالك بالديار المصرية والشامية ظفر عليه مملوك من مماليك السلطان فضربه بالسيف ضربات فجرحه في أماكن في جسده منها ما هو في وجهه ومنها ما هو في يده فحمل إلى منزله صريعاً طريحا جريحا وغضب لذلك طوائف من الأمراء حتى قيل إنهم ركبوا ودعوا إلى المبارزة فلم يجئ إليهم وعظم الخطب بذلك جدا واتهموا به الأمير سيف الدين صرغتمش وغيره وأن هذا إنما فعل عن ممالأة منهم فالله أعلم.

وفاة أرغون الكاملي باني البيمارستان بحلب

■ (أرغون الكاملي).

كانت وفاته بالقدس الشريف في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من هذه السنة ودفن بتربة أنشأها غربي المسجد بشماله وقد ناب بدمشق مدة بعد حلب ثم جرت الكائنة التي أصلها بيبغا قبحه الله في أيامه ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالإسكندرية مدة ثم أفرج عنه فاقام بالقدس الشريف إلى أن كانت وفاته كما ذكرنا في التاريخ المذكور؛ حرّره الشريف بن زيرك والله أعلم.

وفاة الأمير شيخون

■ (شيخون).

ورد الخبر من الديار المصرية بوفاة الأمير سيف الدين شيخون ليلة الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة ودفن من الغد بتربته وقد ابتنى مدرسة هائلة وجعل فيها المذاهب الأربعة، وداراً للحديث، وخانقاه للصوفية، وأوقف عليها شيئا كثيراً، وقرر فيها معاليم وافرة دارة، وترك أموالا جزيلة، وحواصل كثيرة، ودواوين في سائر البلاد المصرية والشامية، وخلف بنات وزوجة، وورث البقية أولاد السلطان المذكور بالولاء، ومسك بعد وفاته أمراء كثيرون بمصر، كانوا من حزبه، من أشهرهم عز الدين طقطاي، الدوادار، وابن قوصون، وأمه أخت السلطان، خلف عليها شيخون بعد قوصون، انتهى، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الإسلام بالبلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحي، وقد قوي جانبه وحاشيته، بموت الأمير شيخون كما ذكرنا، في سادس عشرين ذي القعدة من السنة الماضية، وصار إليه من ميراثه من زهرة الحياة الدنيا شيء كثير، من القناطير المقنطرة، من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث، وكذلك من المماليك، والأسلحة، والعدة والبرك، والمتاجر ما يشق حصره، ويتعذر إحصاؤه ههنا.

وليس في الديار المصرية فيما بلغنا إلى الآن نائب ولا وزير، والقضاة بها هم المذكورون في التي قبلها.

وأما دمشق فنائبها وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها، سوى الحنفي، فإنه قاضي القضاة شرف الدين الكفري، عوضا عن نجم الدين الطرسوسي، توفي في شعبان من السنة الماضية.

ونائب حلب سيف الدين طاز، وطرابلس منجك، وحماة استدمر العمري، وصفد شهاب الدين بن صبح، وبحمص صلاح الدين خليل بن خاص ترك، وبعلبك ناصر الدين الأقوش.

وفي صبيحة يوم الاثنين رابع عشر المحرم خرجت أربعة آلاف مع أربعة مقدمين إلى ناحية حلب، نصرة لجيش حلب، على مسك طاز إن امتنع من السلطنة كما أمر.

ولما كان يوم الحادي والعشرين من المحرم نادى المنادي من جهة نائب السلطنة، أن يركب من بقي من الجند في الحديد، ويوافوه إلى سوق الخيل، فركب معهم قاصداً ناحية ثنية العقاب ليمنع الأمير طاز من دخول البلد، لما تحقق مجيئه في جيشه، قاصداً إلى الديار المصرية، فانزعج الناس لذلك، وأخليت دار السعادة من الحواصل والحريم إلى القلعة، وتحصن كثير من الأمراء بدورهم داخل البلد، وأغلق باب النصر، فاستوحش الناس، من ذلك بعض الشيء، ثم غلقت أبواب البلد كلها، إلا باب الفراديس والفرج وباب الجابية أيضاً لأجل دخول الحجاج.

ودخل المحمل صبيحة يوم الجمعة، الثالث والعشرين من المحرم، ولم يشعر به كثير من الناس، لشغلهم بما هم فيه من أمر طاز، وأمر العشير بحوران، وجاء الخبر بمسك الأمير سيف الدين طيدمر الحاجب الكبير بأرض حوران، وسجنه بقلعة صرخد، وجاء سيفه صحبة الأمير جمال الدين الحاجب، فذهب به إلى الوطاق عند الثنية، وقد وصل طاز بجنوده إلى باب القطيفة، وتلاقى شاليشه بشاليش نائب الشام، ولم يكن منهم قتال، ولله الحمد.

ثم تراسل هو والنائب في الصلح، على أن يسلم طاز نفسه، ويركب في عشرة سروج إلى السلطان، وينسلخ مما هو فيه، ويكاتب فيه النائب، وتلطفوا بأمره عند السلطان، وبكل ما يقدر عليه، فأجاب إلى ذلك، وأرسل يطلب من يشهده على وصيته، فأرسل إليه نائب السلطنة القاضي شهاب الدين قاضي العسكر، فذهب إليه، فأوصى لولده وأم ولده ولوالده نفسه، وجعل الناظر على وصيته الأمير علاء الدين أمير على المارداني نائب السلطنة، وللأمير صرغتمش.

ورجع النائب من الثنية عشية يوم السبت بين العشاءين، الرابع والعشرين منه وتضاعفت الأدعية له، وفرح الناس بذلك فرحا شديداً، ودعوا إلى الأمير طاز، بسبب إجابته إلى السمع والطاعة، وعدم مقاتلته مع كثرة من كان معه من الجيوش، وقوة من كان يحرضه على ذلك من أخويه وذويه، قد اجتمعت بنائب السلطنة الأمير علاء الدين أمير على المارداني، فأخبرني بملخص ما وقع منذ خرج إلى أن رجع، ومضمون كلامه، أن الله لطف بالمسلمين لطفا عظيما، إذ لم يقع بينهم قتال، فإنه قال: لما وصل طاز إلى القطيفة، وقد نزلنا نحن بالقرب من خان لاجين، أرسلت إليه مملوكا من مماليكي أقول له: إن المرسوم الشريف قد ورد بذهابك إلى الديار المصرية،

في عشرة سروج فقط، فإذا جئت هكذا فأهلا وسهلا، وإن لم تفعل فأنت أصل الفتنة، وركبت ليلة الجمعة طول الليل في الجيش وهو ملبس، فرجع مملوكي ومعه مملوكه سريعا، يقول: إنه يسأل أن يدخل بطلبه، كما خرج بطلبه من مصر، فقلت: لا سبيل إلى ذلك إلا في عشرة سروج كما رسم السلطان، فرجع وجاءني الأمير الذي جاء من مصر بطلبه فقال: إنه يطلب منك أن يدخل في مماليكه، فإذا جاوز دمشق إلى الكسوة نزل جيشه هناك، وركب هو في عشرة سروج كما رسم فقلت: لا سبيل إلى أن يدخل دمشق، ويتجاوز بطلبه أصلا، وإن كان عنده خيل ورجال وعدة فعندي أضعاف ذلك، فقال لي الأمير: يا خوند لا تكون تنشئ فتنة، فقلت: لا يقع إلا ما تسمع، فرجع، فما هو إلا أن ساق مقدار رمية سهم، وجاء بعض الجواسيس الذين لنا عندهم فقال: يا خوند ها قد وصل جيش حماة وطرابلس، ومن معهم من جيش دمشق الذين كانوا قد خرجوا بسببه، وقد اتفقوا هم وهو، قال: فحينئذ ركبت في الجيش، وأرسلت طليعتين أمامي، وقلت تراؤوا للجيوش الذين جاؤوا حتى يروكم، فيعلموا أنا قد أحطنا بهم من كل جانب، فحينئذ جاء البرد من جهته بطلب الأمان، ويجهرون بالإجابة إلى أن يركب في عشرة سروج، ويترك طلبه بالقطيفة، وذلك يوم الجمعة، فلما كان الليل ركبت أنا والجيش في السلاح طول الليل، وخشيت أن تكون مكيدة وخديعة، فجاءتنا الجواسيس، فأخبرونا أنهم قد أوقدوا نشابهم ورماحهم وكثيراً من سلاحهم، فتحققنا عند ذلك طاعته وإجابته، لكل ما رسم به، فلما أصبح يوم السبت وصى وركب في عشرة سروج، وسار نحو الديار المصرية، ولله الحمد والمنة.

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر، دخل حاجب الحجاب الذي كان سجن في قلعة صرخد مع البريدي الذي قدم بسببه من الديار المصرية، وتلقاه جماعة من الأمراء والكبراء، وتصدق بصدقات كثيرة في داره، وفرحوا به فرحا شديداً، وهو والناس يقولون إنه ذاهب إلى الديار المصرية معظما مكرما، على تقدمة ألف، ووظائف هناك.

فلما كان يوم الخميس السابع والعشرين منه لم يفجأ الناس إلا وقد دخل القلعة المنصورة، معتقلا بها، مضيقا عليه، فتعجب الناس من هذه الترحة من تلك الفرحة، فما شاء الله كان.

وفي يوم الأربعاء رابع ربيع الأول عقد مجلس بسبب الحاجب بالمشهد من الجامع.

وفي يوم الخميس أحضر الحاجب من القلعة إلى دار الحديث، واجتمع القضاة هناك، بسبب دعاوى يطلبون منه حق بعضهم.

ثم لما كان يوم الاثنين تاسعه قدم من الديار المصرية مقدم البريدية، بطلب الحاجب المذكور، فأخرج من القلعة المنصورة، وجاء إلى نائب السلطنة فقبل قدمه، ثم خرج إلى منزله، وركب من يومه قاصداً إلى الديار المصرية مكرما، وخرج بين يديه خلق من العوام والحرافيش، يدعون له، وهذا أغرب ما أرخ، فهذا الرجل نالته شدة عظيمة، بسبب سجنه بصرخد، ثم أفرج عنه ثم حبس في قلعة دمشق ثم أفرج عنه، وذلك كله في نحو شهر.

ثم جاءت الأخبار في يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى، بعزل نائب السلطنة عن دمشق، فلم يركب في الموكب يوم الاثنين، ولا حضر في دار العدل، ثم تحققت الأخبار بذلك، وبذهابه إلى نيابة حلب، وبمجيء نائب حلب إلى دمشق، فتأسف كثير من الناس عليه لديانته، وجوده، وحسن معاملته لأهل العلم، ولكن حاشيته لا ينفذون أوامره، فتولد بسبب ذلك فساد عريض، وهموا كثيرا من البلاد، فوقعت الحروب بين أهلها بسبب ذلك، وهاجت العشيرات، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين خرج الأمير علي المارداني من دمشق في طلبه مستجملاً، في أبهة النيابة، قاصدا إلى حلب المحروسة، وقد ضرب وطاقه بوطأة برزة، فخرج الناس للتفرج على طلبه.

وفي هذا اليوم بعد خروج النائب بقليل دخل الأمير سيف الدين طيدمر الحاجب من الديار المصرية، عائداً إلى وظيفة الحجوبية في أبهة عظيمة، وتلقاه الناس بالشموع، ودعوا له، ثم ركب من يومه إلى خدمة ملك الأمراء إلى وطأة برزة، فقبل يده، وخلع عليه الأمراء، واصطلحا، انتهى والله أعلم.

دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق المحروسة

كان ذلك في صبيحة يوم الخميس، الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، من ناحية حلب، وبين يديه الأمراء والجيش على العادة، وأوقدت الشموع، وخرج الناس، ومنهم من بات تلك الليلة على الأسطحة، وكان يوما هائلا.

وفي أواخر شهر رجب برز نائب السلطنة إلى الربوة، وأحضر القضاة وولاة الأمور، ورسم بإحضار المفتين وكنت فيمن طلب يومئذ إلى الربوة فركبت إليها وكان نائب السلطنة عزم يومئذ على تخريب المنازل المبنية بالربوة، وغلق الحمام من أجل هذه، فيما ذكر أنها بنيت ليقضى فيها، وهذا الحمام أوساخه صائرة إلى النهر الذي يشرب منه الناس، فاتفق الحال في آخر الأمر على إبقاء المساكن، ورد المرتفقات المسلطة على ثورا وباناس، ويترك ما هو مسلط على بردى، فانكف الناس عن الذهاب إلى الربوة بالكلية، ورسم يومئذ بتضييق أكمام النساء، وأن تزال الأجراس والركب عن الحمير التي للمكارية.

وفي أوائل شهر شعبان ركب نائب السلطنة يوم الجمعة بعد العصر، ليقف على الحائط الرومي الذي بالرحبة، فخاف أهل الأسواق، وغلقوا دكاكينهم عن آخرهم، واعتقدوا أن نائب السلطنة أمر بذلك، فغضب من ذلك، وتنصل منه، ثم إنه أمر بهدم الحائط المذكور، وأن ينقل إلى العمارة التي استجدها خارج باب النصر في دار الصناعة التي إلى جانب دار العدل، أمر ببنائها خاناً، ونقلت تلك الأحجار إليها، انتهى والله أعلم.

عزل القضاة الثلاثة بدمشق

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم من الديار المصرية بريدي، ومعه تذكرة ورقة فيها السلام على القضاة المستجدين، وأخبر بعزل القاضي الشافعي، والحنفي، والمالكي، وأنه ولّي قضاة الشافعية القاضي بهاء الدين أبو البقاء السبكي، وقضاء الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج الحنفي، وذهب الناس إلى السلام عليهم، والتهنئة لهم، واحتفلوا بذلك وأخبروا أن القاضي المالكي سيقدم من الديار المصرية.

ولما كان يوم السبت السابع والعشرين من شعبان، وصل البريد من الديار المصرية، ومعه تقليدان وخلعتان للقاضي الشافعي، والقاضي الحنفي، فلبسا الخلعتين، وجاءا من دار السعادة إلى الجامع الأموي، وجلسا في محراب المقصورة، وقرأ تقليد قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء الشافعي، الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث على السدة تجاه المحراب، وقرأ تقليد

قاضي القضاة جمال الدين بن السراج الحنفي الشيخ عماد الدين ابن السراج المحدث أيضا على السدة، ثم حكما هنالك، ثم جاءا معاً إلى الغزالية فدرس بها قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء، وجلس الحنفي إلى جانبه عن يمينه، وحضرت عنده، فأخذ في صيام يوم الشك، ثم جاءا معاً إلى المدرسة النورية، فدرس بها قاضي القضاة جمال الدين المذكور، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين، وذكروا أنه أخذ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ الآية [النساء: ١٣٥]، ثم انصرف بهاء الدين إلى المدرسة العادلية الكبيرة فدرس بها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ الآية [النساء: ٥٨،٥٩].

وفي صبيحة يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان دخل القاضي المالكي من الديار المصرية، فلبس الخلعة يومئذ، ودخل المقصورة من الجامع الأموي، وقرئ تقليده هنالك، بحضرة القضاة والأعيان، قرأه الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث، وهو قاضي القضاة شرف الدين أحمد ابن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن عسكر العراقي البغدادي، قدم الشام مراراً، ثم استوطن الديار المصرية، بعد ما حكم ببغداد نيابة عن قطب الدين الأخوي، ودرس بالمستنصرية بعد أبيه، وحكم بدمياط أيضا، ثم نقل إلى قضاء المالكية بدمشق، وهو شيخ حسن، كثير التودد، ومسدد العبارة، حسن البشر عند اللقاء، مشكور في مباشرته عفة ونزاهة وكرم، الله يوفقه ويسدده.

مسك الأمير طرغتمش أتابك الأمراء بالديار المصرية

ورد الخبر إلينا بمسكه يوم السبت، الخامس والعشرين من رمضان هذا، وأنه قبض عليه بحضرة السلطان، يوم الاثنين العشرين منه، ثم اختلفت الرواية عن قتله، غير أنه احتيط على حواصله وأمواله، وصودر أصحابه وأتباعه، فكان فيمن ضرب وعصر تحت المصادرة القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار، واشتهر أنه مات تحت العقوبة، وقد كان مقصداً للواردين إلى الديار المصرية، لا سيما أهل بلدة دمشق، وقد باشر عدة وظائف، وكان في آخر عمره قد فوض إليه نظر جميع الأوقاف ببلاد السلطان، وتكلم في أمر الجامع الأموي وغيره، فحصل بسبب ذلك قطع أرزاق جماعات من الكتبة وغيرهم، ومالأ الأمير صرغتمش في أمور كثيرة خاصة وعامة، فهلك بسببه، وقد قارب الثمانين، انتهى.

إعادة القضاة

وقد كان صرغتمش عزل القضاة الثلاثة بدمشق، وهم الشافعي، والحنفي، والمالكي، كما تقدم، وعزل قبلهم ابن جماعة، وولى ابن عقيل، فلما مسك صرغتمش رسم السلطان بإعادة القضاة على ما كانوا عليه، ولما ورد الخبر بذلك إلى دمشق امتنع القضاة الثلاثة من الحكم، غير أنهم حضروا ليلة العيد لرؤية الهلال بالجامع الأموي، وركبوا مع النائب صبيحة العيد إلى المصلى، على عادة القضاة، وهم على وجل، وقد انتقلوا من مدارس الحكم، فرجع قاضي القضاة أبو البقاء الشافعي إلى بستانه بالزعيفرية، ورجع قاضي القضاة جمال الدين ابن السراج إلى داره بالتعديل، وارتحل قاضي القضاة شرف الدين المالكي إلى الصالحية داخل الصمصامية، وتألم كثير من الناس بسببه، لأنه قد قدم غريبا من الديار المصرية، وهو فقير وتدين، وقد باشر الحكم جيداً، ثم تبين بآخرة أنه لم يعزل، وأنه مستمر كما سنذكره، ففرح أصحابه وأحبابه، وكثير من الناس بذلك.

فلما كان يوم الأحد رابع شوال، قدم البريد وصحبته تقليد الشافعي قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي، وتقليد الحنفي قاضي القضاة شرف الدين الكفري، واستمر قاضي القضاة شرف الدين المالكي العراقي على قضاء المالكية، لأن السلطان تذكر أنه كان شافهه بولاية القضاء بالشام، وسيره بين يديه إلى دمشق، فحمدت سيرته كما حسنت سريرته إن شاء الله، وفرح الناس له بذلك.

■ **(محمد بن يحيى بن محمد بن سعد الحنبلي).**

وفي ذي القعدة توفي المحدث شمس الدين محمد بن سعد الدين يحيى بن محمد بن سعد الحنبلي يوم الاثنين ثالثه، ودفن من الغد بالسفح، وقد قارب الستين، وكتب كثيرا وخرج، وكانت له معرفة جيدة بأسماء الأجزاء ورواتها من الشيوخ المتأخرين، وقد كتب للحافظ البرزالي قطعة كبيرة من مشايخه، وخرج له عن كل حديثا أو أكثر، وأثبت له ما سمعه عن كل منهم، ولم يتم حتى توفي البرزالي رحمه الله.

وتوفي بهاء الدين

■ **ابن المرجاني** باني جامع الفوقاني، وكان مسجدا في الأصل، فبناه جامعا، وجعل فيه خطبة، وكنت أول من خطب فيه، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وسمع شيئا من الحديث، وبلغنا مقتل الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى بن مهنا أحد أمراء الأعراب الأجواد الأنجاد، وقد ولّي إمرة آل مهنا غير مرة كما وليها أبوه من قبله، عدا عليه بعض بني عمه فقتله عن غير قصد بقتله، كما ذكر، لكن لما حمل عليه السيف أراد أن يدفع عن نفسه ويتّقيه، فضربه بسيف في رأسه ففلقه، فلم يعش بعده إلا أياما قلائل ومات رحمه الله انتهى.

عزل منجك عن دمشق

ولما كان يوم الأحد ثامن ذي الحجة قدم أمير من الديار المصرية ومعه تقليد نائب دمشق، وهو الأمير سيف الدين منجك بنيابة صفد المحروسة، فأصبح من الغد وهو يوم عرفة وقد انتقل من دار السعادة إلى سطح المزة قاصداً إلى صفد المحروسة، فعمل العيد بسطح المزة، ثم ترحل نحو صفد، وطمع كثير من المفسدين والخمارين وغيرهم، وفرحوا بزواله عنهم.

وفي يوم العيد قرئ كتاب السلطان بدار السعادة على الأمراء، وفيه التصريح باستنابة أميره علي المارداني عليهم، وعوده إليهم، والأمر بطاعته، وتعظيمه واحترامه، والشكر له، والثناء عليه، وقدم الأمير شهاب الدين بن صبح من نيابة صفد، ونزل بداره بظاهر البلد، بالقرب من الشامية البرانية.

ووصل البريد يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة بنفي صاحب الحجاب طيدمر الإسماعيلي إلى مدينة حماة، بطالا في سرجين والله أعلم.

ثم دخلت سنة ستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وملك الديار المصرية والشامية وما يتبع ذلك من الممالك الإسلامية الملك الناصر حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي.

وقضاته بمصر هم المذكورون في السنة التي قبلها.

ونائبه بدمشق الأمير علاء الدين علي المارداني.

وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير المالكي، فإنه عزل جمال الدين المسلاتي، بشرف الدين العراقي، وحاجب الحجاب الأمير شهاب الدين بن صبح، وخطيب البلد وكاتب سرّها المذكوران.

وفي صبيحة يوم الأربعاء ثالث المحرم دخل الأمير علاء الدين أمير على نائب السلطنة إلى دمشق من نيابة حلب، ففرح الناس به، وتلقوه إلى أثناء الطريق، وحملت له العامة الشموع في طرقات البلد، ولبس الأمير شهاب الدين بن صبح خلعة الحجابة الكبيرة بدمشق، عوضاً عن نيابة صفد.

ووردت كتب الحجاج يوم السبت الثالث عشر منه، مؤرخة سابع عشرين ذي الحجة من العلا، وذكروا أن صاحب المدينة النبوية عدا عليه فداويان عند لبسه خلعة السلطان، وقت دخول المحمل إلى المدينة الشريفة فقتلاه، فعدت عبيده على الحجيج الذين هم داخل المدينة، فنهبوا من أموالهم، وقتلوا بعضهم وخرجوا، وكانوا قد أغلقوا أبواب المدينة دون الجيش، فأحرق بعضها، ودخل الجيش السلطاني، فاستنقذوا الناس من أيدي الظالمين.

ودخل المحمل السلطاني إلى دمشق يوم السبت العشرين من هذا الشهر على عادته، وبين يدي المحمل الفداويان اللذان قتلا صاحب المدينة، وقد ذكرت عنه أمور شنيعة بشعة، من غلوه في الرفض المفرط، ومن قوله إنه لو تمكن لأخرج الشيخين من الحجرة، وغير ذلك من عبارات مؤدية لعدم إيمانه إن صح عنه، والله أعلم.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سادس صفر مسك الأمير شهاب الدين بن صبح حاجب الحجاب، وولداه الأميران، وحبسوا في القلعة المنصورة، ثم سافر به الأمير ناصر الدين بن جاربك بعد أيام إلى الديار المصرية، وفي رجل ابن صبح قيد، وذكر أنه فك من رجله في أثناء الطريق.

وفي يوم الاثنين ثالث عشر صفر قدم نائب طرابلس الأمير سيف الدين عبد الغني فأدخل القلعة، ثم سافر به الأمير علاء الدين بن أبي بكر إلى الديار المصرية، محتفظا به، مضيقاً عليه، وجاء الخبر بأن منجك سافر من صفد على البريد، مطلوبا إلى السلطان، فلما كان بينه وبين غزة بريد واحد دخل بمن معه من خدمه التيه، فارا من السلطان، وحين وصل الخبر إلى نائب غزة اجتهد في طلبه، فأعجزه، وتفارط الأمر، انتهى، والله أعلم.

مسك الأمير علي المارداني نائب الشام

وأصل ذلك في صبيحة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رجب، ركب الجيش إلى تحت القلعة ملبسين، وضربت البشائر في القلعة في ناحية الطارمة، وجاء الأمراء بالطبلخاناه من كل جانب، والقائم بأعباء الأمر الأمير سيف الدين بيدمر الحاجب، ونائب السلطنة داخل دار السعادة، والرسل مرددة بينه وبين الجيش، ثم خرج فحمل على سروج يسيرة، محتاطا عليه إلى ناحية الديار المصرية، واستوحش من أهل الشام عند باب النصر، فتباكى الناس رحمة له، وأسفة عليه، لديانته، وقلة أذيته، وأذية الرعية، وإحسانه إلى العلماء والفقراء والقضاة.

ثم في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين منه احتيط على الأمراء الثلاثة، وهم الأمير سيف الدين طيغا حاجي أحد مقدمي الألوف، والأمير سيف الدين قطليجا الدوادار أحد المقدمين أيضا، والأمير علاء الدين أيدغمش المارداني أحد أمراء الطبلخاناه، وكان هؤلاء ممن حضر نائب السلطنة المذكور، وهم جلساؤه وسماره، والذين بسفارته أعطوا الأخبار والطبلخاناه والتقادم، فرفعوا إلى القلعة المنصورة، معتقلين بها، مع من بها من الأمراء، ثم ورد الخبر بأن الأمير عليّاً رد من الطريق، بعد مجاوزته غزة، وأرسل إليه بتقليد نيابة صفد المحروسة، فتماثل الحال، وفرح بذلك أصحابه وأحبابه.

وقدم متسلم دمشق الذي خلع عليه بنيابتها بالديار المصرية، في يوم الخميس سادس عشر شهر رجب، بعد أن استعفى من ذلك مراراً، وياس الأرض مراراً فلم يعفه السلطان، وهو الأمير سيف الدين أسندمر، أخو يلبغا اليحياوي، الذي كان نائب الشام، وبيته اليوم زوجة السلطان، قدم متسلمه إلى دمشق يوم الخميس، سلخ الشهر، فنزل في دار السعادة، وراح القضاة والأعيان للسلام عليه، والتودد إليه، وحملت إليه الضيافات والتقادم، انتهى والله أعلم.

كائنة وقعت بقرية حوران فأوقع الله بهم بأساً شديداً في هذا الشهر الشريف

وذلك أنهم أشهر أهل قرية بحوران، وهي خاص لنائب الشام، وهم حلبية يمن، ويقال لهم بنو لبسه، وبني ناشي، وهي حصينة منيعة، يضوي إليها كل مفسد، وقاطع، ومارق، ولجأ إليهم أحد شياطين روس العشير، وهو عمر المعروف بالدنيط، فأعدوا عددا كثيرة، ونهبوا ليغنموا العشير، وفي هذا الحين بدرهم والي الولاة المعروف بشنكل منكل، فجاء إليهم ليردهم ويهديهم، وطلب منهم عمر الدنيط، فأبوا عليه، ورأموا مقاتلته، وهم جمع كثير وجم غفير، فتأخر عنهم، وكتب إلى نائب السلطنة ليمده بجيش، عونا له عليهم وعلى أمثالهم، فجهز له جماعة من أمراء الطبلخاناه، والعشراوات ومائة من جند الحلقة الرماة.

فلما بغتهم في بلدهم تجمعوا لقتال العسكر ورموه بالحجارة والمقاليع، وحجزوا بينهم وبين البلد، فعند ذلك رمتهم الأتراك بالنبال من كل جانب، فقتلوا منهم فوق المائة، ففروا على أعقابهم، وأسر منهم والي الولاة نحواً من ستين رجلا، وأمر بقطع رؤوس القتلى، وتعليقها في أعناق هؤلاء الأسرى، ونهبت بيوت الفلاحين كلهم، وسلمت إلى مماليك نائب السلطنة، لم يفقد منها ما يساوي ثلاثمائة درهم، وكر راجعا إلى بصرى، وشيوخ العشيرات معه، فأخبرني الأمير صلاح الدين بن خاص ترك، وكان من جملة أمراء الطبلخاناه الذين قاتلوهم بمبسوط ما يخصه، وأنه كان إذا أعيا بعض تلك الأسرى من الجرحى أمر المشاعلي بذبحه، وتعليق رأسه على بقية الأسرى، وفعل هذا بهم غير مرة، حتى إنه قطع رأس شاب منهم، وعلق رأسه على أبيه، شيخ كبير، فإنا لله وإنا إليه راجعون، حتى قدم بهم بصرى، فشكل طائفة من أولئك المأسورين، فشكل آخرين، ووسط الآخرين، وحبس بعضهم في القلعة، وعلق الرؤوس على أخشاب نصبها حول قلعة بصرى، فحصل بذلك تنكيل شديد، لم يقع مثله في هذا الأوان بأهل حوران، وهذا كله سلط عليهم بما كسبت أيديهم، وما ربك بظلام للعبيد، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩] فإنا لله وإنا إليه راجعون، انتهى.

دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين أسندمر اليحياوي

في صبيحة يوم الاثنين حادي عشر شعبان من هذه السنة كان دخول الأمير سيف الدين أسندمر اليحياوي نائبا على دمشق، من جهة الديار المصرية، وتلقاه الناس، واحتفلوا له احتفالا زائدا، وشاهدته حين ترجل لتقبيل العتبة، وبعضده الأمير سيف الدين بيدمر، الذي كان حاجب الحجاب، وعين لنيابة حلب المحروسة، فاستقبل القبلة، وسجد على العتبة، وقد بسط له عندها مفارش وصمدة هائلة، ثم إنه ركب فتعضده بيدمر أيضا، وسار نحو الموكب، فأوكب ثم عاد إلى دار السعادة على عادة من تقدمه من النواب، وجاء تقليد الأمير سيف الدين بيدمر من آخر النهار، لنيابة حلب المحروسة.

وفي آخر نهار الثلاثاء بعد العصر ورد البريد البشيري وعلى يده مرسوم شريف بنفي القاضي بهاء الدين أبي البقاء وأولاده وأهله إلى طرابلس، بلا وظيفة، فشق ذلك عليه وعلى أهليه ومن يليه، وتغمم له كثير من الناس، وسافر ليلة الجمعة، وقد أذن له في الاستنابة في جهاته، فاستناب ولده الكبير ولي الدين.

واشتهر في شوال أن الأمير سيف الدين منجك الذي كان نائب السلطنة بالشام، وهرب ولم يطلع له خبر، فلما كان في هذا الوقت ذكر أنه مسك ببلد بحران، من معاملة ماردين في زي فقير، وأنه احتفظ عليه، وأرسل السلطان قراره، وعجب كثير من الناس من ذلك، ثم لم يظهر لذلك حقيقة، وكان الذين رأوه ظنوا أنه هو، فإذا هو فقير من جملة الفقراء، يشبهه من بعض الوجوه.

واشتهر في ذي القعدة أن الأمير عز الدين فياض بن مهنا ملك العرب، خرج عن طاعة السلطان، وتوجه نحو العراق، فوردت المراسيم السلطانية لمن بأرض الرحبة من العساكر الدمشقية، وهم أربعة مقدمين في أربعة آلاف، وكذلك جيش حلب وغيره بتطلبه، وإحضاره إلى بين يدي السلطان، فسعوا في ذلك بكل ما يقدرون عليه، فعجزوا عن لحاقه، والدخول وراءه إلى البراري، وتفارط الحال، وخلص إلى أرض العراق، فضاق النطاق، وتعذر اللحاق.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة

استهلت وسلطان المسلمين الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون.

وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها، ونائب الشام الأمير سيف الدين أسندمر أخو يلبغا اليحياوي، وكاتب السر القاضي أمين الدين بن القلانسي.

وفي مستهل المحرم جاء الخبر بموت الشيخ

■ صلاح الدين العلائي بالقدس الشريف، ليلة الاثنين ثالث المحرم، وصلي عليه من الغد بالمسجد الأقصى، بعد صلاة الظهر، ودفن بمقبرة باب الرحمة، وله من العمر ست وستون سنه، وكان مدة مقامه بالقدس مدرسا بالمدرسة الصلاحية وشيخا بدار الحديث السكرية ثلاثين سنة.

وقد صنف وألف، وجمع وخرج، وكانت له يد طولى بمعرفة العالي والنازل، وتخريج الأجزاء والفوائد وله مشاركة قوية في الفقه، واللغة والعربية، والأدب وفي كتابته ضعف، لكن مع صحة وضبط لما يشكل، وله عدة مصنفات ويلغني أنه وقفها على الخانقاه السميساطية بدمشق، وقد ولّى بعده التدريس بالصلاحية الخطيب برهان الدين بن جماعة، والنظر بها، وكان معه تفويض عنه متقدم التاريخ.

وفي يوم الخميس السادس من محرم احتيط على متولّي البر ابن بهادر السنجري، ورسم عليه بالعذراوية، بسبب أنه اتهم بأخذ مطلب من نعمان البلقاء هو وكجكن الحاجب، وقاضي حسان، والظاهر أن هذه مرافعة من خصم علو لهم، وأنه لم يكن من هذا شيء، والله أعلم.

ثم ظهر على رجل يزور المراسيم الشريفة، وأخذ بسببه مدرس الصارمية، لأنه كان عنده في المدرسة المذكورة، وضرب بين يدي ملك الأمراء، وكذلك على الشيخ زين الدين زيد المغربي الشافعي، وذكر عنه أنه يطلب مرسوماً لمدرسة الأكزية، وضرب أيضاً ورسم عليه في حبس السد، وكذلك حبس الأمير شهاب الدين، الذي كان متولّي البلد، لأنه كان قد كتب له مرسوما شريفاً بالولاية، فلما فهم ذلك كاتب السر أطلع عليه نائب السلطنة، فانفتح عليه الباب، وحبسوا كلهم بالسد.

وجاءت كتب الحجاج ليلة السبت، الخامس عشر من المحرم، وأخبرت بالخصب والرخص والأمن، ولله الحمد والمنة.

ودخل المحمل بعد المغرب ليلة السبت الثاني والعشرين منه، ثم دخل الحجيج بعده في الطين والدحض، وقد لقوا من ذلك من بلاد حوران عناء وشدة، ووقعت جمالات كثيرة، وسبيت نساء كثيرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحصل للناس تعب شديد.

ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين قطعت يد الذي زور المراسيم، واسمه السراج عمر القفطي المصري، وهو شاب كاتب، منطيق على ما ذكر، وحمل في قفص على جمل وهو مقطوع اليد، ولم يحسم بعد والدم ينصب منها، وأركب معه الشيخ زين الدين زيد على جمل، وهو منكوس وجهه إلى ناحية دبر الجمل، وهو عريان مكشوف الرأس، وكذلك البدر الحمصي على جمل آخر، وأركب الوالي شهاب الدين على جمل آخر، وعليه تخفيفة صغيرة، وخف وقباء، وطيف بهم في محال البلد، ونودي عليهم: هذا جزاء من يزور على السلطان، ثم أودعوا حبس الباب الصغير، وكان قبل هذا التعزير في حبس السد، ومنه أخذوا وأشهروا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، انتهى.

مسك منجك وصفة الظهور عليه وكان مختفياً بدمشق حوال سنة

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم جاء ناصح إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين أسندمر، فأخبره بأن منجك في دار الشرف الأعلى، فأرسل من فوره إلى ذلك المنزل الذي هو فيه بعض الحجبة، ومن عنده من خواصه، فأحضر إلى بين يديه محتفظا عليه جداً، بحيث إن بعضهم ردفه من ورائه واحتضنه، فلما واجهه نائب السلطنة أكرمه، وتلقاه، وأجلسه معه على مقعدته، وتلطف به، وسقاه وأضافه، وقد قيل إنه كان صائما فأفطر عنده، وأعطاه من ملابسه، وقيده وأرسله إلى السلطان من ليلته ليلة الجمعة مع جماعة من الجند، وبعض الأمراء، منهم حسام الدين

أمير حاجب، وقد كان أرسل نائب السلطنة ولده بسيف منجك من أوائل النهار، وتعجب الناس من هذه القضية جداً، وما كان يظن كثير من الناس إلا أنه قد عدم باغتيال أو أنه في بعض البلاد النائية، ولم يشعر الناس إلا أنه في وسط دمشق، وأنه يمشي بينهم متنكراً، وقد ذكر أنه كان يحضر الجمعات بجامع دمشق، ويمشي بين الناس متنكراً في لبسه وهيئته، ومع هذا لن يغني حذر من قدر، ولكل أجل كتاب، وأرسل ولد ملك الأمراء بالسيف، وبملابسه التي كان يتنكر بها، وبعث هو مع جماعة من الأمراء الحجبة وغيرهم، وجيش كثيف إلى الديار المصرية، مقيدا محتفظا عليه، ورجع ابن ملك الأمراء بالتحف والهدايا، والخلع والإنعام لوالده، ولحاجب الحجاب، ولبس ذلك الأمراء يوم الجمعة، واحتفل الناس بالشموع وغيرها.

ثم تواترت الأخبار بدخول منجك إلى السلطان، وعفوه عنه، وخلعته الكاملة عليه، وإطلاقه له الحسام والخيول المسومة، والألبسة المفتخرة، والأموال، والأمان، وتقديم الأمراء والأكابر له من سائر صنوف التحف، وقدوم الأمير علي من صفد قاصدا إلى حماة لنيابتها، فنزل القصر الأبلق ليلة الخميس، رابع صفر، وتوجه ليلة الأحد سابعه.

وفي يوم الخميس الثامن عشر من صفر قدم القاضي بهاء الدين أبو البقاء من طرابلس، بمرسوم شريف، أن يعود إلى دمشق على وظائفه المبقاة عليه، وقد كان ولده وليّ الدين ينوب عنه فيها، فتلقاه كثير من الناس إلى أثناء الطريق، وبرز إليه قاضي القضاة تاج الدين إلى حرستا، وراح الناس إلى تهنئته إلى داره، وفرحوا برجوعه إلى وطنه.

ووقع مطر عظيم في أول هذا الشهر، وهو أثناء شهر شباط، وسقط ثلج عظيم، فرويت البساتين التي كانت لها عن الماء عدة شهور، ولا يحصل لأحد من الناس سقي إلا بكلفة عظيمة ومشقة، ومبلغ كثير، حتى كاد الناس يقتتلون عليه بالأيدي والدبابيس، وغير ذلك من البذل الكثير، وذلك في شهور كانون الأول والثاني، وأول شباط، وذلك لقلة مياه الأنهار وضعفها، وكذلك بلاد حوران أكثرهم يبرورون من أماكن بعيدة في هذه الشهور، ثم منّ الله تعالى فجرت الأودية، وكثرت الأمطار والثلوج، وغزرت الأنهار، ولله الحمد والمنة، وتوالت الأمطار، فكأنه حصل السيل في هذه السنة، من كانون إلى شباط، فكان شباط هو كانون، وكانون، لم يسل فيه ميزاب واحد.

ووصل في هذا الشهر الأمير سيف الدين منجك إلى القدس الشريف، ليبني للسلطان مدرسة وخانقاه غربي المسجد الشريف، وأحضر الطرخان الذي كتب له بماء الذهب إلى دمشق، وشاهده الناس ووقعت على نسخته، وفيها تعظيم زائد، ومدح وثناء له، وشكر على متقدم خدمه لهذه الدولة، والعفو عما مضى من زلاته، وذكر سيرته بعبارة حسنة.

وفي أوائل شهر ربيع الآخر رسم على المعلم سنجر مملوك ابن هلال، صاحب الأموال الجزيلة، بمرسوم شريف قدم مع البريد، وطلب منه ستمائة ألف درهم، واحتيط على العمارة التي أنشأها عند باب النطافين ليجعلها مدرسة، ورسم بأن يعمر مكانها مكتب للأيتام، وأن يوقف عليهم كفايتهم جارية عليهم، وكذلك رسم بأن يجعل في كل مدرسة من مدارس المملكة الكبار، وهذا مقصد جيد، وسلم المعلم سنجر إلى شاد الدواوين، يستخلص منه المبلغ المذكور سريعا، فعاجل بحمل مائتي ألف، وسيرت مع أمير عشرة إلى الديار المصرية.

الاحتياط على الكتبة والدواوين

وفي يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر ورد من الديار المصرية أمير معه مرسوم بالاحتياط على دواوين السلطان، بسبب ما أكلوا من الأموال المرتبة للناس من الصدقات السلطانية، وغير ذلك، فرسم عليهم بدار العدل البرانية، وألزموا بأموال جزيلة كثيرة، بحيث احتاجوا إلى بيع أثاثهم وأقمشتهم، وفرشهم وأمتعتهم وغيرها، حتى ذكر أن منهم من لم يكن له شيء يعطيه، فأحضر بناته إلى الدكة ليبيعهن، فتباكى الناس، وانتحبوا رحمة ورقة لأبيهن، ثم أطلق بعضهم وهم الضعفاء منهم والفقراء، الذين لا شيء معهم، وبقيت الغرامة على الكبراء منهم، كالصاحب والمستوفين، ثم شددت عليهم المطالبة، وضربوا ضربا مبرحا، وألزموا الصاحب بمال كثير، بحيث إنه احتاج إلى أن سأل من الأمراء والأكابر والتجار بنفسه وبأوراقه، فأسعفوه بمبلغ كثير يقارب ما ألزم به، بعد أن عري ليضرب، ولكن ترك، واشتهر أنه قد عين عوضه من الديار المصرية، انتهى.

موت فياض بن مهنا

ورد الخبر بذلك يوم السبت الثامن عشر منه، فاستبشر بذلك كثير من الناس، وأرسل إلى السلطان مبشرين بذلك، لأنه كان قد خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، فمات موتة جاهلية، بأرض العراق؛ أرض الشقاق والنفاق، وقد ذكرت عن هذا المذكور أشياء صدرت عنه من ظلم الناس، والإفطار في شهر رمضان بلا عذر، وأمره أصحابه وذويه بذلك في هذا الشهر الماضي، فإنا لله وإنا إليه راجعون، جاوز السبعين، انتهى، والله أعلم.

كائنة عجيبة جدا هي المعلم سنجر مملوك بن هلال

في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الآخر أطلق المعلم الهلالي، بعد أن استوفوا منه تكميل ستمائة ألف درهم، فبات في منزله عند باب النطافين سرورا بالخلاص، ولما أصبح ذهب إلى الحمام، وقد ورد البريد من جهة السلطان من الديار المصرية بالاحتياط على أمواله وحواصله، فأقبلت الحجبة، ونقباء النقبة، والأعوان من كل مكان، فقصدوا داره، فاحتاطوا بها، وعليها بما فيها، ورسم عليه وعلى ولديه، وأخرجت نساؤه من المنزل في حالة صعبة، وفتشوا النساء، وانتزعوا عنهن الحلي، والجواهر والنفائس، واجتمعت العامة والغوغاء، وحضر بعض القضاة ومعه الشهود، بضبط الأموال والحجج والرهون، وأحضروا المعلم ليستعلموا منه جلية ذلك، فوجدوا من حاصل الفضة أول يوم ثلاثمائة ألف وسبعين ألفا، ثم صناديق أخرى لم تفتح، وحواصل لم يصلوا إليها لضيق الوقت، ثم أصبحوا يوم الأحد في مثل ذلك، وقد بات الحرس على الأبواب والأسطحة، لئلا يعدى عليها في الليل، وبات هو وأولاده بالقلعة المنصورة، محتفظا عليهم، وقد رق له كثير من الناس، لما أصابه من المصيبة العظيمة، بعد التي قبلها سريعا.

وفي أواخر هذا الشهر توفي الأمير ناصر الدين

■ محمد بن الدوادار السكري، كان ذا مكانة عند أستاذه، ومنزلة عالية، ونال من السعادة في وظيفته أقصاها، ثم قلب الله قلب أستاذه عليه، فضربه وصادره، وعزله وسجنه، ونزل قدره عند الناس، وآل به الحال إلى

أن كان يقف على أتباعه بفرسه، ويشتري منهم ويحاككهم، ويحمل حاجته معه في سرجه، وصار مُثْلَةً بين الناس، بعد أن كان في غاية ما يكون فيه الدوادارية من العز والجاه، والمال والرفعة في الدنيا، وحق على اللّه تعالى أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلا وضعه.

وفي صبيحة يوم الأحد سابع عشره أفرج عن المعلم الهلالي، وعن ولديه، وكانوا معتقلين بالقلعة المنصورة، وسلمت إليهم دورهم وحواصلهم، ولكن أخذ ما كان حاصلا في داره، وهو ثلاثمائة ألف وعشرون ألفا، وختم على حججه، ليعقد لذلك مجلس، ليرجع رأس ماله منها، عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتُم فَلَكُم رُؤُوسُ أَمْوَالِكُم لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٩] ونودي عليه في البلد، إنما فعلنا به ذلك لأنه لا يؤدي الزكاة، ويعامل بالربا، وحاجب السلطان، ومتولّي البلد، وبقية المتعممين والمشاعلية تنادي عليه في أسواق البلد وأرجائها.

وفي يوم الثامن والعشرين منه ورد المرسوم السلطاني الشريف بإطلاق الدواوين إلى ديارهم وأهاليهم، ففرح الناس بسبب ذلك، لخلاصهم مما كانوا فيه من العقوبة والمصادرة البليغة، ولكن لم يستمر بهم في مباشراتهم.

وفي أواخر الشهر تكلم الشيخ شهاب الدين المقدسي الواعظ، قدم من الديار المصرية، تجاه محراب الصحابة، واجتمع الناس إليه، وحضر من قضاة القضاة الشافعي، والمالكي، فتكلم على تفسير آيات من القرآن، وأشار إلى أشياء من إشارات الصوفية، بعبارات طلقة معربة، حلوة صادعة للقلوب، فأفاد وأجاد، وودع الناس بعوده إلى بلده، ولما دعا استنهض الناس للقيام، فقاموا في حال الدعاء، وقد اجتمعت به بالمجلس، فرأيته حسن الهيئة، والكلام والتأدب، فاللّه يصلحه وإيانا آمين.

وفي مستهل جمادى الآخرة ركب الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب، لقصد غزو بلاد سيس في جيش، لقاه اللّه النصر والتأييد.

وفي مستهل هذا الشهر أصبح أهل القلعة وقد نزل جماعة من أمراء الأعراب من أعالي محيسهم، في عمائم وحبال إلى الخندق، وخاضوه، وخرجوا من عند جسر الزلابية، فانطلق اثنان، وأمسك الثالث الذي تبقى في السجن، وكأنه كان يمسك لهم الحبال حتى تدلوا فيها، فاشتد نكير نائب السلطنة على نائب القلعة، وضرب ابنيه النقيب وأخاه وسجنهما، وكاتب في هذه الكائنة إلى السلطان، فورد المرسوم بعزل نائب القلعة وإخراجه منها، وطلبه لمحاسبة ما قبض من الأموال السلطانية في مدة ست سنين من مباشرته، وعزل ابنه عن النقابة، وابنه الآخر عن استادّارية السلطان، فنزلوا من عزهم إلى عزلهم.

وفي يوم الاثنين سابع عشره جاء الأمير تاج الدين جبريل من عند الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب، وقد فتح بلدين من بلاد سيس، وهما طرسوس وأذنة، وأرسل مفاتيحهما صحبة جبريل المذكور، إلى السلطان أيده اللّه، ثم افتتح حصوناً أخر كثيرة، في أسرع مدة، وأيسر كلفة، وخطب هناك القاضي ناصر الدين كاتب السر خطبة بليغة حسنة.

وبلغني في كتاب أن أبواب كنيسة أذنة حملت إلى الديار المصرية في المراكب.

قلت: وهذه هي أبواب الناصرية التي بالسفح، أخذها سيس عام قازان، وذلك في سنة تسع وتسعين وستمائة، فاستنقذت وللّه الحمد في آخر هذه السنة.

وفي أواخر هذا الشهر بلغنا أن الشيخ قطب الدين هرماس الذي كان شيخ السلطان طرد عن جناب مخدومه، وضرب وصودر، وخربت داره إلى الأساس، ونفي إلى مصياف، فاجتاز بدمشق، ونزل بالمدرسة الحلبية ظاهر باب الفرج، وزرته فيمن سلم عليه، فإذا هو شيخ حسن، عنده ما يقال ويتلفظ معربا جيداً، ولديه فضيلة، وعنده تواضع وتصوف، فاللّه يحسن عاقبته، ثم تحول إلى العذراوية.

وفي صبيحة يوم السبت سابع شهر رجب توجه الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن ابن قاضي الجبل الحنبلي إلى الديار المصرية، مطلوبا على البريد إلى السلطان، لتدريس الطائفة الحنبلية بالمدرسة التي أنشأها السلطان بالقاهرة المعزية، وخرج لتوديعه القضاة، والأعيان إلى أثناء الطريق، كتب اللّه سلامته، انتهى واللّه تعالى أعلم.

مسك نائب السلطنة أسندمر اليحياوي

وفي صبيحة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب قبض على نائب السلطنة الأمير سيف الدين أسندمر، أخي يلبغا اليحياوي، عن كتاب ورد من السلطان صحبة الدوادار الصغير، وكان يومئذ راكبا بناحية ميدان ابن أتابك، فلما رجع إلى عند مقابر اليهود والنصارى احتاط عليه الحاجب الكبير ومن معه من الجيش، وألزموه بالذهاب إلى ناحية طرابلس، فذهب من على طريق الشيخ رسلان، ولم يمكن من المسير إلى دار السعادة، ورسم عليه من الجند من أوصله إلى طرابلس، مقيما بها بطالا، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، يفعل ما يشاء، وبقي البلد بلا نائب، يحكم فيه الحاجب الكبير، عن مرسوم السلطان، وعين للنيابة الأمير سيف الدين بيدمر النائب بحلب.

وفي شعبان وصل تقليد الأمير سيف الدين بيدمر بنيابة دمشق، ورسم له أن يركب في طائفة من جيش حلب، ويقصد الأمير حيّار بن مهنا، ليحضره إلى خدمة السلطان، وكذلك رسم لنائبي حماة وحمص أن يكونا عونا للأمير سيف الدين بيدمر في ذلك.

فلما كان يوم الجمعة رابعه التقوا مع حيار عند سلمية، فكانت بينهم مناوشات، فأخبرني الأمير تاج الدين إسرائيل الدودار وكان مشاهد الوقعة أن الأعراب أحاطوا بهم من كل جانب، وذلك لكثرة العرب، وكانوا نحو الثمانمائة، وكانت الترك من حماة وحمص وحلب مائة وخمسين، فرموا الأعراب بالنشاب، فقتلوا منهم طائفة كثيرة، ولم يقتل من الترك سوى رجل واحد، رماه بعض الترك ظانا أنه من العرب بناشج فقتله، ثم حجز بينهم الليل، وخرجت الترك من الدائرة، ونهبت أموال من الترك ومن العرب، وجرت فتنة، وجردت أمراء عدة من دمشق لتدارك الحال وأقام نائب السلطنة هناك ينتظر ورودهم، وقدم الأمير عمر الملقب بمصمع بن موسى بن مهنا من الديار المصرية أميراً على الأعراب، وفي صحبته الأمير بدر الدين رملة بن جماز أميران على الأعراب، فنزل مصمع بالقصر الأبلق، ونزل الأمير رملة بالنورية على عادته، ثم توجها إلى ناحية حيار بمن معهما من عرب الطاعة، ممن أضيف إليهم من تجريدة دمشق، ومن يكون معهم من جيش حماة وحمص لتحصيل الأمير حيار، وإحضاره إلى الخدمة الشريفة، فاللّه تعالى يحسن العاقبة.

دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى دمشق

وذلك صبيحة يوم السبت التاسع عشر من شعبان، أقبل بجيشه من

ناحية حلب وقد بات بوطأة برزة ليلة السبت، وتلقاه الناس إلى حماة ودونها وجرت له وقعة مع العرب كما ذكرنا.

فلما كان هذا اليوم دخل في أبهة عظيمة، وتجمل حافل، فقبل العتبة على العادة، ومشى إلى دار السعادة، ثم أقبلت جنائبه في لبوس هائلة باهرة، وعدد كثير، وعدد ثمينة، وفرح المسلمون به، لشهامته، وصرامته وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، والله تعالى يؤيده ويسدده.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان خطبت الحنابلة بجامع القبيبات، وعزل عنه القاضي شهاب الدين قاضي العسكر الحنفي، بمرسوم نائب السلطان، لأنه كان يعرف أنه كان مختصاً بالحنابلة، منذ عين إلى هذا الحين.

وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قتل عثمان بن محمد، المعروف بابن دبادب الدقاق، بالحديد على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب، أنه كان يكثر من شتم الرسول ﷺ فرفع إلى الحاكم المالكي، وادّعى عليه فأظهر التجانن، ثم استقر أمره على أن قتل قبحه الله، وأبعده ولا رحمه.

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين منه قتل محمد، المدعو زبالة، الذي الحاز لابن معبد على ما صدر منه من سب النبي ﷺ، ودعواه أشياء كفرية، وذكر عنه أنه كان يكثر الصلاة والصيام، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر، وعائشة أم المؤمنين، وفي حق النبي ﷺ، فضربت عنقه أيضاً في هذا اليوم، في سوق الخيل، ولله الحمد والمنة.

وفي ثالث عشر شوال خرج المحمل السلطاني، وأميره الأمير ناصر الدين بن قرانسقر، وقاضي الحجيج الشيخ شمس الدين محمد بن سند المحدث، أحد المفتين.

وفي أواخر شهر شوال أخذ رجل يقال له حسن، كان خياطا بمحلة الشاغور، ومن شأنه أن يتصر لفرعون لعنه الله، ويزعم أنه مات على الإسلام، ويحتج بأنه في سورة يونس حين أدركه الغرق قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] ولا يفهم معنى قوله: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] ولا معنى قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥] ولا معنى قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [سورة المزمل: ١٦] إلى غير ذلك من الآيات، والأحاديث الكثيرة، الدالة على أن فرعون أكفر الكافرين، كما هو مجمع عليه بين اليهود، والنصارى، والمسلمين.

وفي صبيحة يوم الجمعة سادس ذي القعدة قدم البريد بطلب نائب السلطنة إلى الديار المصرية، في تكريم وتعظيم، على عادة تنكز، فتوجه النائب إلى الديار المصرية، وقد استصحب معه تحفا سنية، وهدايا معظمة تصلح للإيوان الشريف، في صبيحة السبت رابع عشره، خرج ومعه القضاة والأعيان من الحجبة والأمراء لتوديعه.

وفي أوائل ذي الحجة ورد كتاب من نائب السلطنة يخطبه إلى قاضي القضاة تاج الدين الشافعي، يستدعيه إلى القدس الشريف، وزيارة قبر الخليل، ويذكر فيه ما عامله به السلطان من الإحسان والإكرام، والاحترام، والإطلاق، والإنعام من الخيل، والتحف، والمال، والغلات، فتوجه نحوه قاضي القضاة يوم الجمعة بعد الصلاة، رابعه على ستة من خيل البريد، ومعه تحف، وما يناسب من الهدايا، وعاد عشية يوم الجمعة، ثامن عشره، إلى بستانه.

ووقع في هذا الشهر والذي قبله سيول كثيرة جداً في أماكن متعددة عندهم من ذلك ما شاهدنا آثاره في مدينة بعلبك، أتلف شيئا كثيراً من الأشجار، واخترق أماكن كثيرة متعددة عندهم، وبقي آثار سيحه على أراض كثيرة، ومن ذلك سيل وقع بأرض خيران أتلف شيئاً كثيراً جداً، وغرق فيه قاضي تلك الناحية، ومعه بعض الأخيار، كانوا وقوفا على أكمة، فدهمهم أمر عظيم، ولم يستطيعوا دفعه ولا منعه، فهلكوا.

ومن ذلك سيل وقع بناحية جبة عسال، فهلك به شيء كثير من الأشجار، والأغنام، والأعناب، وغيرها.

ومن ذلك سيل بأرض حلب هلك به خلق كثير من التركمان وغيرهم، رجالا وأطفالا وغنما وإبلا، قرأته من كتاب من شاهد ذلك عيانا، وذكر أنه سقط عليهم برد وزنت الواحدة منه فبلغت زنتها سبعمائة درهم، وفيه ما هو أكبر من ذلك وأصغر، انتهى.

الأمر بإلزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم

وذلك محرم بالإجماع حسب ما حكاه ابن حزم، وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكراهة: ورد كتاب من السلطان أيده الله إلى دمشق، في يوم الثلاثاء خامس عشر ذي الحجة، بإلزامهم بزي المسلمين، وترك زي الأعاجم والمجوس، فلا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان، حتى يترك هذا الزي المبتدع، واللباس المستشنع، ومن لا يلتزم بذلك يعزر شرعا، ويقلع من قراره قلعا، وكان اللائق أن يؤمروا بترك أكل الحشيشة الخسيسة، وإقامة الحد عليهم بأكلها وسكرها، كما أفتى بذلك بعض الفقهاء، والمقصود أنهم نودي عليهم بذلك في جميع أرجاء البلد ونواحيه، في صبيحة يوم الأربعاء، ولله الحمد والمنة.

وبلغنا في هذا الشهر وفاة الشيخ الصالح

■ أحمد بن موسى الزرعي بمدينة خيران يوم الثلاثاء، خامس ذي الحجة، وكان من المبتلين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقيام في مصالح الناس عند السلطان والدولة، وله وجاهة عند الخاص والعام، رحمه الله.

والأمير سيف الدين

■ كُجكن بن الأقوش، الذي كان حاجبا بدمشق وأميراً، ثم عزل عن ذلك كله، ونفاه السلطان إلى طرابلس، فمات هناك.

وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر عائداً من الديار المصرية، وقد لقي من السلطان إكراما وإحسانا زائداً، فاجتاز في طريقه بالقدس الشريف، فأقام به يوم عرفة والنحر، ثم سلك على طريق غابة أرصوف يصطاد بها، فأصابه وعك منعه عن ذلك، فأسرع السير، فدخل دمشق من صبيحة يوم الاثنين، الحادي والعشرين منه، في أبهة هائلة ورياسة طائلة، وتزايد،وخرج العامة للتفرج عليه، والنظر إليه في مجيئه هذا، فدخل وعليه قباء معظم ومطرز، وبين يديه ما جرت به العادة من الحوفية والشاليشية وغيرهم، ومن نيته الإحسان إلى الرعية، والنظر في أحوال الأوقاف، وإصلاحها على طريقة سيف الدين تنكز رحمه الله انتهى، والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك، ويلتحق به الملك الناصر حسن ابن

الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي، ولا نائب له بالديار المصرية.

وقضاته بها هم المذكورون في العام الماضي، ووزيره القاضي ابن الخصيب.

ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي، والقضاة والخطيب وبقية الأشراف وناظر الجيش والمحتسب هم المذكورون في العام الماضي، والوزير ابن قرونية، وكاتب السر القاضي أمين الدين بن القلانسي، ووكيل بيت المال القاضي صلاح الدين الصفدي، وهو أحد موقعي الدست الأربعة، وشاد الأوقاف الأمير ناصر الدين بن فضل الله، وحاجب الحجاب اليوسفي، وقد توجه إلى الديار المصرية ليكون بها أمير جندار، ومتولي البلد ناصر الدين، ونقيب النقباء ابن الشجاعي.

وفي صبيحة يوم الاثنين سادس المحرم قدم الأمير علي نائب حماة منها، فدخل دمشق، مجتازاً إلى الديار المصرية، فنزل في القصر الأبلق، ثم تحول إلى دار دواداره يلبغا، الذي جدد فيها مساكن كثيرة بالقصاعين، وتردد الناس إليه للسلام عليه، فأقام بها إلى صبيحة يوم الخميس تاسعه، فسار إلى الديار المصرية.

وفي يوم الأحد تاسع عشر المحرم أحضر حسن بن الخياط من محلة الشاغور إلى مجلس الحكم المالكي من السجن، وناظر في إيمان فرعون، وادعي عليه بدعاوى لانتصاره لفرعون لعنه الله، وصدق ذلك باعترافه أولا، ثم بمناظرته في ذلك ثانيا وثالثا، وهو شيخ كبير جاهل عامي، رابض لا يقيم دليلا ولا يحسنه، وإنما قام في مخيلته شبهة يحيج عليها بقوله إخبارا عن فرعون حين أدركه الغرق، وأحيط به، ورأى بأس الله، وعاين عذابه الأليم، فقال حين الغرق: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] قال الله تعالى: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩١ - ٩٢].

فاعتقد هذا العامي الرابض أن هذا الإيمان الذي صدر من فرعون والحالة هذه ينفعه، وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤،٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ. ولو جاءتهم كلُّ آيةٍ حتى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] وقد دعا موسى على فرعون فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩].

ثم حضر في يوم آخر وهو مصمم على ضلاله، فضرب بالسياط، فأظهر التوبة، ثم أعيد إلى السجن في زنجير، ثم أحضر يوما ثالثا وهو يستهل بالتوبة فيما يظهر، فنودي عليه في البلد ثم أطلق.

وفي ليلة الثلاثاء الرابع عشر طلع القمر خاسفا كله، ولكن كان تحت السحاب، فلما ظهر وقت العشاء وقد أخذ في الجلاء صلى الخطيب صلاة الكسوف قبل العشاء، وقرأ في الأولى بسورة العنكبوت، وفي الأخرى بسورة يس، ثم صعد المنبر فخطب، ثم نزل بعد العشاء، وقدمت كتب الحجاج يخبرون بالرخص والأمن، واستمرت زيادة الماء من أول ذي الحجة وقبلها إلى هذه الأيام من آخر هذا الشهر والأمر على حاله، وهذا شيء لم يعهد كما أخبر به عامة الشيوخ، وسببه أنه جاء ماء من بعض الجبال انهال في طريق النهر.

ودخل المحمل السلطاني يوم الثلاثاء، الحادي والعشرين من المحرم، قبل الظهر، ومسك أمير الحاج جركتمر الماراداني الذي كان مقيما بمكة شرفها الله تعالى، وحماها من الأوغاد، فلما عادت التجريدة مع الحجاج إلى دمشق صحبة القراسنقر الذي تسلّم الحجيج من مكة من أميرهم في الطلقة ناصر الدين بن قراسنقر المنصوري فمسك من ساعة وصوله إلى دمشق، فقيد وسير إلى الديار المصرية على البريد، وبلغنا أن الأمير سند أمير مكة غرر بجند السلطان الذين ساروا صحبة ابن قراسنقر المنصوري، وكبسهم وقتل من حواشيهم، وأخذ خيولهم، وأنهم ساروا جرائد بغير شيء مسلوبين إلى الديار المصرية، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي أول صفر اشتهر فيه وتواتر خبر الغناء الذي بالديار المصرية، بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عندهم، على خلاف المعتاد، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين، فأما المرض فكثير جداً، وغلت الأسعار لقلة من يتعاطى الأشغال، وغلا السكر، والمياه والفاكهة جداً، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد، وحصل له تشويش أيضا، ثم عوفي بحمد الله.

وفي ثالث ربيع الآخر قدم من الديار المصرية ابن الحجان رسول صاحب العراق، لخطبة بنت السلطان، فأجابهم إلى ذلك، بشرط أن يصدقها مملكة بغداد، وأعطاهم مستحقا سلطانياً، وأطلق لهم من التحف والخلع والأموال شيئا كثيراً، ورسم الرسول بمشترى قرية من بيت المال لتوقف على الخانقاه التي يريد أن يتخذها بدمشق قريبا من الطواويس، وقد خرج لتلقيه نائب الغيبة، وهو صاحب الحاجب، والدولة والأعيان.

وقرأت في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر كتابا ورد من حلب بخط الفقيه العدل شمس الدين العراقي من أهلها، ذكر فيه أنه كان في حضرة نائب السلطنة في دار العدل يوم الاثنين، السابع عشر من ربيع الأول، وأنه أحضر رجل قد ولد له ولد عاش ساعة ومات، وأحضره معه، وشاهده الحاضرون، وشاهده كاتب الكتاب، فإذا هو شكل سوي، له على كل كتف رأس بوجه مستدير، والوجهان إلى ناحية واحدة فسبحان الخلاق العليم.

وبلغنا أنه في هذا الشهر سقطت المنارة التي بنيت للمدرسة السلطانية بمصر، وكانت مستجدة على صفة غريبة، وذلك أنها منارتان على أصل واحد، فوق قبو الباب الذي للمدرسة المذكورة، فلما سقطت أهلكت خلقا كثيراً من الصناع بالمدرسة، والمارة، والصبيان الذين في مكتب المدرسة، ولم ينج من الصبيان فيما ذكر شيء سوى ستة، وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلاثمائة نفس، وقيل أكثر، وقيل أقل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى الغيضة لإصلاحها وإزالة ما فيها من الأشجار المؤذية والدغل يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر، وكان سلخه، وخرج معه جميع الجيش من الأمراء وأصحابه، وأجناد الحلقة برمتهم، لم يتأخر منهم أحد، وكلهم يعملون فيها بأنفسهم وغلمانهم، وأحضر إليهم خلق من فلاحي المرج والغوطة وغير ذلك، ورجع يوم السبت خامس الشهر الداخل، وقد نظفوها من والدغل والقش.

واتفقت كائنة غريبة لبعض السؤال، وهو أنه اجتمع جماعة منهم قبل الفجر ليأخذوا خبزاً من صدقة تربة امرأة ملك الأمراء تنكز عند باب

الخواصين، فتضاربوا فيما بينهم، فعمدوا إلى رجل منهم فخنقوه خنقا شديداً، وأخذوا منه جرابا فيه نحو من أربعة آلاف درهم، وشيء من الذهب، وذهبوا على حمية، وأفاق هو من الغشي فلم يجدهم، واشتكى أمره إلى متولي البلد فلم يظفر بهم إلى الآن، وقد أخبرني الذي أخذوا منه أنهم أخذوا منه ثلاثة آلاف درهم معاملة، وألف درهم بندقية، ودينارين وزنهما ثلاثة دنانير، كذا قال لي إن كان صادقا.

وفي صبيحة يوم السبت خامس جمادى الأولى طلب قاضي القضاة شرف الدين الحنفي للشيخ علي بن البنا، وقد كان يتكلم في الجامع الأموي على العوام وهو جالس على الأرض شيء من الوعظيات وما أشبهها من صدره، فكأنه تعرض في غضون كلامه لأبي حنيفة رحمه الله فأحضر فاستتيب من ذلك، ومنعه قاضي القضاة شرف الدين الكفري من الكلام على الناس، وسجنه، وبلغني أنه حكم بإسلامه، وأطلقه من يومه، وهذا المذكور ابن البنا عنده زهادة وتقشف، وهو مصري، يسمع الحديث ويقرؤه، ويتكلم بشيء من الوعظيات والرقائق، وضرب أمثال، وقد مال إليه كثير من العوام واستحلوه، وكلامه قريب إلى مفهومهم، وربما أضحك في كلامه، وحاضرته، وهو مطبوع قريب إلى الفهم، ولكنه أشار فيما ذكر عنه في شطحته إلى بعض الأشياء التي لا تنبغي أن تذكر، والله الموفق.

ثم إنه جلس للناس في يوم الثلاثاء ثامنه، فتكلم على عادته، فتطلبه القاضي المذكور، فيقال إن المذكور تعنت، انتهى، والله أعلم.

سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد

ابن الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحي، وزوال دولة عمه الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون

لما كثر طمعه، وتزايد شرهه، وساءت سيرته إلى رعيته، وضيق عليهم في معايشهم وأكسابهم، وبني البنايات الجبارة التي لا يحتاج إلى كثير منها، واستحوذ على كثير من أملاك بيت المال وأمواله، واشترى منه قرايا كثيرة ومدنا أيضا، ورساتيق، وشق ذلك على الناس جدا، ولم يتجاسر أحد من القضاة ولا الولاة ولا العلماء ولا الصلحاء على الإنكار عليه، ولا الهجوم عليه، ولا النصيحة له بما هو مصلحة له وللمسلمين، انتقم الله منه، فسلط عليه جنده، وقلب قلوب رعيته من الخاصة والعامة عليه، لما قطع من أرزاقهم، ومعاليمهم، وجوامكهم، وأخبازهم، وأضاف ذلك جميعه إلى خاصته، فقلت الأمراء والأجناد، والمقدمون، والكتاب، والموقعون، ومس الناس الضرر، وتعدى على جوامكهم وأولادهم، ومن يلوذ بهم، فعند ذلك قدر الله هلاكه على يد أحد خواصه وهو الأمير الكبير سيف الدين بلبغا الخاصكي.

وذلك أنه أراد السلطان مسكه فاعتد لذلك، وركب السلطان لمسكه، فركب هو في جيش، وتلاقيا في ظاهر القاهرة، حيث كانوا نزولا في الوطاقات، فهزم السلطان بعد كل حساب، وقد قتل من الفريقين طائفة ولجأ السلطان إلى قلعة الجبل، ﴿كلا لا وزر﴾ [القيامة: ١١]، ولن ينجي حذر من قدر، فبات الجيش بكماله محدقا بالقلعة، فهم بالهرب في الليل، على هجن كان قد اعتدها ليهرب إلى الكرك، فلما برز مسك واعتقل، ودخل به إلى دار بلبغا الخاصكي المذكور، وكان آخر العهد به، وذلك في يوم الأربعاء، تاسع جمادى الأولى من هذه السنة.

وصارت الدولة والمشورة متناهية إلى الأمير سيف الدين بلبغا الخاصكي، فاتفقت الآراء، واجتمعت الكلمة، وانعقدت البيعة للملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي، وخطب الخطباء، وضربت السكة، وسارت البريدية للبيعة باسمه الشريف، هذا وهو ابن ثنتي عشرة، وقيل أربع عشرة، ومن الناس من قال ست عشرة، ورسم بعَوْد الأمور إلى ما كانت عليه في أيام والده الناصر محمد بن قلاوون، وأن يبطل جميع ما كان أحدثه الملك الناصر حسن، وأن تعاد المرتبات والجوامك التي كان قطعها، وأمر بإحضار طاز وطاشتمر القاسمي من سجن إسكندرية إلى بين يديه، ليكونا أتابكا.

وجاء الخبر إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين بزلار شاد الشربخاناه، أحد أمراء الطبلخاناه بمصر، صبيحة يوم الأربعاء سادس عشر الشهر، فضربت البشائر بالقلعة، وطبلخاناه الأمراء على أبوابهم وزين البلد بكماله، وأخذت البيعة له صبيحة يومئذ بدار السعادة، وخلع عن نائب السلطنة تشريف هائل، وفرح أكثر الأمراء والجند والعامة، ولله الأمر، وله الحكم. قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ الآية [آل عمران: ٢٦]، ووجد على حجر بالحميرية، فقرئت للمأمون، فإذا مكتوب:

ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا ... دارت نجومُ السماءِ في الفلكِ
إلا لنقلِ النعيمِ من مَلِكٍ ... قد زال سلطانُه إلى ملكِ
وملكُ ذي العرشِ دائمٌ أبداً ... ليس بفانٍ ولا بمشتركِ

وروي عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنه خرج يوماً لصلاة الجمعة، وكان سوي الخلق حسنه، وقد لبس حلة خضراء، وهو شاب ممتلئ شبابا، وينظر في أعطافه ولباسه، فأعجبه ذلك من نفسه، فلما بلغ إلى صرحة الدار، تلقته جنية في صورة جارية من حظاياه، فأنشدته:

أنتَ يَغُرُّ المتاعُ لو كنتَ تبقى ... غيرَ أن لا حياةَ للإنسانِ
ليس فيما علمتُ فيكَ عيبٌ ... بَّ يذكرُ غيرَ أنكَ فانِ

فصعد المنبر الذي في جامع دمشق، وخطب الناس، وكان جهوري الصوت، يسمع أهل الجامع وهو قائم على المنبر، فضعف صوته قليلا قليلا، حتى لم يسمعه أهل المقصورة، فلما فرغ من الصلاة حمل إلى منزله، فاستحضر تلك الجارية التي تبدت تلك الجنية على صورتها، وقال: كيف أنشدتني تينك البيتين؟ فقالت: ما أنشدتك شيئا، فقال: الله أكبر نُعيت والله إليَّ نفسي، فأوصى أن يكون الخليفة من بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

وقدم نائب طرابلس المعزول عليلاً، والأمير سيف الدين أسندمر الذي كان نائب دمشق، وكانا مقيمين بطرابلس جميعاً، في صبيحة يوم السبت السادس والعشرين منه، فدخلا دار السعادة فلم يحتفل بهما نائب السلطنة.

وتكامل في هذا الشهر تجديد الرواق غربي باب الناطفانيين، إصلاحاً للدرابزيناته، وتبييضا لجدرانه ومحراب فيه، وجعل له شبابيك في الدرابزينات، ووقف فيه قراءة قرآن بعد المغرب، وذكروا أن شخصا رأى مناماً، فقصه على نائب السلطنة، فأمر بإصلاحه.

وفيه نهض بناء المدرسة، التي إلى جانب هذا المكان من الشباك، وقد كان أسسها أولا نجم الدين غلام بن هلال، فلما صودر أخذت منه وجعلت مضافة إلى السلطان، فبنوا فوق الأساسات، وجعلوا لها خمسة

شبابيك من شرقها، وبابا قبليا، وعرابا، وبركة وعراقية، وجعلوا حائطها بالحجارة البيض والسود، وكملوا عاليها بالآجر، وجاءت في غاية الحسن، وقد كان السلطان الناصر حسن قد رسم بأن تجعل مكتبا للأيتام فلم يتم أمرها حتى قتل كما ذكرنا.

واشتهر في هذا الشهر أن بقرة كانت تجيء من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلبة قد ماتت أمهم، وهي في ناحية كنيسة مريم في خرابة، فتجيء إليهم فتنسطح على شقها فترضع أولئك الجراء منها، تكرر هذا منها مراراً، وأخبرني المحدث المفيد التقي نور الدين أحمد بن المقصوص بمشاهدته ذلك.

وفي العشر الأوسط من جمادى الآخرة نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى في البلد أن النساء يمشين في ستر، ويلبسن أزرهن إلى أسفل من سائر ثيابهن، ولا يظهرن زينة ولا يداً، فامتثلن ذلك ولله الحمد والمنة.

وقدم أمير العرب حيار بن مهنا في أبهة هائلة وتلقاه نائب السلطنة إلى أثناء الطريق، وهو قاصد إلى الأبواب الشريفة.

وفي أواخر رجب قدم الأمير سيف الدين تمر المهمندار من نيابة غزة حاجب الحجاب بدمشق، وعلى مقدمة رأس الميمنة، وأطلق نائب السلطنة مكوسات كثيرة، مثل مكس الحدادية والخزل المرددن الحلب والطبابي، وأبطل ما كان يؤخذ من المحتسبين زيادة على نصف درهم، وما يؤخذ من أجرة عدة الموتى كل ميت بثلاثة ونصف، وجعل العدة التي في القيسارية للحاجة مسبلة لا تنحجر على أحد في تغسيل ميت، وهذا حسن جداً، وكذلك منع التحجر في بيع الثلج المختص به، وبيع مثل بقية الناس من غير طرخان فرخص على الناس في هذه السنة جداً، حتى قيل إنه بيع القنطار بعشرة، وما حولها.

وفي شهر شعبان قدم الأمير حيار بن مهنا من الديار المصرية، فنزل القصر الأبلق، وتلقاه نائب السلطنة، وأكرم كل منهما الآخر، ثم ترحل بعد أيام قلائل، وقدم الأمراء الذين كانوا بحبس الإسكندرية، في صبيحة يوم الجمعة سابعه، وفيهم الأمير شهاب الدين بن صبح وسيف الدين طيدمر الحاجب، وطنيرق ومقدم ألف، وعمر شاه، وهذا ونائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر أعزه الله يبطل المكوسات شيئاً بعد شيء مما فيه مضرة بالمسلمين، ويلغني عنه أن من عزمه أن يبطل جميع ذلك إن أمكنه الله من ذلك، آمين انتهى.

تنبيه على واقعة غريبة واتفاق عجيب

نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر فيما بلغنا في نفسه عتب على أتابك الديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي مدبر الدولة بها، وقد توسم وتوهم منه أنه يسعى في صرفه عن الشام، وفي نفس نائبنا قوة وصرامة شديدة، فتنسم منه ببعض الإباء عن طاعة يلبغا، مع استمراره على طاعة السلطان، وأنه إن أتفق عزل من قبل يلبغا أنه لا يسمع ولا يطيع، فعمل لذلك أعمالا.

واتفق في غضون هذا الحال موت نائب القلعة المنصورة بدمشق، وهو الأمير سيف الدين برتاق الناصري فأرسل نائب السلطنة من أصحابه وحاشيته من يتسلم القلعة برمتها، ودخل هو بنفسه إليها، وطلب الأمير زين الدين زبالة الذي كان فقيها ثم نائبها وهو من أخبر الناس بها وبخطاتها وحواصلها، فدار معه فيها وأراه حصونها وبروجها ومفاتحها وأغلاقها ودورها وقصورها وعددها وبركتها، وما هو معد فيها ولها، وتعجب الناس من هذا الاتفاق في هذا الحال، حيث لم يتفق ذلك لأحد من النواب قبله قط، وفتح الباب الذي هو تجاه دار السعادة وجعل نائب السلطنة يدخل منه إلى القلعة، ويخرج بخدمه وحشمه وأبهته يكشف أمرها وينظر في مصالحها أيده الله.

ولما كان يوم السبت خامس عشر شعبان ركب في الموكب على العادة واستدعى الأمير سيف الدين أسندمر الذي كان نائب الشام، وهو في منزله كالمعتقل فيه لا يركب ولا يراه أحد، فأحضره إليه، وركب معه وكذلك الأمراء الذين قدموا من الديار المصرية: طُنيرق، وهو أحد أمراء الألوف وطيدمر الحاجب، كان، وأما ابن صبح وعمر شاه فإنهما كانا قد سافرا يوم الجمعة عشية النهار.

والمقصود أنه سيرهم وجميع الأمراء بسوق الخيل ونزل بهم كلهم إلى دار السعادة فتعاهدوا وتعاقدوا واتفقوا على أن يكونوا كلهم كتفاً واحداً، وعصبة واحدة على مخالفة من أرادهم بسوء وأنهم يد على من سواهم ممن أراد عزل أحد منهم، أو قتله وأن من قاتلهم على ذلك قاتلوه وأن السلطان هو ابن أستاذهم الملك المنصور بن حاجي بن الناصر بن المنصور قلاوون، فطاوعوا كلهم لنائب السلطنة على ما أراد من ذلك، وحلفوا له وخرجوا من عنده على هذا الحلف، وقام نائب السلطنة على عادته في عظمة هائلة، وأبهة كثيرة والمسؤول من الله حسن العاقبة.

وفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر شعبان أبطل ملك الأمراء المكس الذي يؤخذ من الملح وأبطل مكس الأفراح، وأبطل أن لا تغني امرأة لرجال ولا رجل لنساء وهذا في غاية ما يكون من المصلحة العظيمة الشامل نفعها.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرة شرع نائب السلطنة سيف الدين بيدمر في نصب مجانيق على أعالي بروج القلعة، فنصبت أربعة مجانيق من جهاتها الأربع، ويلغني أنه نصب آخر في أرضها عند البحرة، ثم نصب آخر وآخر حتى شاهد الناس ستة مجانيق على ظهور الأبرجة، وأخرج منها القلعية وأسكنها خلقا من الأكراد والتركمان وغيرهم من الرجال الأنجاد، ونقل إليها من الغلات والأطعمة والأمتعة وآلات الحرب شيئاً كثيراً، واستعد للحصار إن حوصر فيها بما يحتاج إليه من جميع ما يرصد من القلاع، بما يفوت الحصر.

ولما شاهد أهل البساتين المجانيق قد نصبت في القلعة ازعجوا وانتقل أكثرهم من البساتين إلى البلد، ومنهم من أودع عند أهل البلد نفائس أموالهم وأمتعتهم، والعاقبة إلى خير إن شاء الله تعالى.

وجاءتني فتيا صورتها: ما يقول السادة العلماء في ملك اشترى غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ثم إنه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله، ومنع ورثته منه، وتصرف في المملكة وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقتله، فهل له الامتناع منه؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً أم لا؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال؟ أفتونا مأجورين..

فقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير: إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنيته في الذي يقصده ولا يسعى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة على ذلك، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة والأمراء عليه فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة

والمشايخ أولا، ثم بعد ذلك يكتب بقية المفتين بطريقه والله الموفق للصواب.

هذا وقد اجتمع على الأمير نائب السلطنة جميع أمراء الشام، حتى قيل إن فيهم من نواب السلطنة سبعة عشر أميراً، وكلهم يحضر معه المواكب الهائلة، وينزلون معه إلى دار السعادة، ويمد لهم الأسمطة ويأكل معهم.

وجاء الخبر بأن الأمير منجك الطرخاني المقيم ببيت المقدس قد أظهر الموافقة لنائب السلطنة، فأرسل له جبريل ثم عاد فأخبر بالموافقة، وأنه قد استحوذ على غزة ونائبه، وقد جمع وحشد واستخدم طوائف، ومسك على الجادة فلا يدع أحداً يمر إلا أن يفتش ما معه، لاحتمال إيصال كتب من هاهنا إلى هاهنا ومع هذا كله فالمعدلة ثابتة جداً، والأمن حاصل هناك، فلا يخاف أحد وكذلك بدمشق وضواحيها، لا يهاج أحد ولا يتعدى أحد على أحد، ولا ينهب أحد لأحد شيئا ولله الحمد.

غير أن بعض أهل البساتين قد انزعجوا توهموا وركبوا إلى المدينة وتحولوا، وأودع بعضهم نفائس ما عندهم، وأقاموا بها على وجل، وذلك لما رأوا المجانيق الستة منصوبة على رؤوس قلال الأبراج التي للقلعة ثم أحضر نائب السلطنة القضاة الأربعة والأمراء كلهم وكتبوا مكتوبا سطره بينهم كاتب السر أنهم راضون بالسلطان كارهون ليلبغا وأنهم لا يريدونه ولا يوافقون على تصرفه في المملكة وشهد عليهم القضاة بذلك، وأرسلوا المكتوب مع مملوك للأمير طيبغا الطويل، نظير يلبغا بالديار المصرية، وأرسل منجك إلى نائب السلطنة يستحثه في الحضور إليه في الجيش ليناجزوا المصريين، فعين نائب الشام من الجيش طائفة يبرزون بين يديه، وخرجت التجريدة ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان صحبة أسندمر الذي كان نائب الشام مدداً للأمير منجك في ألفين، ويذكر الناس أن نائب السلطنة ممن بقي من الجيش يذهبون على إثرهم، ثم خرجت أخرى بعدها ثلاثة آلاف، ليلة الثلاثاء الثاني من رمضان كما سيأتي.

وتوفي الشيخ الحافظ علاء الدين

■ مغلطاي المصري بها في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة، ودفن من الغد بالزيدانية، وقد كتب الكثير وصنف وجمع، وكانت عنده كتب كثيرة جداً رحمه الله.

وفي مستهل رمضان أحضر جماعة من التجار إلى دار العدل ظاهر باب النصر ليباع شيء عليهم من القند والفولاذ والزجاج مما هو في حواصل يلبغا، فامتنعوا من ذلك خوفا من استعادة ثمنه منهم على تقدير، فضرب بعضهم منهم شهاب الدين بن الصواف بين يدي الحاجب، وشاد الدواوين، ثم أفرج عنهم في اليوم الثاني ففرج الله بذلك.

وخرجت التجريدة ليلة الثلاثاء بعد العشاء صحبة ثلاثة مقدمين منهم عراق ثم ابن صبح ثم ابن طرغية.

ودخل نائب طرابلس الأمير سيف الدين تومان إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء، عاشر رمضان فتلقاه ملك الأمراء سيف الدين بيدمر إلى الأقصر، ودخلا معا في أبهة عظيمة فنزل تومان في القصر الأبلق، وبرز من معه من الجيوش إلى عند قبة يلبغا، هذا والقلعة منصوب عليها المجانيق، وقد ملئت حرساً شديداً، ونائب السلطنة في غاية التحفظ.

ولما أصبح يوم الخميس صمم تومان تمر على ملك الأمراء في الرحيل إلى غزة ليتوافى هو وبقية من تقدمه من الجيش الشامي، ومنجك ومن معه هنالك ليقضي الله أمراً كان مفعولا،،فأجابه إلى ذلك وأمر بتقدم السبق بين يديه، في هذا اليوم فخرج السبق وأغلقت القلعة بابها المسلوك الذي عند دار الحديث، فاستوحش الناس، من ذلك والله يحسن العاقبة.

خروج ملك الأمراء بيدمر من دمشق إلى غزة

صلى الجمعة بالمقصورة الثاني عشر من رمضان هو ونائب السلطنة، بأطرابلس، ثم اجتمعا بالخطبة في مقصورة الخطابة، ثم راح لدار السعادة ثم خرج طلبه في تجمل هائل على ما ذكر بعد العصر، وخرج معهم فاستعرضهم ثم عاد إلى دار السعادة فبات إلى أن صلى الصبح، ثم ركب خلف الجيش هو ونائب طرابلس، وخرج عامة من بقي من الجيش من الأمراء وبقية الحلقة في أثناء الليل، ومن جملة الذاهبين في صحبته الولد عبد الرحمن أحد رجال الحلقة وسلمهم الله، وكذلك خرج القضاة، وكذا كاتب السر ووكيل بيت المال وغيرهم من كتاب الدست.

وأصبح الناس يوم السبت وليس أحد من الجند بدمشق، سوى نائب الغيبة الأمير سيف الدين بن حمزة التركماني، وقريبه والي البر ومتولي البلد الأمير بدر الدين صدقة بن أوحد، ومحتسب البلد ونواب القضاة والقلعة، على حالها والمجانيق منصوبة كما هي.

ولما كان صبح يوم الأحد رجع القضاة بكرة ثم رجع ملك الأمراء في أثناء النهار هو وتومان تمر، وهم كلهم في لبس وأسلحة تامة، وكل منهما خائف من الآخر أن يمسكه، فدخل هذا دار السعادة وراح الآخر إلى القصر الأبلق، ولما كان بعد العصر قدم منجك وأسندمر كان نائب السلطنة بدمشق، وهما مغلولان قد كسرهما من كان قدم على منجك من العساكر التي جهزها بيدمر إلى منجك قوة له على المصريين، وكان ذلك على يدي الأمير سيف الدين تمر حاجب الحجاب ويعرف بالمهمندار، قال لمنجك كلنا في خدمة من بمصر ونحن لا نطيعك على نصرة بيدمر، فتقاولا ثم تقاتلا فهزم منجك وذهب تمر ومنجك ومن كان معهما كابن صبح وطيدمر إلى المصريين.

ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين خامس عشر لم يوجد لتومان تمر وطنبرق ولا أحد من أمراء دمشق عين ولا أثر، قد ذهبوا كلهم إلى طاعة صاحب مصر، ولم يبق بدمشق من أمرائها سوى ابن قراسنقر من الأمراء المتقدمين، وسوى بيدمر،ومنجك وأسندمر، والقلعة قد هيئت والمجانيق منصوبة على حالها، والناس في خوف شديد من دخول بيدمر إلى القلعة، فيحصل بعد ذلك عند قدوم الجيش المصري حصار وتعب ومشقة على الناس، والله يحسن العاقبة.

ولما كان في أثناء نهار الاثنين خامس عشره دقت البشائر في القلعة وأظهر أن يلبغا الخاصكي قد نفاه السلطان إلى الشام، ثم ضربت وقت المغرب ثم بعد العشاء في صبيحة يوم الثلاثاء أيضا، وفي كل ذلك يركب الأمراء الثلاثة منجك وبيدمر وأسندمر ملبسين، ويخرجون إلى خارج البلد، ثم يعودون، والناس فيما يقال ما بين مصدق ومكذب، ولكن قد شرع إلى تستير القلعة وتهيئ الحصار فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم تبين أن هذه البشائر لا حقيقة لها، فاهتم في عمل ستائر القلعة وحمل الزلط والأحجار إليها، والأغنام والحواصل إليها.

وقد وردت الأخبار بأن الركاب الشريف السلطاني وصحبته يلبغا في جميع جيش مصر قد عدا غزة فعند ذلك خرج الصاحب وكاتب السر والقاضي الشافعي وناظر الجيش ونقباؤه ومتولي البلد وتوجهوا تلقاء حماة لتلقي الأمير علي الذي قد جاءه تقليد دمشق، وبقي البلد شاغرا عن

حاكم فيها سوى المحتسب وبعض القضاة، والناس كغنم لا راعي لهم، ومع هذا الأحوال صالحة والأمور ساكنة، لا يعدو أحد على أحد فيما بلغنا، هذا وبيدمر ومنجك وأسندمر في تحصين القلعة وتحصيل العدد والأقوات فيها، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] الستائر تعمل فوق الأبرجة، وصلى الأمير بيدمر صلاة الجمعة تاسع عشر الشهر في الشباك الكمالي، في مشهد عثمان، وصلى عنده منجك إلى جانبه داخل موضع القضاة، وليس هناك أحد من الحجبة ولا النقباء، وليس في البلد أحد من المباشرين بالكلية، ولا من الجند إلا القليل، وكلهم قد سافروا إلى ناحية السلطان، والمباشرون إلى ناحية حماة لتلقي الأمير علي نائب الشام المحروس، ثم عاد إلى القلعة ولم يحضر الصلاة أسندمر، لأنه قيل كان منقطعا إذ قد صلى في القلعة.

وفي يوم السبت العشرين من الشهر وصل البريد من جهة السلطان من أبناء الرسول إلى نائب دمشق يستعلم طاعته أو مخالفته، وتعتّب عليه فيما اعتمده من استحوذ على القلعة ويخطب فيها، وادخار الآلات والأطعمة فيها، وعدم المجانيق والستائر عليها، وكيف تصرف في الأموال السلطانية تصرف الملاّك والملوك، فتتصل ملك الأمراء من ذلك، وذكر أنه إنما أرصد في القلعة جنادتها وأنه لم يدخلها، وأن أبوابها مفتوحة، وهي قلعة السلطان، وإنما له غريم بينه وبينه الشرع والقضاة الأربعة - يعني بذلك يلبغا - وكتب بالجواب وأرسله صحبة البريدي وهو كيكلدي مملوك يقطية الدوادار، وأرسل في صحبته الأمير صارم الدين أحد أمراء العشرات من يوم ذلك.

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان تصبح أبواب البلد مغلقة إلى قريب الظهر، وليس ثم مفتوح سوى بابي النصر والفرج، والناس في حصر شديد وانزعاج، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولكن قد اقترب وصول السلطان والعساكر المنصورة.

وفي صبيحة الأربعاء أصبح الحال كما كان وأزيد، ونزل الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي بقبة يلبغا، وامتد طلبه من سيف داريا إلى القبة المذكورة في أبهة عظيمة، وهيئة حسنة، وتأخر الركاب الشريف بتأخره عن الصنمين بعد، ودخل بيدمر في هذا اليوم إلى القلعة وتحصن بها.

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين منه استمرت الأبواب كلها مغلقة سوى بابي النصر والفرج، وضاق النطاق وانحصر الناس جدا وقطع المصريون نهر بانياس والفرع الداخل إليها وإلى دار السعادة من القنوات، واحتاجوا لذلك أن يقطعوا القنوات ليسدوا الفرع المذكور، فأزعج أهل البلد لذلك ملؤوا ما في بيوتهم من برك المدارس وغير ذلك، وبيعت القربة بدرهم، والحق بنصف، ثم أرسلت القنوات وقت العصر من يومئذ ولله الحمد والمنة، فانشرح الناس لذلك.

وأصبح الصباح يوم الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح بابا النصر والفرج إلى بعد طلوع الشمس بزمان، فأرسل يلبغا من جهته أربعة أمراء وهم الأمير زين الدين زبالة الذي كان نائب القلعة، والملك صلاح الدين بن الكامل، والشيخ علي الذي كان نائب الرحبة من جهة بيدمر، وأمير آخر، فدخلوا البلد وكسروا أقفال أبواب البلد، وفتحوا الأبواب، فلما رأى بيدمر ذلك أرسل مفاتيح البلد إليهم انتهى.

وصول السلطان الملك المنصور إلى المصطبة غربي عقبة سجورا

كان ذلك يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان في جحافل عظيمة كالجبال، فنزل عند المصطبة المنسوبة إلى عم أبيه الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون وجاءت الأمراء ونواب البلاد لتقبيل يده والأرض بين يديه، كنائب حلب، ونائب حماة، وهو الأمير علاء الدين الماردني، وقد عين لنيابة دمشق، وكتب بتقليده بذلك، وأرسل إليه وهو بحماة.

فلما كان يوم السبت السابع والعشرين منه خلع على الأمير علاء الدين علي الماردني بنيابة دمشق، وأعيد إليها عوداً على بدء ثم هذه الكرة الثالثة، وقبل يد السلطان وركب عن يمينه، وخرج أهل البلد لتهنئته، هذا والقلعة محصنة بيد بيدمر وقد دخلها ليلة الجمعة واحتمى بها هو ومنجك وأسندمر ومن معه من الأعوان بها ولسان حال القدر يقول: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

ولما كان يوم الأحد طلب قضاة القضاة وأرسلوا إلى بيدمر وذويه بالقلعة ليصالحوه على شيء يشترطونه، وكان ما سنذكره انتهى والله تعالى أعلم.

سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك

لما كان يوم الأحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل الحنبلي، والشيخ سراج الدين الهندي الحنفي قاضي العسكر المصري للحنفية، إلى بيدمر ومن معه ليتكلموا معهم في الصلح ليتزلوا على ما يشترطون قبل أن يشرعوا في الحصار والمجانيق التي قد استدعي بها من صفد وبعلبك، وأحضر من رجال النقاعين نحو من ستة آلاف رام فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أمانا إن آناب إلى المصالحة، فطلب أن يكون بأهله بيت المقدس، وطلب أن يعطى منجك بلاداً بناحية بلاد سيس ليسترزق هنالك، وطلب أسندمر أن يكون بشمقدار للأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي.

فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب كان، فأخبروا السلطان والأمراء بذلك، فأجيبوا إليه، وخلع السلطان والأمراء على جبريل خلعا، فرجع في خدمة القضاة ومعهم الأمير أسنبغا بن الأبو بكري، فدخلوا القلعة وباتوا هنالك كلهم، وانتقل الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطرزين.

فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل، فدخل القضاة وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير سيف الدين أسنبغا بن الأبو بكري انتهى.

دخول السلطان محمد ابن الملك أمير حاج ابن الملك محمد ابن الملك قلاوون إلى دمشق في جيشه وأمرائه

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة

رجع القضاة إلى الوطاق الشريف، وفي صحبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون، فخلع على القضاة الأربعة وانصرفوا راجعين مجبورين.

وأما الأمراء المذكورون فإنهم أركبوا على خيل ضعيفة، وخلف كل واحد منهم وُشاقي آخذ بوسطه قيل: وفي يد كل واحد من الوشاقية خنجر كبير مسلول لئلا يستنقذه منه أحد فيقتله بها، فدخل جهرة بين الناس ليروهم ذلتهم التي قد لبستهم، وقد أحدق الناس بالطريق من كل جانب، فقام كثير من الناس الله أعلم بعدتهم، إلا أنهم قد يقاربون المائة ألف أو يزيدون عليها، فرأى الناس منظراً فظيعاً فدخل بهم الوشاقية إلى الميدان الأخضر الذي فيه القصر، فأجلسوا هنالك وهم ستة نفر: الثلاثة النواب وجبريل وابن أسندمر، وسادس، وظن كل منهم أن يفعل بهم فاقرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلابا أطلاباً في تجمل عظيم، وليس الحرب يبهر النصر وخيول وأسلحة ورماح، ثم دخل السلطان في آخر ذلك كله بعد العصر بزمن، وعليه من أنواع الملابس قباء زبخاري، والقبة والطير يحملهما على رأسه الأمير سيف الدين تومان تمر الذي كان نائب طرابلس، والأمراء مشاة بين يديه والبسط تحت قدمي فرسه والبشائر تضرب خلفه فدخل القلعة المنصورة المنصورية لا البدرية. ورأى ما قد أرصد بها من المجانيق والأسلحة، فاشتد حنقه على بيدمر وأصحابه كثيراً، ونزل الطارمة، وجلس على سرير المملكة ووقف الأمراء والنواب، بين يديه، ورجع الحق إلى نصابه، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح إلى دمشق في قضية بيبغا آروس تسع سنين وكان دخولهما إليها في رمضان الصالح في أول يوم من رمضان، وهذا في التاسع والعشرين، منه وقد قيل إنه سلخه والله أعلم وشرع الناس في الزينة.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سلخ الشهر نقل الأمراء المغضوب عليهم الذين ضل سعيهم فيما كانوا أبرموه من ضمير سوء للمسلمين إلى القلعة فأنزلوا في أبراجها مهانين، مفرقا بينهم، بعدما كانوا بها آمنين حاكمين، أصبحوا معتقلين مهانين خائفين فخاروا بعدما كانوا رؤساء، وأصبحوا بعد عزهم أذلاء، ونقبت أصحاب هؤلاء ونودي عليهم في البلد، ووعد من دل على أحد منهم بمال جزيل، وولاية إمرة بحسب ذلك ورسم في هذا اليوم على الرئيس أمين الدين بن القلانسي كاتب السر، وطلب منه ألف ألف درهم، وسلم إلى الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة، وقد أعيد إليها وأعطى تقدمة ابن قراسنقر وأمره أن يعاقبه إلى أن يزن هذا المبلغ وصلى السلطان وأمراؤه بالميدان الأخضر صلاة العيد، ضرب له خام عظيم وصلى به خطيباً القاضي تاج الدين المناوي الشافعي، قاضي العسكر المنصورة للشافعية، ودخل الأمراء مع السلطان للقلعة من باب المدرسة، ومد لهم سماطا هائلا أكلوا منه ثم رجعوا إلى دورهم وقصورهم، وحمل الجتر في هذا اليوم على رأس السلطان الأمير علي نائب دمشق وخلع عليه خلعة هائلة.

وفي هذا اليوم مسك الأمير تومان تمر الذي كان نائب طرابلس، ثم قدم على بيدمر، فكان معه، ثم قفل إلى المصريين واعتذر إليهم، فعذروه فيما يبدو للناس، ودخل وهو حامل الجتر على رأس السلطان يوم الدخول، ثم ولوه نيابة حمص، فصغروه وحقروه، ثم لما استمر ذاهبا إليها فكان عند القابون أرسلوا إليه فأمسكوه وردوه وطلب منه المائة ألف التي كان قبضها من بيدمر، ثم ردوه إلى نيابة حمص.

وفي يوم الخميس اشتهر الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية وخاصكية ملكوا عليهم حسين بن الناصر ثم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا، وأن الأمر قد انفصل ورد حسين للمحل الذي كان معتقلا فيه، وأطفأ الله شر هذه الطائفة ولله الحمد.

وفي آخر هذا اليوم لبس القاضي ناصر الدين بن يعقوب خلعة كتابة السر الشريفية والمدرستين ومشيخة الشيوخ عوضاً عن الرئيس علاء الدين بن القلانسي عزل وصودر وراح الناس لتهنئته بالعود إلى وظيفته كما كان.

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث شوال مسك جماعة من الأمراء الشاميين منهم الحاجبان صلاح الدين وحسام الدين والمهمندار ابن أخي الحاجب الكبير، تمر، وناصر الدين ابن الملك صلاح الدين بن الكامل، وابن حمزة والطرخاني واثنان أخوان وهما طيبغا زفر وبلجك، كلهم طبلخاناه، وأخرجوا خيروتمر حاجب الحجاب، وكذلك الحجوبية أيضا وأعطوا إقطاعه لابن القشتمري الذي كان نائب حلب وأعطوا الحجوبية لقماري أحد أمراء مصر.

وفي يوم الثلاثاء سابع شوال مسك ستة عشر أميراً من أمراء العرب بالقلعة المنصورة منهم عمر بن موسى بن مهنا الملقب بالمصمع، الذي كان أمير العرب في وقت، ومعيقل بن فضل بن مهنا وآخرون.

وذكروا أن سبب ذلك أن طائفة من آل فضل عرضوا للأمير سيف الدين الأحمدي الذي استنابوه على حلب، وأخذوا منه شيئا من بعض الأمتعة، وكادت الحرب تقع بينهم.

وفي ليلة الخميس بعد المغرب حمل تسعة عشر أميرا من الأتراك والعرب على البريد مقيدين في الأغلال أيضا إلى الديار المصرية، منهم بيدمر ومنجك وأسندمر وجبريل وصلاح الدين الحاجب وحسام الدين أيضا وبلجك وغيرهم، ومعهم نحو من مائتي فارس ملبسين بالسلاح متوكلين بحفظهم، وساروا بهم نحو الديار المصرية، وأمروا جماعة من البطالين منهم أولاد الأقوش، وأطلق الرئيس أمين الدين بن القلانسي من المصادرة والترسيم بالقلعة، بعد ما وزن بعض ما طلب منه وصار إلى منزله، وهناه الناس.

خروج السلطان من دمشق قاصداً مصر

ولما كان يوم الجمعة عاشر شهر شوال خرج طلب يلبغا الخاصكي صبيحته في تجمل عظيم لم ير الناس في هذه المدد مثله، من نجائب وجنائب ومماليك وعظمة هائلة، وكانت عامة الأطلاب قد تقدمت قبله بيوم، وحضر السلطان إلى الجامع الأموي قبل أذان الظهر، فصلى في مشهد عثمان هو ومن معه من أمراء المصريين، ونائب الشام، وخرج من فوره من باب النصر ذاهبا نحو الكسوة والناس في الطرقات والأسطحة على العادة، وكانت الزينة قد بقي أكثرها في الصاغة والخواصين وباب البريد إلى هذا اليوم، فاستمرت نحو العشرة أيام.

وفي يوم السبت حادي عشر شوال خلع على الشيخ علاء الدين الأنصاري بإعادة الحسبة إليه وعزل عماد الدين بن الشيرجي، وخرج المحمل يوم الخميس سادس عشر شوال على العادة، والأمير مصطفى البيزي.

وتوفي يوم الخميس ويوم الجمعة أربعة أمراء بدمشق، وهم قشتمرزفر وطيبغا الفيل ونوروز أحد مقدمي الألوف، وتمر المهمندار، وقد كان مقدم

ألف وحاجب الحجاب وعمل نيابة غزة في وقت، ثم تعصب عليه المصريون فعزلوه عن الإمرة، وكان مريضا فاستمر مريضا إلى أن توفي يوم الجمعة، ودفن يوم السبت بتربته التي أنشأها بالصوفية، لكنه لم يدفن فيها بل على بابها كأنه تورّع أو ندم على بنائها فوق قبور المسلمين رحمه الله.

وتوفي الأمير

■ ناصر الدين بن الأقوش يوم الاثنين العشرين من شوال ودفن بالقبيبات، وقد ناب ببعلبك وبحمص، ثم قطع خبره هو وأخوه كجكن ونفوا عن البلد إلى بلدان شتى، ثم رضي عنهم الأمير يلبغا وأعاد عليهم أخبازا بطبلخاناه، فما لبث ناصر الدين إلا يسيراً حتى توفي إلى رحمة الله تعالى، وقد أثر آثاراً حسنة كثيرة منها عند عقبة الرمانة خان مليح نافع، وله ببعلبك جامع وحمام وخان وغير ذلك، وله من العمر ست وخمسون سنة.

وفي يوم الأحد السادس والعشرين منه درس القاضي نور الدين محمد ابن قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء الشافعي بالمدرسة الأتابكية، نزل له عنها والده بتوقيع سلطاني، وحضر عنده القضاة والأعيان، وأخذ في قوله تعالى: ﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي هذا اليوم درس القاضي نجم الدين أحمد بن عثمان النابلسي الشافعي المعروف بابن الجابي بالمدرسة العصرونية استنزل له عنها القاضي أمين الدين بن القلانسي في مصادراته.

وفي صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من شوال درس القاضي ولي الدين عبد الله بن القاضي بهاء الدين أبي البقاء بالمدرستين الرواحية ثم القيمرية، نزل له عنهما والده المذكور بتوقيع سلطاني، وحضر عنده فيهما القضاة والأعيان.

وفي صبيحة يوم الخميس سلخ شوال شهرٌ الشيخ أسد ابن الشيخ الكردي على جمل وطيف به في حواضر البلد ونودي عليه: هذا جزاء من يخامر على السلطان ويفسد نواب السلطان، ثم أنزل عن الجمل وحمل على حمار وطيف به في البلد ونودي عليه بذلك، ثم ألزم السجن وطلب منه مال جزيل وقد كان المذكور من أعوان بيدمر المتقدم ذكره وأنصاره، وكان هو المتسلم للقلعة في أيامه.

وفي صبيحة يوم الاثنين حادي عشر ذي القعدة خلع على قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح بقضاء العسكر الذي كان متوفرا عن علاء الدين بن شمرنوخ، وهناء الناس بذلك وركب البغلة بالزناري مضافا إلى ما بيده من نيابة الحكم والتدريس.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره أعيد تدريس الركنية بالصالحية إلى قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي، استرجعها بمرسوم شريف سلطاني، من يد القاضي عماد الدين بن العز، وخلع على الكفري، وذهب الناس إليه للتهنئة بالمدرسة المذكورة.

وفي شهر ذي الحجة اشتهر وقوع فتن بين الفلاحين بناحية عجلون، وأنهم اقتتلوا فقتل من الفريقين اليمني والقيسي طائفة، وأن عين حينا التي هي شرقي عجلون دمرت وخربت، وقطع أشجارها ودمرت بالكلية.

وفي صبيحة يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة لم تفتح أبواب دمشق إلى ما بعد طلوع الشمس فأنكر الناس ذلك، وكان سببه الاحتياط على أمير يقال له كسغا، كان يريد الهرب إلى بلاد الشرق، فاحتيط عليه حتى أمسكوه.

وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة قدم الأمير سيف الدين طاز من القدس فنزل بالقصر الأبلق، وقد عمي من الكحل حين كان مسجونا بالإسكندرية، فأطلق كما ذكرنا ونزل ببيت المقدس مدة، ثم جاءه تقليد بأنه يكون طرخانا ينزل حيث شاء من بلاد السلطان، غير أنه لا يدخل ديار مصر، فجاء فنزل بالقصر الأبلق، وجاء الناس إليه على طبقاتهم ـ نائب السلطنة فمن دونه ـ يسلمون عليه وهو لا يبصر شيئا، وهو على عزم أن يشتري أو يستكري له داراً بدمشق يسكنها. انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما والاهما من الممالك الإسلامية السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، وهو شاب دون العشرين، ومدبر الممالك بين يديه الأمير يلبغا، ونائب الديار المصرية قشتمر، وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها، والوزير سيف الدين قروينة، وهو مريض مدنف ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين الماردانى، وقضاته هم المذكورون في التي قبلها، وكذلك الخطيب، ووكيل بيت المال، والمحتسب علاء الدين الأنصاري، عاد إليها في السنة المنفصلة، وحاجب الحجاب قماري، والذي يليه السليماني، وآخر من مصر أيضاً، وكاتب السر القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب الحلبي، وناظر الجامع القاضي تقي الدين بن مراجل.

وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين الشافعي أنه جدد في أول هذه السنة قاضي حنفي بمدينة صفد المحروسة مع الشافعي، فصار في كل من حماة وطرابلس وصفد قاضيان شافعي وحنفي.

وفي ثاني المحرم قدم نائب السلطنة بعد غيبة نحو من خمسة عشر يوما، وقد أوطأ بلاد قرير بالرعب وأخذ من مقدميهم طائفة فأودعهم الحبس، وكان قد اشتهر أنه قصد العشيرات المواسين ببلاد عجلون، فسألته عن ذلك حين سلمت عليه فأخبرني أنه لم يتعد ناحية قرير، وأن العشيرات قد اصطلحوا واتفقوا، وأن التجريدة عندهم هناك. قال: وقد كبس الأعراب من حرم الترك فهزمهم الترك وقتلوا منهم خلقا كثيرا، ثم ظهر للعرب كمين، فلجأ الترك إلى وادٍ حَرِجٍ فحصروهم هنالك، ثم ولت الأعراب فراراً، ولم يقتل من الترك أحد، وإنما جرح منهم أمير واحد فقط، وقتل من الأعراب فوق الخمسين نفساً.

وقدم الحجاج يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم، ودخل المحمل السلطاني ليلة الاثنين بعد العشاء، ولم يحتفل لدخوله كما جرت به العادة، وذلك لشدة ما نال الركب في الرجعة من زيزاء إلى هنا من البرد الشديد، بحيث إنه قد قيل إنه مات منهم بسبب ذلك نحو المائة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولكن أخبروا برخص كثير وأمن، وبموت ثَقَبَةَ أخي عجلان صاحب مكة، وقد استبشر بموته أهل تلك البلاد، لبغيه على أخيه عجلان العادل فيهم. انتهى والله أعلم.

منام غريب جداً

ورأيت ـ يعني المصنف ـ في ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله فقلت له: يا سيدي الشيخ لم لا أدخلت في شرحك المهذب شيئا من مصنفات ابن

حزم؟ فقال ما معناه: إنه لا يحبه، فقلت له: أنت معذور فيه فإنه جمع بين طرفي النقيضين في أصوله وفروعه، أما هو في الفروع فظاهري جامد يابس، وفي الأصول تولّ مائع قرمطة القرامطة، وهُرْمُسُ الهرامسة، ورفعت بها صوتي حتى سمعت وأنا نائم، ثم أشرت له إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هي أردأ شكلا منه، لا ينتفع بها في استغلال ولا رعي، فقلت له: هذه أرض ابن حزم التي زرعها قال: انظر هل ترى فيها شجرا مثمرا، أو شيئا ينتفع به، فقلت إنما تصلح للجلوس عليها في وضوء القمر. فهذا حاصل ما رأيته، ووقع في خلدي أن ابن حزم كان حاضرنا، عند ما أشرت للشيخ محيي الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم، وهو ساكت لا يتكلم.

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر خلع على القاضي عماد الدين بن الشيرجي بعود الحسبة إليه، بسبب ضعف علاء الدين الأنصاري عن القيام بها لشغله بالمرض المدنف، وهنأ الناس على العادة.

وفي يوم السبت السادس والعشرين من صفر توفي الشيخ علاء الدين الأنصاري المذكور بالمدرسة الأمينية، وصلي عليه الظهر بالجامع الأموي، ودفن بمقابر باب الصغير خلف محراب جامع جراح، في تربة هنالك، وقد جاوز الأربعين سنة، ودرس في الأمينية، وفي الحسبة مرتين، وترك أولاداً صغاراً، وأموالا جزيلة سامحه الله ورحمه، وولي المدرسة بعده قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي بمرسوم كريم شريف.

وفي العشر الأخير من صفر بلغنا وفاة قاضي قضاة المالكية الأخنائي بمصر وتولية أخيه برهان الدين ابن قاضي القضاة علم الدين الأخنائي الشافعي أبوه قاضيا مكان أخيه، وقد كان على الحسبة بمصر مشكور السيرة فيها، وأضيف إليه نظر الخزانة كما كان أخوه.

وفي صبيحة يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول كان ابتداء حضور قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن بن عبد الكافي السبكي الشافعي تدريس الأمينية عوضاً عن الشيخ علاء الدين المحتسب، بحكم وفاته رحمه الله كما ذكرنا، وحضر عنده خلق من العلماء والأشراف والفقهاء والعامة، وكان درسا حافلا، أخذ في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية [النساء: ٥٤] وما بعدها، فاستنبط أشياء حسنة، وذكر ضربا من العلوم بعبارة طلقة جارية معسولة أخذ ذلك من غير تلعثم ولا تلجلج ولا تَنحنُح ولا تكلف، فأجاد وأفاد، وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم حتى قال بعض الأكابر: إنه لم يسمع درسا مثله.

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين منه توفي الصدر

■ برهان الدين بن لؤلؤ الحوضي، في داره بالقصاعين ولم يمرض إلا يوماً واحداً، وصلي عليه من الغد بجامع دمشق، بعد صلاة الظهر، وخرجوا به من باب النصر، فخرج نائب السلطنة الأمير علي، فصلى عليه إماما خارج باب النصر، ثم ذهبوا به فدفنوه بمقابرهم بباب الصغير فدفن عند أبيه رحمهما الله، وكان رحمه الله فيه مروءة وقيام مع الناس، وله وجاهة عند الدولة، وقبول عند نواب السلطنة وغيرهم، ويحب العلماء وأهل الخير، ويواظب على سماع مواعيد الحديث والخير، وكان له مال وثروة ومعروف، قارب الثمانين رحمه الله.

وجاء البريد من الديار المصرية فأخبر بموت الشيخ شمس الدين

■ محمد بن النقاش المصري بها، وكان واعظا باهراً، وفقيهاً بارعاً، ونحويا شاعراً، له يد طولى في فنون متعددة، وقدرة على نسج الكلام، ودخول على الدولة وتحصيل الأموال، وهو من أبناء الأربعين رحمه الله.

وأخبر البريد بولاية قاضي القضاة شرف الدين المالكي البغدادي، الذي كان قاضيا بالشام للمالكية، ثم عزل بنظر الخزانة بمصر، فإنه رتب له معلوم وافر يكفيه ويفضل عنه، ففرح بذلك من يحبه.

■ (ابن القلانسي أمين الدين محمد).

وفي يوم الأحد السابع عشر من ربيع الآخر توفي الرئيس أمين الدين محمد بن الصدر جمال الدين أحمد ابن الرئيس شرف الدين محمد بن القلانسي، أحد من بقي من رؤساء البلد وكبرائها، وقد كان باشر مباشرات كبار كأبيه وعمه علاء الدين، ولكن فاق هذا على أسلافه، فإنه باشر وكالة بيت المال مدة، وولي قضاء العساكر أيضا، ثم ولي كتابة السر، مع مشيخة الشيوخ وتدريس الناصرية والشامية الجوانية، وكان قد درس في العصرونية من قبل سنة ست وثلاثين، ثم لما قدم السلطان في السنة الماضية عزل عن مناصبه الكبار، وصودر بمبلغ كثير، يقارب مائتي ألف، فباع كثيراً من أملاكه وما بقي بيده من وظائفه شيء، وبقي خاملا مدة إلى يومه هذا، فتوفي بغتة، وكان قد تشوش قليلا، لم يشعر به أحد، وصلي عليه العصر بجامع دمشق، وخرجوا به من باب الناطفانيين إلى تربتهم التي بسفح قاسيون رحمه الله.

وفي صبيحة يوم الاثنين ثامن عشره، خلع على القاضي جمال الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي، وجعل مع أبيه شريكا في القضاء ولقب في التوقيع الوارد صحبة البريد من جهة السلطان « قاضي القضاة» فلبس الخلعة بدار السعادة وجاء ومعه قاضي القضاة تاج الدين السبكي إلى النورية فقعد في المسجد، ووضعت الربعة فقرئت، وقرئ القرآن ولم يكن درساً، وجاءت الناس للتهنئة بما حصل من الولاية له مع أبيه.

■ (فتح الدين بن زين الدين الفارقي).

وفي صبيحة يوم الثلاثاء توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الخاشع فتح الدين ابن الشيخ زين الدين الفارقي، إمام دار الحديث الأشرفية، وخازن الأثر بها، ومؤذن في الجامع، وقد أتت عليه تسعون سنة في خير وصيانة وتلاوة وصلاة كثيرة وانجماع عن الناس، صلي عليه صبيحة يومئذ، وخرج به من باب النصر إلى نحو الصالحية رحمه الله.

وفي صبيحة يوم الاثنين عاشر جمادى الأولى ورد البريد وهو قرابغا دوادار نائب الشام الصغير ومعه تقليد بقضاء قضاة الحنفية للشيخ جمال الدين يوسف ابن قاضي القضاة شرف الدين الكفري، بمقتضى نزول أبيه له عن ذلك، ولبس الخلعة بدار السعادة، وأجلس تحت المالكي، ثم جاؤوا إلى المقصورة من الجامع، وقرئ تقليده هنالك، قرأه شمس الدين بن السبكي نائب الحسبة، واستناب اثنين من أصحابهم، وهما شمس الدين بن منصور، وبدر الدين بن الجواشني، ثم جاء معه إلى النورية فدرس بها ولم يحضره والده بشيء من ذلك، انتهى والله أعلم.

موت الخليفة المعتضد بالله

كان ذلك في العشر الأوسط من جمادى الأولى بالقاهرة، وصلي عليه يوم الخميس، أخبرني بذلك قاضي القضاة تاج الدين الشافعي عن كتاب أخيه الشيخ بهاء الدين رحمهما الله.

خلافة المتوكل على الله

ثم بويع بعده ولده المتوكل على الله علي أبو عبد الله محمد بن

المعتضد أبي بكر أبي الفتح بن المستكفي باللّه أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر اللّه أبي العباس أحمد رحم اللّه أسلافه.

وفي جمادى الأولى توجه الرسول من الديار المصرية ومعه سناجق خليفية وسلطانيه وتقاليد وخلع وتحف لصاحبي الموصل وسنجار من جهة صاحب مصر ليخطب له فيهما، وولي قاضي القضاة تاج الدين الشافعي السبكي الحاكم بدمشق لقاضيهما من جهته تقليدين، حسب ما أخبرني بذلك، وأرسلا مع ما أرسل به السلطان إلى البلدين، وهذا أمر غريب لم يقع مثله فيما تقدم فيما أعلم واللّه أعلم.

وفي جمادى الآخرة خرج نائب السلطنة إلى مرج الغسولة ومعه حجبته، ونقباء النقباء، وكاتب السر وذووه، ومن عزمهم الإقامة مدة، فقدم من الديار المصرية أمير على البريد، فأسرعوا الأوبة، فدخلوا في صبيحة الأحد الحادي والعشرين منه، وأصبح نائب السلطنة فحضر الموكب على العادة، وخلع على الأمير سيف الدين يلبغا الصالحي، وجاء النص من الديار المصرية بخلعة دوادار، عوضاً عن سيف الدين كجكن.

وخلع في هذا اليوم على الصدر شمس الدين بن مزى بتوقيع الدست، وجهات أخر، قدم بها من الديار المصرية، فانتشر الخبر في هذا اليوم بإجلاس قاضي القضاة جمال الدين بن الكفري الحنفي، فوق قاضي القضاة المالكية، لكن لم يحضر في هذا اليوم، وذلك بعد ما قد أمر بإجلاس المالكي فوقه.

وفي ثاني رجب توفي القاضي الإمام العالم شمس الدين

■ ابن مفلح المقدسي الحنبلي، نائب مشيخة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسي الحنبلي، وزوج ابنته، وله منها سبعة أولاد ذكور وإناث.

وكان بارعاً فاضلا، متفننا في علوم كثيرة، ولا سيما علم الفروع، كان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد، وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المقنع نحواً من ثلاثين مجلداً كما أخبرني بذلك عنه قاضي القضاة جمال الدين، وعلق على محفوظة أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية مجلدين، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات، رحمه اللّه.

توفي عن نحو خمسين سنة، وصلي عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثاني الشهر بالجامع المظفري، ودفن بمقبرة الشيخ الموفق، وكانت له جنازة، حافلة حضرها القضاة كلهم، وخلق من الأعيان، رحمه اللّه وأكرم مثواه.

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عاتكة، أساؤوا الأدب على النائب ومماليكة وذويه، بسبب جامع للخطبة جدد بناحيتهم، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع، ويجعله زاوية للرقاصين، فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعاً، قد نصب فيه منبر، وقد قدم شيخ من الفقراء، على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه، فأنفت أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعا، وأعظموا ذلك، فتكلم بعضهم بكلام سيء، فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم، وضربهم بالمقارع بين يديه، ونودي عليهم في البلد، فأراد بعض العامة إنكاراً لذلك، وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب، تحت قبة النسر، على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف، رتبه أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج، واجتمع عنده خلق كثير، وجم غفير، وقرأ في السيرة النبوية من خطي، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر.

أعجوبة من العجائب

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان، يزعم أنه يحفظ البخاري، ومسلما، وجامع المسانيد، والكشاف للزمخشري، وغير ذلك من محافيظ، في فنون أخر.

فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب، قرأ في الجامع الأموي بالحائط الشمالي منه، عند باب الكلاسة - عليٌ من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب العلم منه، من حفظه، وأنا أقابل عليه من نسخة بيدي، فأدى جيداً، غير أنه يصحف بعضَ الكلمات لعجم فيه، وربما لحن أيضا في بعض الأحيان، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة، وجماعة من المحدثين، فأعجب ذلك جماعة كثيرين.

وقال آخرون منهم إن سرد بقية الكتاب على هذا المنوال لعظيم جداً، فاجتمعنا في اليوم الثاني، وهو مستهل شعبان، في المكان المذكور، وحضر قاضي القضاة الشافعي، وجماعة من الفضلاء، واجتمع العامة محدقين، فقرأ على العادة، غير أنه لم يطول كأول يوم، وسقط عليه بعض الأحاديث، وصحف ولحن في بعض الألفاظ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي، فقرأ بحضرتهما أيضا بعض الشيء، هذا والعامة محتفون به، متعجبون من أمره، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه، وفرح بكتابتي له بالسماع على الإجازة، وقال: أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك، وأن تجيزني، وذكرك في بلادنا مشهور، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة، وقد كارمه القضاة والأعيان بشيء من الدراهم يقارب الألف.

عزل الأمير علي عن نيابة دمشق المحروسة

في يوم الأحد حادي عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية، وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير علي عن نيابة دمشق، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة، وقرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره، وخلع عليه خلعة وردت مع البريد، ورسم له بقرية دومة وأخرى في بلاد طرابلس على سبيل الراتب، وأن يكون في أي البلاد شاء من دمشق، أو القدس أو الحجاز، فانتقل من يومه من دار السعادة وباقي أصحابه ومماليكه، واستقر نزوله في دار الخليلي بالقصاعين، التي جددها وزاد فيها دويداره يلبغا، وهي دار هائلة، وراح الناس للتأسف عليه، والحزن له انتهى.

طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي الشافعي إلى الديار المصرية معزولاً عن قضاء دمشق

ورد البريد بطلبه من آخر نهار الأحد، بعد العصر، الحادي عشر من شعبان، سنة ثلاث وستين وسبعمائة، فأرسل إليه حاجب الحجاب قماري، وهو نائب الغيبة، أن يسافر من يومه، فاستنظرهم إلى الغد فأمهل، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكي بقضاء دمشق، عوضا عن أخيه تاج الدين، وأرسل يستنيب ابن أختهما قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح السبكي بحكم أن يقدم إلى دمشق وأخذ قاضي القضاة تاج الدين في التأهب والسير، وجاء الناس إليه ليودعوه ويستوحشون له، وركب من بستانه بعد العصر، يوم الاثنين، ثاني عشر شعبان، متوجها على البريد إلى

الديار المصرية، وبين يديه قضاة القضاة، والأعيان، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي، حتى ردهم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها، والله المسؤول في حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

أعجوبة أخرى غريبة

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان، دعيت إلى بستان الشيخ العلامة جمال الدين بن الشريشي، شيخ الشافعية، وحضر جماعة من الأعيان، منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلي الشافعي، والشيخ الإمام العلامة صلاح الدين الصفدي، وكيل بيت المال، والشيخ الإمام العلامة شمس الدين الموصلي الشافعي، والشيخ الإمام العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من ذرية الشيخ أبي إسحاق الفيروزابادي، من أئمة اللغويين، والخطيب الإمام العلامة صدر الدين بن العز الحنفي أحد البلغاء الفضلاء، والشيخ الإمام العلامة نور الدين علي بن الصارم أحد القراء المحدثين البلغاء، وأحضروا نيفا وأربعين مجلداً من كتاب «المنتهى» في اللغة للتميمي البرمكي، وقف الناصرية، وحضر ولد الشيخ جمال الدين بن الشريشي، وهو العلامة بدر الدين محمد، واجتمعنا كلنا عليه، وأخذ كل منا بيده مجلداً من تلك المجلدات، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها، فيثر كلا منها، ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة، ولا يشذ عنه منها إلا القليل الشاذ، وهذا من أعجب العجائب وأبلغ الإغراب.

دخول نائب السلطنة سيف الدين قشتمر

وذلك في أوائل رمضان يوم السبت ضحى، والحجبة بين يديه، والجيش بكماله، فتقدم إلى سوق الخيل، فأوكب فيه، ثم جاء ونزل عند باب النصر، وقبل العتبة ثم مشى إلى دار السعادة والناس بين يديه، وكان أول شيء حكم فيه أن أمر بصلب الذي كان قتل بالأمس والي الصالحية، وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة، ثم هرب فتبعه الناس، فقتل منهم آخر، وجرح آخرين، ثم تكاثروا عليه فمسك، ولما صلب طافوا به على جمل إلى الصالحية فمات هناك بعد أيام، وقاسى أمراً شديداً من العقوبات، وقد ظهر بعد ذلك على أنه قتل خلقاً كثيرا من الناس، قبحه الله.

قدوم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن قاضي القضاة تقي الدين عوضاً عن أخيه قاضي القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب

قدم يوم الثلاثاء قبل العصر فبدأ بملك الأمراء فسلم عليه بدار السعادة، ثم ذهب إلى أمير على نائب السلطنة المعزول، وهو بداره بالقصّاعين، فسلّم عليه، ثم مشى إلى دار الحديث فصلى هناك، ثم مشى إلى المدرسة الركنية فنزل بها عند ابن أخته قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح، قاضي العساكر، وذهب الناس للسلام عليه، وهو يكره من يلقبه بقاضي القضاة وعليه تواضع وتقشف، ويظهر عليه تأسف على مفارقة بلده ووطنه وولده وأهله، والله المسؤول المأمول أن يحسن العاقبة.

وخرج المحمل السلطاني يوم الخميس ثاني عشر شوال، وأمير الحاج الملك صلاح الدين ابن الملك الكامل بن السعيد بن العادل الكبير، وقاضيه الشيخ بهاء الدين بن سبع، مدرس الأمينية ببعلبك.

وفي هذا الشهر وقع الحكم بعَوْد ما يخص المجاهدين من وقف المدرسة التقوية إليهم، وأذن القضاء الأربعة إليهم بحضرة ملك الأمراء في ذلك.

وفي ليلة الأحد سادس شهر ذي القعدة توفي القاضي ناصر الدين

■ محمد بن يعقوب كاتب السر، وشيخ الشيوخ ومدرس الناصرية الجوانية والشامية الجوانية بدمشق، ومدرس الأسدية بحلب وقد باشر كتابة السر بحلب أيضاً، وقضاء العساكر، وأفتى بزمان ولاية الشيخ كمال الدين الزملكاني قضاء حلب، أذن له هنالك في حدود سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

ومولده سنة سبع وسبعمائة، وقد قرأ التنبيه، ومختصر ابن الحاجب في الأصول، وفي العربية.

وكان عنده نباهة وممارسة للعلم، وفيه جودة طباع وإحسان بحسب ما يقدر عليه، وليس يتوسم منه سوء، وفيه ديانة وعفة، حلف لي في وقت بالأيمان المغلظة أنه لم يمكن قط منه فاحشة اللواط ولا خطر له ذلك، ولم يزن ولم يشرب مسكرا ولا أكل حشيشة، فرحمه الله، وأكرم مثواه.

صلي عليه بعد الظهر يومئذ، وخرجوا بالجنازة من باب النصر، فخرج نائب السلطنة من دار السعادة، فحضر الصلاة عليه هنالك، ودفن بمقبرة لهم بالصوفية، وتأسفوا عليه، وترحموا، وتزاحم جماعة من الفقهاء في طلب مدارسه انتهى.

ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والشامية والحجازية وما يتبعهما من الأقاليم والرساتيق الملك المنصور صلاح الدين محمد ابن الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي، ومدبر الممالك بين يديه، وأتابك العساكر سيف الدين يلبغا.

وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها، غير أن ابن جماعة قاضي الشافعية وموفق الدين قاضي الحنابلة في الحجاز الشريف.

ونائب دمشق الأمير سيف الدين قشتمر المنصوري، وقاضي قضاة الشافعية الشيخ بهاء الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وأخوه قاضي القضاة تاج الدين مقيم بمصر، وقاضي قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكفري، أثره والده بالمنصب، وأقام على تدريس الركنية يتعبد ويتلو وينجمع على العبادة، وقاضي قضاة المالكية جمال الدين المسلاتي، وقاضي قضاة الحنابلة الشيخ جمال الدين المرداوي محمود ووكيل بيت المال الشيخ صلاح الدين الصفدي وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة، ومحتسب البلد الشيخ عماد الدين بن الشيرجي، وكاتب السر جمال الدين عبد الله بن الأثير، قدم من الديار المصرية، عوضاً عن ناصر الدين بن يعقوب، وكان قدومه يوم سلخ السنة الماضية، وناظر الدواوين بدر الدين حسن بن النابلسي، وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب، وناظر الجيش علم الدين داود، وناظر الجامع تقي الدين بن مراجل. ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم بعد العصر، خوفا من المطر، وكان وقع مطر شديد قبل أيام، فتلف منه غلات كثيرة بحوران وغيرها، ومشاطيخ زيبب وغير ذلك،

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين منه بعد عشاء الآخرة وقبل دقة القلعة دخل فارس من ناحية باب الفرج إلى ناحية باب القلعة الجوانية، ومن ناحية الباب المذكور سلسلة، ومن ناحية باب النصر أخرى جددتا لئلا يمر راكب على باب القلعة المنصورة، فساق هذا الفارس المذكور على السلسلة الواحدة فقطعها، ثم مر على الأخرى فقطعها، وخرج من باب النصر، ولم يعرف لأنه ملثم.

وفي حادي عشر صفر وقبله بيوم قدم البريد من الديار المصرية بطلب الأمير زين الدين زبالة أحد أمراء الألوف إلى الديار المصرية مكرما، وقد كان عزل عن نيابة القلعة بسبب ما تقدم، وجاء البريد أيضاً ومعه التواقيع التي كانت بأيدي ناس كثير، زيادات على الجامع، ردت إليهم، وأقروا على ما بأيديهم من ذلك، وكان ناظر الجامع الصاحب تقي الدين بن مراجل قد سعى في رفع ما زيد بعد التذكرة التي كانت في أيام صرغتمش، فلم يف ذلك، وتوجه الشيخ بهاء الدين بن السبكي قاضي قضاة الشام الشافعي من دمشق إلى الديار المصرية، يوم الأحد سادس عشر صفر من هذه السنة، وخرج القضاة والأعيان لتوديعه، وقد كان أخبرنا عند توديعه بأن أخاه قاضي القضاة تاج الدين قد لبس خلعة القضاء بالديار المصرية، وهو متوجه إلى الشام عند وصوله إلى ديار مصر، وهذا مسرور جداً بذهابه إلى مصر وذكر لنا أن أخاه كاره للشام.

وأنشدني القاضي صلاح الدين الصفدي ليلة الجمعة رابع عشره لنفسه، فيما عكس على المتنبي في يديه من قصيدته وهو قوله:

إذا اعْتَادَ الفَتَى خَوْضَ المَنَايَا ... فَأَيْسَرُ مَا يَمُرُّ بِهِ الوُحُولُ

وقال:

دُخُولُ دِمَشْقَ يُكْسِبُنَا نُحُولا ... كَأَنَّ لَهَا دُخُولا فِي البَرَايَا

إِذَا اعْتَادَ الغَرِيبُ الخَوْضَ فِيهَا ... فَأَيْسَرُ مَا يَمُرُّ بِهِ المَنَايَا

وهذا شعر قوي، وعكس جلي، لفظاً ومعنى.

وفي ليلة الجمعة الحادي والعشرين من صفر عملت خيمة حافلة بالبيمارستان الدقاقي جوار الجامع، بسبب تكامل تجديده قريب السقف مبنياً باللبن، حتى قناطره الأربع بالحجارة البلق، وجعل في أعاليه قمريات كبار مضيئة، وفتق في قبلته إيوانا حسنا زاد في أعماقه أضعاف ما كان، وبيضه جميعه بالجص الحسن المليح، وجددت فيه خزائن ومصالح، وفرش ولحف جدد، وأشياء حسنة، فأثابه الله، وأحسن جزاءه آمين، وحضر الخيمة جماعات من الناس من الخواص والعوام.

ولما كانت الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهده من العمارات، وأخبره بما كانت عليه حاله قبل هذه العمارة، فاستجاد ذلك من صنيع الناظر المذكور.

وفي أول ربيع الآخر قدم قاضي القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على قضاء الشام عوداً على بدء يوم الثلاثاء رابع عشره فبدأ بالسلام على نائب السلطنة بدار السعادة ثم ذهب إلى دار الأمير علي بالقصاعين فسلم عليه، ثم جاء إلى العادلية قبل الزوال، ثم جاءه الناس من الخاص والعام يسلمون عليه ويهنئونه بالعود، وهو يتودد ويترحب بهم.

ثم لما كان صبح يوم الخميس سادس عشره لبس الخلعة بدار السعادة ثم جاء في أبهة هائلة لابسها إلى العادلية فقرئ تقليده بها بحضرة القضاة والأعيان وهناه الناس والشعراء والمداح.

وأخبر قاضي القضاة تاج الدين بموت

■ حسين ابن الملك الناصر، ولم يكن بقي من بنيه لصلبه سواه، ففرح بذلك كثير من الأمراء، وكبار الدولة، لما كان فيه من حدة وارتكاب أمور منكرة.

■ (سليمان بن سليمان بن عماد الدين بن الشيرجي).

وأخبر بموت القاضي فخر الدين سليمان ابن القاضي فخر الدين سليمان ابن القاضي عماد الدين بن الشيرجي، وقد كان اتفق له من الأمر أنه قلد حسبة دمشق عوضا عن أبيه، نزل له عنها باختياره لكبره وضعفه، وخلع عليه بالديار المصرية، ولم يبق إلا أن يركب على البريد فتمرض يوما وثانيا وتوفي إلى رحمة الله تعالى، فتألم والده بسبب ذلك تألما عظيما، وعزاه الناس فيه، ووجدته صابراً محتسباً باكيا مسترجعا متوجعاً انتهى.

بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم

مع ولاية سعد الدين ماجد بن التاج إسحاق من الديار المصرية على نظر الدواوين بالشام المحروس، وربما خوطب بالوزارة عوضاً عن البدر حسن بن النابلسي، الذي كان ناظر الدواوين قبله، ففرح الناس بولاية هذا وقدومه ـ وبعزل الأول وانصرافه عن البلد فرحا شديدا، ومعه مرسوم شريف بوضع نصف مكس الغنم، وكان عَبْرَتُه أربعة دراهم ونصفاً، فصار إلى درهمين وربع درهم، وقد نودي بذلك في البلد يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر، ففرح الناس بذلك فرحا شديدا، ولله الحمد والمنة، وتضاعفت أدعيتهم لمن كان السبب في ذلك، وذلك أنه يكثر الجلب برخص اللحم على الناس، ويأخذ الديوان نظير ما كان يؤخذ قبل ذلك، وقدر الله تعالى قدوم وفود وقفول بتجائر متعددة، وأخذ منها الديوان السلطاني في الزكاة والوكالة، وقدم مراكب كثيرة فأخذ منها في العشر أضعاف ما أطلق من المكس، ولله الحمد والمنة. ثم قرئ على الناس في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة قبل العصر.

وفي يوم الاثنين العشرين منه ضرب الفقيه شمس الدين الصفدي بدار السعادة بسبب خانقاه الطواويس، فإنه جاء في جماعة منهم يتظلمون من كاتب السر الذي هو شيخ الشيوخ، وقد تكلم معهم فيما يتعلق بشرط الواقف مما فيه مشقة عليهم، فتكلم الصفدي المذكور بكلام فيه غلظ، فبطح ليضرب فشفع فيه، ثم تكلم فشفع فيه، ثم بطح الثالثة فضرب، ثم أمر به إلى السجن، ثم أخرج بعد ليلتين أو ثلاث.

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين منه درس قاضي القضاة الشافعي بمدارسه، وحضر درس الناصرية الجوانية بمقتضى شرط الواقف الذي أثبته أخوه بعد موت القاضي ناصر الدين كاتب السر، وحضر عنده جماعة من الأعيان وبعض القضاة، وأخذ في سورة الفتح قرئ عليه من تفسير والده في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [سورة الفتح: ١].

وفي مستهل جمادى الأولى يوم الجمعة بعد صلاة الفجر مع الإمام الكبير صلي على القاضي قطب الدين

■ محمد بن عبد المحسن الحاكم بحمص، جاء إلى دمشق لتلقي أخي زوجته قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي، فتمرض مدة ثم كانت وفاته بدمشق، فصلي عليه بالجامع كما ذكرنا، وخارج باب الفرج، ثم صعدوا به إلى سفح جبل قاسيون، وقد جاوز الثمانين بسنتين، وقد حدث وروى شيئا يسيراً رحمه الله.

وفي يوم الأحد ثالثه قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الأذرعي، والشيخ زين الدين البارنبي وآخرون معهم، فنزلوا بالمدرسة الإقبالية وهم وقاضي قضاتهم الشافعي، وهو كمال الدين المصري مطلوبون إلى الديار المصرية، فتحرر ما ذكروه عن قاضيهم وما نقموه عليه من السيرة السيئة فيما يذكرون في المواقف الشريفة بمصر، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره.

وفي يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زيالة نائب القلعة من الديار المصرية على البريد في تجمل عظيم هائل، وتلقاه الناس بالشموع في أثناء الطريق، ونزل بدار الذهب، وراح الناس للسلام عليه وتهنئته بالعود إلى نيابة القلعة، على عادته، وهذه ثالث مرة وليها لأنه مشكور السيرة فيها، وله فيها سعي محمود في أوقات متعددة.

وفي يوم حادي عشره صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي وكاتب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمقصورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين، فتضاعفت الأدعية لولي الأمر، ولمن كان السبب في ذلك.

غريبة من الغرائب وعجيبة من العجائب

وقد كثرت المياه في هذا الشهر وزادت الأنهار زيادة كثيرة جدا، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخيل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكيرا، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب، واستمر ذلك جمعا متعددة، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطارمة تجاه باب الإسطبل السلطاني، وهذا أمر لم يعهد مثله ولا رأيته قط في مدة عمري، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء.

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفي الصدر شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين

■ ابن منجّا التنوخي بعد العشاء الآخرة، وصلي عليه بجامع دمشق، بعد صلاة الظهر، ودفن بالسفح.

وفي صبيحة هذا اليوم توفي الشيخ ناصر الدين

■ محمد بن أحمد القونوي الحنفي، خطيب جامع يلبغا، وصلي عليه عقيب صلاة الظهر أيضا، ودفن بالصوفية، وقد باشر عوضه الخطابة والإمامة قاضي القضاة جمال الدين الكفري الحنفي.

وفي عصر هذا اليوم توفي القاضي

■ علاء الدين ابن القاضي شرف الدين ابن القاضي شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبي، أحد موقعي الدست بدمشق، وصلي عليه يوم الأربعاء، ودفن بالسفح.

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضي القضاة جمال الدين الكفري الحنفي بجامع يلبغا، عوضا عن الشيخ ناصر الدين بن القونوي رحمه الله تعالى، وحضر عنده نائب السلطنة الأمير سيف الدين قشتمر، وصلى معه قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بالشباك الغربي القبلي منه، وحضر خلق من الأمراء والأعيان، وكان يوما مشهودا، وخطب ابن نباتة بأداء حسن وفصاحة بليغة، هذا مع علم أن كل مركب صعب.

وفي يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة توجه الشيخ شرف الدين القاضي الحنبلي إلى الديار المصرية، بطلب الأمير سيف الدين يلبغا، في كتاب كتبه إليه يستدعيه ويستحثه في القدوم عليه.

وفي يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب سقط اثنان سكارى من سطح بحارة اليهود، أحدهما مسلم والآخر يهودي، فمات المسلم من ساعته وانقلعت عين اليهودي وانكسرت يده لعنه الله، وحمل إلى نائب السلطنة فلم يحر جوابا.

ورجع الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل بعد ما قارب غزة لما بلغه من الوباء بالديار المصرية فعاد إلى القدس الشريف، ثم رجع إلى وطنه فأصاب السنة، وقد وردت كتب كثيرة تخبر بشدة الوباء والطاعون بمصر، وأنه يضبط من أهلها في النهار نحو الألف، وأنه مات جماعة ممن يعرفون كولدي قاضي القضاة تاج الدين المناوي، وكاتب الحكم ابن الفرات، وأهل بيته أجمعين فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء الخبر في أواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر منهم

■ أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكي المصري بمصر، وهو شاب لم يستكمل العشرين. وقد درس بعدة جهات بمصر وخطب، ففقده والده وتأسف الناس عليه وعزوا فيه عمه قاضي القضاة تاج الدين السبكي قاضي الشافعية بدمشق.

وجاء الخبر بموت قاضي القضاة شهاب الدين

■ أحمد الرباجي المالكي، كان بحلب وليها مرتين ثم عزل فقصد مصر واستوطنها مدة ليتمكن من السعي في العودة فأدركته منيته في هذه السنة من الفناء وولدان له معه أيضا.

وفي يوم السبت سادس شعبان توجه نائب السلطنة في صحبة جمهور الأمراء إلى ناحية تدمر لأجل الأعراب من أصحاب حيار بن مهنا، ومن التف عليه منهم، وقد دمر بعضهم بلد تدمر وحرقوا كثيراً من أشجارها، ورعوها وانتهبوا شيئا كثيرا، وخرجوا من الطاعة وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتملك أملاكهم، والحيلولة عليهم فركب نائب السلطنة بمن معه كما ذكرنا، لطردهم عن تلك الناحية وفي صحبتهم الأمير حمزة بن الخياط أحد أمراء الطبلخاناه، وقد كان حاجبا لحيار قبل ذلك، فرجع عنه وألب عليه عند الأمير الكبير يلبغا الخاصكي، ووعده إن هو أمرّه وكبرّه أن يظفر بحيار وأن يأتيه برأسه، ففعل معه ذلك، فقدم إلى دمشق ومعه مرسوم بركوب الجيش معه إلى حيار وأصحابه، فساروا كما ذكرنا، فوصلوا إلى تدمر، وهربت الأعراب من بين يدي نائب الشام يمينا وشمالا، ولم يواجهوه هيبة له، ولكنهم يتحرفون على حمزة بن الخياط، ثم بلغنا أنهم بيتوا الجيش، فقتلوا منه طائفة وجرحوا آخرين وأسروا آخرين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين: شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الثلاثاء، خامس عشر شعبان

لما كان عشية السبت تاسع عشر شعبان من هذه السنة ـ أعني سنة أربع وستين وسبعمائة ـ قدم أمير من الديار المصرية فنزل بالقصر الأبلق، وأخبر بزوال مملكة الملك المنصور بن المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد

بن قلاوون، ومسك واعتقل، وبويع للملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن المنصور قلاوون، وله من العمر قريب العشر، فدقت البشائر بالقلعة المنصورة، وأصبح الناس يوم الأحد في الزينة.

وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين والصاحب سعد الدين ماجد ناظر الدواوين، أنه لما كان يوم الثلاثاء، الخامس عشر من شعبان عزل الملك المنصور وأودع منزله وأجلس الملك الأشرف ناصر الدين شعبان على سرير الملك وبويع للملك، وقد وقع رعد في هذا اليوم، ومطر كثير، وجرت المزاريب، فصار غدارنا في الطرقات، وذلك في خامس حزيران، فتعجب الناس من ذلك، هذا وقد وقع وباء في مصر في أول شعبان، فتزايد وجهوره في اليهود، وقد وصلوا إلى الخمسين في كل يوم، وبالله المستعان.

وفي يوم الاثنين سابعه اشتهر الخبر عن الجيش بأن الأعراب اعترضوا التجريدة القاصدين إلى الرحبة وواقفوهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا وقد سار البريد خلف النائب والأمراء ليقدموا إلى البلد لأجل البيعة للسلطان الجديد جعله الله مباركا على المسلمين، ثم قدم جماعة من الأمراء المنهزمين من الأعراب في أسوإ حال وذلة، ثم جاء البريد من الديار المصرية بردهم إلى العسكر الذي مع نائب السلطنة على تدمر، متوعدين بأنواع العقوبات، وقطع الإقطاعات.

وفي شهر رمضان تفاقم الحال بسبب الطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون، وجهوره في اليهود لعله قد فقد منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خبيثة، كما أخبر بذلك القاضي صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال، ثم كثر ذلك فيهم في شهر رمضان جدا، وغدت العدة من المسلمين والذمة ثمانين.

وفي يوم السبت حادي عشره صلينا بعد الظهر على الشيخ المعمر الصدر بدر الدين

■ محمد بن الزقاق، المعروف بابن الجوخي.

وعلى الشيخ صلاح الدين

■ محمد بن شاكر الكُتُبيّ، تفرد في صناعته وجمع تاريخاً مفيدا نحواً من عشر مجلدات، وكان يحفظ ويذاكر ويفيد رحمه الله وسامحه انتهى.

وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة المَحَجّيّ الشافعي ومباشرة قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بعده

■ (محمود بن جملة المَحَجّيّ).

كانت وفاته يوم الاثنين بعد الظهر قريباً من العصر، فصلى بالناس بالمحراب صلاة العصر قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي عوضا عنه، وصلى بالناس الصبح أيضا، وقرأ بآخر المائدة من قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩] ثم لما طلعت الشمس، وزال وقت الكراهة، صلي على الخطيب جمال الدين عند باب الخطابة، وكان الجمع في الجامع كثيرا، وخرج بجنازته من باب البريد، وخرج معه طائفة من العوام وغيرهم، وقد حضر جنازته بالصالحية على ما ذكر جم غفير وخلق كثير، ونال قاضي القضاة الشافعي من بعض الجهلة إساءة أدب، فأخذ منهم جماعة وأدبوا، وحضر هو بنفسه صلاة الظهر يومئذ، وكذا باشر الظهر والعصر في بقية الأيام، يأتي للجامع في محفل من الفقهاء والأعيان وغيرهم، ذهابا وإيابا، وخطب عنه يوم الجمعة الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني، وكذلك يوم العيد بالمصلى وخطبة الجمعة يومئذ وامتنع قاضي القضاة، تاج الدين من المباشرة، حتى يأتي التشريف.

وفي يوم الاثنين بعد العصر صلي على الشيخ شهاب الدين

■ أحمد بن عبد الله البعلبكي، المعروف بابن النقيب، ودفن بالصوفية وقد قارب السبعين وجاورها.

وكان بارعا في القراءات والنحو والتصريف والعربية، وله يد في الفقه وغير ذلك، وولي مكانه مشيخة الإقراء بأم الصالح شمس الدين محمد بن اللبان، وبالتربة الأشرفية الشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن السلار.

وقدم نائب السلطنة من ناحية الرحبة وتدمر وفي صحبته الجيش الذين كانوا معه بسبب محاربة آل مهنا وذويهم من الأعراب في يوم الأربعاء سادس شوال.

وفي ليلة الأحد عاشره توفي الشيخ صلاح الدين

■ خليل بن أيبك، وكيل بيت المال، وموقع الدست، وصلي عليه صبيحة الأحد بالجامع، ودفن بالصوفية، وقد كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب، وله الأشعار الفائقة، والفنون المتنوعة وجمع وصنف وألف، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات.

وفي يوم السبت عاشره جمع القضاة والأعيان بدار السعادة وكتبوا خطوطهم بالرضى بخطابة قاضي القضاة تاج الدين السبكي بالجامع الأموي، وكاتب نائب السلطنة في ذلك.

وفي يوم الأحد حادي عشره استقر عزل نائب السلطنة سيف الدين قشتمر على نيابة دمشق وأمر بالمسير إلى نيابة صفد فأنزل أهله بدار طيبغا حاجي من الشرف الأعلى، وبرز هو إلى سطح المزة ذاهبا إلى ناحية صفد.

وخرج المحمل صحبة الحجيج وهم جم غفير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شوال توفي القاضي أمين الدين أبو حيان ابن أخي قاضي القضاة جمال الدين

■ المسلاتي المالكي وزوج ابنته ونائبه في الحكم مطلقا وفي القضاء والتدريس في غيبته فعاجلته المنية.

ومن غريب ما وقع في أواخر هذا الشهر أنه اشتهر بين النساء وكثير من العوام أن رجلا رأى مناما فيه أنه رأى النبي ﷺ عند شجرة توتة عند مسجد ضرار خارج باب شرقي فتبادر النساء إلى تخليق تلك التوتة، وأخذوا أوراقها للاستشفاء من الوباء ولكن لم يظهر صدق ذلك المنام، ولا يصح عمن يرويه.

وفي يوم الجمعة سابع شهر ذي القعدة خطب بجامع دمشق قاضي القضاة تاج الدين السبكي خطبة بليغة فصيحة أداها أداء حسنا، وقد كان يخش من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم يتكلم أحد منهم، بل ضجوا عند الموعظة وغيرها، وأعجبهم الخطيب وخطبته، وأداؤه وتبليغه ومهابته واستمر يخطب هو بنفسه.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره توفي الصاحب تقي الدين

■ سليمان بن مراجل ناظر الجامع الأموي وغيره، وقد باشر نظر الجامع في أيام تنكز، وعمر الجانب الغربي من الحائط القبلي، وكمل رخامه كله، وفتق محرابا للحنفية في الحائط القبلي، ومحرابا للحنابلة فيه أيضا في غربيه وأثر أشياء كثيرة فيه، وكانت له همة، وينسب إلى أمانة، وصرامة،

ومباشرة مشكورة مشهورة، ودفن بتربة أنشأها تجاه داره بالقبيبات رحمه الله وقد جاوز الثمانين.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر توفي الشيخ بهاء الدين

■ عبد الوهاب الإخميمي المصري، إمام مسجد درب الحجر، وصلي عليه بعد العصر بالجامع الأموي، ودفن بقصر ابن الحلاج عند الطيوريين، بزاوية لبعض الفقراء الخزنة هناك، وقد كان له يد في أصول الفقه، وصنف في الكلام كتابا مشتملا على أشياء مقبولة وغير مقبولة، انتهى.

دخول نائب السلطنة منكلي بغا

في يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة دخل نائب السلطنة منكلي بغا من حلب إلى دمشق نائباً عليها في تجمل هائل، ولكنه مستمرض في بدنه، بسبب ما كان ناله من التعب في مصابرة الأعراب، فنزل دار السعادة على العادة.

وفي يوم الاثنين مستهل ذي الحجة خلع على قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي للخطابة بجامع دمشق، واستمر على ما كان عليه يخطب بنفسه كل جمعة.

وفي يوم الثلاثاء ثانيه قدم القاضي فتح الدين بن الشهيد، ولبس الخلعة، وراح الناس لتهنئته.

وفي يوم الخميس حضر القاضي فتح الدين بن الشهيد كاتب السر مشيخة السميساطية، وحضر عنده القضاة والأعيان بعد الظهر، وخلع عليه لذلك أيضاً، وحضر فيها من الغد على العادة، وخلع في هذا اليوم على وكيل بيت المال، الشيخ جمال الدين بن الرهاوي، وعلى الشيخ شهاب الدين الزهري بفتيا دار العدل، انتهى.

ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين وما يتبع ذلك الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن سيدي حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحي، وهو في عمر عشر سنين، ومدبر الممالك بين يديه الأمير الكبير نظام الملك سيف الدين يلبغا الخاصكي.

وقضاة مصر هم المذكورون في السنة التي قبلها، ووزيرها فخر الدين بن قرونية.

ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلي بغا الشمسي، وهو مشكور السيرة، وقضاتها هم المذكورون في السنة التي قبلها، وناظر الدواوين بها الصاحب سعد الدين ماجد، وناظر الجيش علم الدين داود، وكاتب السر القاضي فتح الدين بن الشهيد، ووكيل بيت المال القاضي جمال الدين بن الرهاوي.

استهلت هذه السنة وداء الفناء موجود في الناس، إلا أنه خف وقل، ولله الحمد.

وفي يوم السبت توجه قاضي القضاة ـ وكان بهاء الدين أبو البقاء السبكي إلى الديار المصرية، مطلوبا من جهة الأمير يلبغا، وفي الكتاب إجابته له إلى ما سأل، وتوجه بعده قاضي القضاة تاج الدين الحاكم بدمشق وخطيبها، يوم الاثنين الرابع عشر من المحرم، على خيل البريد، وتوجه بعدهما الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي، مطلوبا إلى الديار المصرية، وكذلك توجه الشيخ وَلِيّ الدين المنفلوطي مطلوبا.

وتوفي في العشر الأوسط من المحرم صاحبنا الشيخ شمس الدين

■ ابن العطار الشافعي، كان لديه فضيلة واشتغال، وله فهم، وعلق بخطه فوائد جيدة، وكان إماما بالسجن من مشهد علي بن الحسين بجامع دمشق، ومصدراً بالجامع، وفقيها بالمدارس، وله مشيخة الحديث الوادعية، وجاوز الخمسين بسنوات، ولم يتزوج قط.

وقدم الركب الشامي إلى دمشق، في يوم الخميس الرابع والعشرين من المحرم، وهم شاكرون مثنون في كل خير بهذه السنة آمنا ورخصا ولله الحمد.

وفي يوم الأحد حادي عشر صفر درس بالمدرسة الفتحية صاحبنا الشيخ عماد الدين إسماعيل ابن خليفة الحُسباني الشافعي، وحضر عنده جماعة من الأعيان والفضلاء، وأخذ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦].

وفي يوم الخميس خامس عشره نودي في البلد على أهل الذمة بإلزامهم بالصغار، وتصغير العمائم وأن لا يستخدموا في شيء من الأعمال، وأن لا يركبوا الخيل ولا البغال ويركبون الحمير بالأكف بالعرض، وأن يكون في رقابهم ورقاب نسائهم في الحمامات الأجراس، وأن يكون أحد النعلين أسود، مخالفا للون الأخرى، ففرح بذلك المسلمون، ودعوا للآمر بذلك.

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول قدم قاضي القضاة تاج الدين من الديار المصرية، مستمراً على القضاء والخطابة، فتلقاه الناس، وهنؤوه بالعود والسلامة.

وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي الصاحب البهنسي الخلعة لنظر الدواوين بدمشق، وهنأه الناس، وباشر بصرامة، واستعمل في غالب الجهات من أبناء المسلمين.

وفي يوم الاثنين حادي عشره ركب قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح على خيل البريد إلى الديار المصرية، لتوليه قضاء قضاة الشافعية بدمشق، عن رضا من خاله قاضي القضاة تاج الدين، ونزوله عن ذلك.

وفي ليلة الخميس خامس ربيع الآخر احترقت الباشورة، التي ظاهر باب الفرج على الجسر، ونال حجارة الباب شيء من حريقها فاتسعت، وقد حضر طَفْأها نائب السلطنة، والحاجب الكبير، ونائب القلعة، والولاة وغيرهم.

وفي صبيحة هذا اليوم زاد النهر زيادة عظيمة، بسبب كثرة الأمطار، وذلك في أوائل كانون الثاني، وركب الماء سوق الخيل بكماله ووصل إلى ظاهر باب الفراديس، وتلك النواحي، وكسر جسر الخشب الذي عند جامع يلبغا، وجاء فصدم به جسر الزلابية فكسره أيضاً.

وفي يوم الخميس ثاني عشره صرف حاجب الحجاب قماري عن المباشرة بدار السعادة، وأخذت القضاة من يده، وانصرف إلى داره في قُلّ من الناس، واستبشر بذلك كثير من الناس، لكثرة ما كان يفتات على الأحكام الشرعية.

وفي أواخره اشتهر موت القاضي تاج الدين

■ المناوي بديار مصر، وولاية قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء السبكي مكانه، بقضاء العساكر بها، ووكالة السلطان أيضاً، ورتب له مع ذلك كفايته.

وتولى في هذه الأيام الشيخ سراج الدين البلقيني إفتاء دار العدل، مع الشيخ بهاء الدين أحمد ابن قاضي القضاة السبكي بالشام، وقد ولي هو أيضا القضاء بالشام كما تقدم، ثم عاد إلى مصر موقرا مكرما، وعاد أخوه تاج الدين إلى الشام، وكذلك ولّوا مع البلقيني إفتاء دار العدل لحنفي يقال له الشيخ شمس الدين بن الصائغ، وهو مفتي حنفي أيضا.

■ (محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن قوام).

وفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول توفي الشيخ نور الدين محمد ابن الشيخ أبي بكر بن الشيخ محمد بن الشيخ أبي بكر بن قوام، بزاويتهم بسفح جبل قاسيون، وغدا الناس إلى جنازته، وقد كان من العلماء الفضلاء. الفقهاء بمذهب الشافعي، درس بالناصرية البرانية مدة سنين بعد أبيه، وبالرباط الدويداري داخل باب الفرج، وكان يحضر المدارس، ونزل عندنا بالمدرسة النجيبية، وكان يحب السنة، ويفهمها جيداً رحمه الله.

وفي مستهل جمادى الأولى ولي قاضي القضاة تاج الدين الشافعي، مشيخة دار الحديث، بالمدرسة التي فتحت بدرب القلي، وكانت داراً لواقفها جمال الدين عبد الله بن محمد بن عيسى التدمري، الذي كان أستاذاً للأمير طاز، وجعل فيها درس للحنابلة، وجعل المدرس لهم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن قيم الجوزية، وحضر الدرس، وحضر عنده بعض الحنابلة بالدرس، ثم جرت أمور يطول بسطها. واستحضر نائب السلطنة شهود الحنابلة بالدرس واستفرد كلا منهم، وسأله كيف شهد في أصل الكتاب ـ المحضر ـ الذي أثبتوه لهم، فاضطربوا في الشهادات، فضبط ذلك عليهم، وفيه مخالفة كثيرة لما شهدوا به في أصل المحضر، وشنع عليهم كثير من الناس، ثم ظهرت ديون كثيرة لبيت طاز على جمال الدين التدمري الواقف، وطلب من القاضي المالكي أن يحكم بإبطال ما حكم به الحنبلي، فتوقف في ذلك.

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه، قرئ كتاب السلطان، بصرف الوكلاء من أبواب القضاة الأربعة، فصرفوا.

■ (شمس الدين التزي).

وفي شهر جمادى الآخرة توفي الشيخ شمس الدين شيخ الحنابلة بالصالحية ويعرف بالتزي، يوم الخميس ثامنه، صلي عليه بالجامع المظفري بعد العصر ودفن بالسفح وقد قارب الثمانين.

وفي الرابع عشر منه عقد بدار السعادة مجلس حافل اجتمع فيه القضاة الأربعة وجماعة من المفتين، وطلبت فحضرت معهم بسبب المدرسة التدمرية، وقرابة الواقف، ودعواهم أنه وقف عليهم الثلث، فوقف الحنبلي في أمرهم، عن ذلك أشد الدفاع.

وفي العشر الأول من رجب وجد جراد كثير منتشر، ثم تزايد وتراكم، وتضاعف، وتفاقم الأمر بسببه، وسد الأرض كثرة وعاث يمينا وشمالا، وأفسد شيئا كثيراً من الكروم والمقاثي والزروعات النفيسة، وأتلف للناس شيئاً كثيراً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الاثنين ثالث شعبان توجه القضاة، ووكيل بيت المال إلى باب كيسان، فوقفوا عليه، وعلى هيئته، ومن نية نائب السلطنة فتحه ليتفرج الناس به.

وعدم للناس غلات كثيرة، وأشياء من أنواع الزروع، بسبب كثرة الجراد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذا الشهر كثُر الوباء والفناء في الناس، وبلغت العِدّة إلى السبعين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتي سنة

وفي يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان، وشرع الصناع في فتحه، عن مرسوم السلطان، الوارد من الديار المصرية، وأمر نائب السلطنة، وإذن القضاة في ذلك، واستهل رمضان وهم في العمل فيه.

وفي العشر الأخير من شعبان توفي الشريف

■ شمس الدين محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني المحدث المحصل، المشتغل المؤلف لأشياء مهمة، وفي الحديث قرأ وسمع، وجمع، وكتب أسماء رجال بمسند الإمام أحمد، واختصر كتابا في أسماء الرجال مفيدا، وولي مشيخة الحديث التي وقفها في داره بهاء الدين القاسم بن عساكر، داخل باب توما.

وختمت البخاريات في آخر شهر رمضان ووقع بين الشيخ عماد الدين بن السراج قارئ البخاري عند محراب الصحابة، وبين الشيخ بدر الدين ابن الشيخ جمال الدين الشريشي، وتهاترا على رؤوس الأشهاد، بسبب لفظة «يَبْتَر» فحكى ابن السراج عن الحافظ المزي أن الصواب: «يَبْتَر» من قول العرب: مَن عَزَّ بَزّ، وصدق في ذلك، فكان منازعه خطأ المزي، فانتصر الآخر للحافظ المزي، فنال منه بالقول، ثم قام والده الشيخ جمال الدين المشار إليه فكشف رأسه على طريقة الصوفية، فكأن ابن السراج لم يلتفت إليه، وتدافعوا إلى القاضي الشافعي، فانتصر للحافظ المزي، وجرت أمور، ثم اصطلحوا غير مرة، وعزم أولئك على كتب محضر على ابن السراج، ثم انطفأت تلك الشرور.

وكثر الموت في أثناء شهر رمضان، وقاربت العدة مائة، وربما جاوزت المائة، وربما كانت أقل منها وهو الغالب، ومات جماعة من الأصحاب والمعارف، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكثر الجراد في البساتين، وعظم الخطب بسببه، وأتلف شيئا كثيراً من الغلات والثمار، والخضراوات، وغلت الأسعار، وقلت الثمار، وارتفعت قيم الأشياء، فبيع الدبس بما فوق المائتين القنطار، والرز بأزيد من ذلك.

وتكامل فتح باب كيسان، وسموه الباب القبلي، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة، وعرضه أزيد من عشرة أذرع بالنجارى، لأجل عمل الباشورة جنبتيه، ودخلت المارة عليه من المشاة والركبان، وجاء في غاية الحسن، وسلك الناس في حارات اليهود، وانكشف دخلهم، وأمن الناس من دخنهم وغشهم، ومكرهم وخبثهم، وانفرج الناس بهذا الباب المبارك.

واستهل شوال والجراد قد أتلف شيئا كثيرا من البلاد، ورعي الخضراوات والأشجار، وأوسع أهل الشام في الفساد، وغلت الأسعار، واستمر الفناء، وكثر الضجيج والبكاء، وفقدنا كثيراً من الأصحاب والأصدقاء، وقد تناقص الفناء في هذه المدة، وقل الوقع وتناقص للخمسين.

وفي شهر ذي القعدة تقاصر الفناء ولله الحمد، ونزل العدد إلى العشرين فما حولها، وفي رابعه دخل بالفيل والزرافة إلى مدينة دمشق من القاهرة، فأنزلا في الميدان الأخضر، قريبا من القصر الأبلق، وذهب الناس للنظر إليهما على العادة.

وفي يوم الجمعة تاسعه صلي على الشيخ جمال الدين

■ عبد الصمد بن خليل البغدادي، المعروف بابن الخضري، محدث بغداد وواعظها، كان من أهل السنة، الجماعة، رحمه الله انتهى.

تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق منذ ولم يتفق ذلك فيما أعلم فتوح الشام إلى الآن

اتفق ذلك في يوم الجمعة الثالث، ثم تبين أنه الرابع والعشرون من ذي القعدة من هذه السنة، بالجامع الذي جدد بناءه نائب الشام سيف الدين منكلي بغا، بدرب البلاغة قبلي مسجد درب الحجر، داخل باب كيسان، المجدد فتحه في هذا الحين كما تقدم، وهو معروف عند العامة بمسجد الشاذوري، وإنما هو في تاريخ ابن عساكر [٢٩٧/٢] مسجد الشهرزوري، وكان المسجد رث الهيئة، قد تقادم عهده مدة دهر، وهجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليل، فوسعه من قبليّه، وسقفه جديدا، وجعل له صرحة شمالية مبلطة، ورواقات على هيئة الجوامع، والداخل بأبوابه على العادة، وداخل ذلك رواق كبير له جناحان شرقي وغربي، بأعمدة وقناطر، وقد كان قديماً كنيسة فأخذت منهم قبل الخمسمائة، وعملت مسجداً، فلم يزل كذلك إلى هذا الحين، فلما كمل كما ذكرنا وسيق إليه الماء من القنوات، ووضع فيه منبر مستعمل كذلك، فيومئذ ركب نائب السلطنة، ودخل البلد من باب كيسان، وانعطف على حارة اليهود، حتى انتهى إلى الجامع المذكور، وقد استكف الناس عنده من قضاة وأعيان، وخاصة وعامة، وقد عين لخطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفي، مدرس التاجية، وإمام الحنفية بالجامع الأموي، فلما أذن الأذان الأول تعذر عليه الخروج من بيت الخطابة، وقيل لمرض عرض له، وقيل لغير ذلك من حصر أو نحوه، فخطب الناس يومئذ قاضي القضاة جمال الدين الحنفي الكفري، خدمة لنائب السلطنة.

واستهل شهر ذي الحجة وقد رفع الله الوباء عن دمشق، وله الحمد والمنة، وأهل البلد يموتون على العادة، ولا يمرض أحد بتلك العلة، ولكن المرض المعتاد، انتهى.

ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الأشرف ناصر الدين شعبان، والدولة بمصر والشام هم هم.

ودخل المحمل السلطاني صبيحة يوم الاثنين، الرابع والعشرين منه، وذكروا أنهم نالهم في الرجعة شدة شديدة، من الغلاء، وموت الجمال، وهرب الجمالين، وقدم مع الركب الشامي ممن خرج من الديار المصرية قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح، وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خاله تاج الدين، يحكم فيما يحكم فيه مستقلا معه، ومنفردا بعده.

وفي شهر الله المحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قريتين من وادي التيم وهما مشغرا تلفيتا، وسبب ذلك أنهما عاصيتان، وأهلهما مفسدان في الأرض، والبلدان والأرض حصينان، لا يصل إليهما الطلب إلا بكلفة كثيرة، لا يرتقي إليهما إلا فارس فارس، فخربتا وعمر بدلهما في أسفل الوادي، بحيث يصل إليهما حكم الحاكم، والطلب بسهولة، فأخبرني الملك صلاح الدين بن الكامل أن بلدة تلفيتا عمل فيها ألف فارس، ونقل بعضها إلى أسفل الوادي خمسمائة حمار عدة أيام.

■ (يوسف بن أحمد بن الحسين الكفري).

وفي يوم الجمعة سادس صفر بعد الصلاة صلي على قاضي القضاة جمال الدين يوسف ابن قاضي القضاة شرف الدين أحمد ابن أقضى القضاة الحسين الكفري الحنفي، وكانت وفاته ليلة الجمعة المذكورة، بعد مرض قريب من شهر، وقد جاوز الأربعين بثلاث من السنين. ولي قضاء قضاة الحنفية، وخطب بجامع يلبغا، وأحضر مشيخة النفيسية، ودرس بأماكن من مدارس الحنفية، وهو أول من خطب بالجامع المستجد، داخل باب كيسان، بحضرة نائب السلطنة.

■ (عمر بن عبد المحي بن إدريس الحنبلي).

وفي صفر كانت وفاة الشيخ جمال الدين عمر ابن القاضي عبد المحيي بن إدريس الحنبلي، محتسب بغداد، وقاضي الحنابلة بها، فتعصبت عليه الروافض، حتى ضرب بين يدي الوزارة ضربا مبرحا، كان سبب موته سريعا رحمه الله، وكان من القائمين بالحق، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، من أكبر المنكرين على الروافض وغيرهم من أهل البدع رحمه الله، وبل بالرحمة ثراه.

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر حضر مشيخة النفيسية الشيخ شمس الدين بن سند، وحضر عنده قاضي القضاة تاج الدين، وجماعة من الأعيان، وأورد حديث عبادة بن الصامت «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» [خ (٧٥٦)، م (٣٩٤)] أسنده عن قاضي القضاة المشار إليه.

وجاء البريد من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة تاج الدين إلى هناك، فسير أهله قبله على الجمال، وخرجوا يوم الجمعة، حادي عشر ربيع الأول جماعة من أهل بيتهم، لزيارة أهاليهم هناك، فأقام هو بعدهم إلى أن قدم نائب السلطنة من الرحبة، وركب على البريد.

وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة رجع قاضي القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية، على البريد، وتلقاه الناس إلى أثناء الطريق، واحتفلوا للسلام عليه، وتهنئته بالسلامة، انتهى، والله أعلم.

قتل الرافضي الخبيث

وفي يوم الخميس ثامن عشره أول النهار وجد رجل بالجامع الأموي اسمه.

■ محمود بن إبراهيم الشيرازي، وهو يسب الشيخين، ويصرح بلعنتهما، فرفع إلى القاضي المالكي قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي، فاستتابه عن ذلك، وأحضر الضراب، فأول ضربة قال لا إله إلا الله علي ولي الله، ولما ضرب الثانية لعن أبا بكر وعمر، فالتهمه العامة، فأوسعوه ضربا مبرحا، بحيث كاد يهلك، فجعل القاضي يستكفهم عنه، فلم يستطع ذلك، فجعل الرافضي يسب ويلعن الصحابة، وقال: كانوا على الضلاله، فعند ذلك حمل إلى نائب السلطنة، وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة. فعند ذلك حكم عليه القاضي بإراقة دمه، فأخذ إلى ظاهر البلد، فضربت عنقه، وأحرقته العامة، قبحه الله، وكان ممن يقرأ بمدرسة أبي عمر، ثم ظهر عليه الرفض، فسجنه الحنبلي أربعين يوما، فلم ينفع ذلك، وما زال يصرح في كل موطن يأمر فيه بالسب، حتى كان يومه هذا أظهر مذهبه في الجامع، وكان سبب قتله قبحه الله كما قبح من كان قبله، وقتل كقتله في سنة خمس وخمسين.

استنابة ولي الدين بن أبي البقاء السبكي

وفي آخر هذا اليوم - أعني يوم الخميس ثامن عشره - حكم أقضى